

نور الأسرار

تأليف

إشعاع عبد الكريم محمد المدرس البغدادى

تاريخ تأليف ١٣٩٧ هـ - [١٩٧٧ م.]

أشرف على طبعه

محمد الملا احمد الكزنى

قد اخصى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

وقف الاعلان



يطلب من مكتبة الحفيلة بشارع دار الشفاعة بفتح ٥٧ اسفابول - تركيا

ميلادى

هجري شمسي

هجري قمرى

١٩٩٨

١٣٧٧

١٤١٩

من أراد ان يطبع هذه الرسالة وحقها ان يترجمها الى لغة اخرى فليس عليه الا ان يترجمها الى لغة
الاسلام والحقائق جميع كتابه كمال سلام مكتوب عليها بشرط ان يترجمها الى اللغة العربية والاصحاح

الموضوعات

١٠٢	التوسل باسماء الله وكلماته وأقربائه	٥	الايمان بالله
١٠٣	التوسل بطلب لعماد	٦	الطبيعة دليل على وجود الله
١١٤	التوسل بالقدوات	١٢	الرد على القول بالصدقة
١١٦	التوسل بالأعمال الصالحة	١٤	الرد على المهرجين
١١٧	التوسل بحق العباد المكرمين	١٥	صفات الله تعالى
	التوسل بأئمة الرسول		زينة وخلاصة في الاستدلال
١٢٦	التوسل بالرقي والتكائم	٢٣	عن ذات الباري وصفاته
١٢٩	التوسل بطلب الفعل من العباد المكرمين	٢٨	وحيته تعالى
١٤١	احترام آل الرسول وأزواجه	٢٦	الايمان بالثلاثة
١٤٨	محبة اصحاب الرسول	٢٥	الايمان بالجن
١٥٦	محبة علماء الدين	٢٧	الايمان بالكتب
١٥٦	يبحث مهم عن اجتهاد الرسول والصحابة	٤٢	جمع ابن بكر للقرآن
١٧٥	وجوب الاجتهاد على من كانت له اعلية	٤٢	جمع عثمان للقرآن
	وجوب التقليد على من لم يكن له	٤٧	القراءات السبع
	اعلية الاجتهاد	٤٩	الفسر
١٧٨	محبة لمة الرسول عموما	٥١	رواة القراء
١٨٤	كرامات اولياء الله تعالى	٥٩	الايمان بالرسول
١٩٨	دليل الكرامة في الكتاب والسنة		الحكمة من ارسال الرسول
٢١٦	مصاحبة الصالحين	٦٦	دليل النظام
٢١٨	زيارة الاحياء	٦٨	دليل الرغبة والرهبة
٢٢٣	زيارة الصالحين بعد الوفاة	٦٩	دليل القنوق
٢٢٦	بيانات وايضاحات	٧٠	دليل الاعتراف
٢٣٦	الفضاء والكفر	٧٢	دليل القربة
٢٤٦	الاجسل		محبة الرسول والصفوات
٢٤٨	الله هو الهادي	٧٥	عليه وذكرى مولده
٢٥١	الله مختار في افعاله	٩٢	زيارة الرسول
٢٥٢	رؤية الله	٩٦	كيفية زيارته
٢٥٣	الايمان بالبرزخ	٩٨	التوسل والوسيلة

٢٨٠	الميزان	٢٦٦	الايمان باليوم الآخر
٢٨١	الجزء	٢٦٧	الزلزلة والنقعة الاولى
٢٨٢	الصراط	٢٧٠	النقعة الثانية
٢٨٥	الحوض المورود	٢٧٣	أحوال الحشر
٢٨٦	الصفحة	٢٧٦	الموقف
٢٩٢	الجنة والنار	٢٧٨	السؤال
٢٩٨	الكونتر	٢٧٩	صفحة الامثال

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد فان كتاب نور الاسلام ، يضيء طريق الحق والصواب ، يترجم مسالك السعادة في الدنيا والآخرة ، ويزيل القشور الفاسدة عن لب حقيقة الاسلام والايمان ، بأسلوب بديع رفيع وسط بين الاطناب الملل والايجاز المخل ساهكا الادلة العقلية بالادلة العقلية سبك الصائغ الماهر الاحجار الكريمة في الذهب . ومن حسن الحظ ان اتاح الله لي الفرصة لاقوم بتخريج آياته واحاديثه ، وان اعلق عليه بعض التعليقات .

محمد الملا أحمد الكزني

نبيه: إن كلاً من دعاة المسيحية يسعون إلى نشر المسيحية و الصهاينة اليهود يسعون إلى نشر الادعاءات الباطلة لمحاكماتها و كهنتها و دار النشر - الحقيقة - في استانبول يسعى إلى نشر الدين الاسلامي و إعلائه اما الماسونيون فلي سعي لإخماد و إزالة الاديان جميعها فالليب النصف النصف بالعلم و الاعتراف بهي و يلهم الحقيقة و يسعى لتحقيق ما هو حق من بين هذه الحقائق و يكون سببا في إبالة الناس كافة السعادة الأبدية و ما من خدمة أجل من هذه الخدمة أسديت إلى البشرية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه المعونة والاعتصام

اللهم يا من كفت هدايته للدلالة على ذاته ، ووفت عنايته
بالارشاد الى آثار صفاته حار الناس الا من هديته ، وغار في
البأس الا من نجبته .

أين الدليل عليك ، وأنت لكل مدلول دليل ؟ وكيف
الوصول اليك ، وأنت المنزه عن كل قال وقيل ؟ نتوجه اليك
وتتوكل عليك ، ونطلب الهدى منك ، فوجهنا باحسانك
اليك ، وعرفنا وجوب وجودك بهدايتك ، ووفقنا على
طاعتك بعنايتك ، لنحمدك حمداً يوافي نعمك ، ويكافىء
مزيد فضلك ، ونشكرك شكراً يماثل شكر خواص عبادك
وأهلك وحل وسلم من سماء جودك الا محدود على حبيبك
المحبوب المسعود ، سيدنا محمد الأحمد المحمود ، الذي هدانا
الى العباد الى المعبود ، هداية ارشاد الى ذلك الموصوف بالكرم
والجود ، وعلى جميع اخوانه العباد المصطفين الأخيار وآله
وصحبه الكرام الأبرار ومن تبعه باحسان الى يوم القرار .

وبعد فقد وجدتُ الناس في وَجْدٍ الى تذكرة لمقاصد
الدين والى تبصرة حول مهمات الاسلام للمسلمين ، فبادرت
بتقديم هذا الكتاب الناطق بالصدق والصواب ، وسلكت فيه
مسلك الاعتدال بين الاخلال والاملال ، بغية الاستفادة منه
في كل وضع وحال ، وجعلت عنوانه ((نور الاسلام)) لمن
أراد الفوز بالمرام ، وعلى الله التوكل وبه العون والاعتصام .

فمن نور الاسلام • الإيمان بالله

الإيمان بالله تعالى : أي الاعتراف والتصديق والاذعان بأن لهذه الكائنات من العلويات والسفليات ، وما احتوته من سائر الموجودات صائناً واجب الوجود وخالقاً لكل موجود ، وهو اللائق بأن يُطاع ، وهو المستحق للتعظيم ، وهو المعبود وكل ما سواه مسخر لقدرته ، وخاشع لهيبته ، ورافع كفاً الرجاء إلى باب رحمته ، لفيض احسانه وكرمه ونعمته •

لا حاجة لصاحب العقل السليم إلى الفلسفة في هذا الباب ، بل يكفي أن ينظر بعين العناية إلى الوجوه الآتية :

أولاً - منذ وجد البشر وهو أرقى الموجودات على هذه البسيطة الفبراء ، وتحت أشعة شمس السماء ، كان أصحاب سلامة العقل والادراك منهم يعترفون بأن لهم خالقاً أوجدهم ، ورباً رباهم ، يستغيثون به في الملهمات ، ويتضرعون إليه في المهمات ، ذلك أنهم يشعرون بنقص في ذاتهم ، وعجز في ادراكهم ، وحيرة في عقولهم ، وفثوراً أمام مأسولهم ، ومن كان له شعور بالنقص في النفس ، حتماً يسمي حول الوصول إلى كامل يستجد به ، وعظيم يستعين به ، ولا شك أن الكامل المطلق فوق الكل هو الله الواجب الوجود ، فهو المطلوب والمقصود • فإذا كان أولوا سلامة العقل هكذا ، فما علينا من أصحاب النقص في الادراك ، فقد اتفقت العقول السليمة على المطلوب •

ثانيا - لاشبهة ان الموجود المحسوس لدينا لا يخلو : اما جماد ، او نبات ، او حيوان ، ونرى كل ذرة من ذرات الجمادات مسخرة تحت سيطرة التكوين والتحويل ، فمن ماء يتحول بخارا ، وبخار يتحول سحابا ، وسحاب يتقطر ماء ، ومن مواد أرضية تتكون بالتأثيرات ، والانفعالات معادن .

ومن بذر يخرج من الارض فيؤزره المؤثر ، ويستغلظ فيستوي ويثمر ، وبعد زمان يسقط فيتحول الى مواد أرضية أخرى ، ومن نطفة تنربي وتتصور وتخرج الى عالم العيان ، فيستفيد ويفيد الى أجل مسمى ، فعلم ان كل ذلك واقع تحت سيطرة وقوة ، وان كل قوة مدركة فهي أيضا تحت تأثير قدرة فوقها الى أن يصل الى ما لا قوة تملوه ، وان أشرفها وأقومها وهو الانسان ، هو دائما في الجهد للخلاص من جهل الى علم ، ومن ضعف الى قوة ، ومن معنة الى استقراة ، فيستمر في حاجة للتطور من طور الى آخر ، ويمرود سلسلة حاجاته الى ميسر للأمور ، ومسبب للأسباب ، وقوة فوق القوى ، ومعنى هذا كله أن كل موجود مشهود ضعيف ومسخر ومحدود ولا يمكن تصرف هذا المسخر الضعيف في نفسه وفي غيره ، فقد تبين حاجة الجميع الى متصرف مطلق له الابداع والتصرف الكامل ، يغيّر ولا يتغير ، ويسخر ولا يتسخر ، وذلك هو المقصود والمطلوب .

ثالثا - لا خفاء في ان الله ميّز الانسان بالعقل والعرفان ، وبه يتدرّج من حال الى حال ، ومن نقص الى كمال ، وهو في كل حال من أحواله يدرك تمام الإدراك أنه لم يحصل له ولا

يحصل ولن يحصل له أقل شيء مما يحتاج اليه ، بدون سبب من الاسباب وعلة من العلل ، ولا يمكن له دفع أية مضرة من المضار الا بدافع وعلاج ، ولم يحصل له بدون حركة وحول منه أو من غيره خبز يأكله ، وماء يشربه ، ولباس يلبسه ، ومحل يسكن فيه ، بدون سبب ومنشأ ، فكيف يعقل هذا العاقل المتطور ، والمدرک المتطور الذي يحسب لنفسه ألف حساب ؟ كيف يتصور ويصدق ؟ بأن شخصه نفسه وقبواه وما احتواه حصل أو سيحصل بلا سبب ، وكيف يتصور ان العلويات بما فيها ، والسفليات بما عليها حصلت بدون تأثير مؤثر ، وسببية مسبب ، يؤثر في ابداعه ، واخراجه السي الوجود ؟ ولا شك انه بأدنى انصاف ومراجعة الى وجدانه يعلم ان نفسه وما عداها خلقها خالق وسواها واليه منتهاها وهو المطلوب .

رابعاً - لا اشتباه في ان كل من نظر الى وردة جميلة بديعة ، أو صنعة عجيبة ، أو أمر مخترع لم يره قبل ذلك ، أو نقوش مستحسنة ، أو أنسجة متلوثة ، علم ان لذلك المنظور عامل وصناع مبدع ، مخترع قدير ، ولا يتوهم ان ذلك كان صدفة بلا أساس ، فكيف يتصور ان تلك القسوى المودعة فيه من العين وأغشيتها وأنوارها ومن المشاعر وادراكها واسرارها ، ومن تركيب الجمجمة والدماغ ومحتوياتها ، ومن المعدة وصنعتها ، ومن المفاصل وأنسجамها ، ومن الكف والبنان وخطوطها ، نشأت من دون مؤثر ؟ بله سائر المعنويات التي تتوالى عليه من الاحزان

والأفراح والذوق والنشاط وإخدادها ، ومن طموح
وميوح وما تزول اليها كيف يقبل ان هذه الأنفس العظيمة
الآثار نشأت بدون خالق ؟ بل بالعكس يضطر الى ارجاعها الى
باريها وخالقها ومبدعها ، وذلك هو المقصود المطلوب .

خامساً - ارفع نظرك الى خيمة السماء ، والى الكواكب
النيرة ، والنجوم الزاهرة ، والى الشمس المشتعلة الملتهبة التي
تزيد على كرة الارض بنحو (ربع مليون) مرة ، وتفكر من
أين هذه الكرة الملتهبة ؟ ومن أي جهاز تشتعل ؟ وكيف تقف
كمركز لمجموعتها ؟ وكيف تجري لمستقر لها ؟ وكيف تدور
حولها السيارات على مدارات خاصة مائلة أو مستوية ؟ وكيف
يحافظ على سير تلك الحركات ، ومراقبة موازينها ، بحيث
لا يتعدى أي كوكب من مداره ، ولا من مقدار آثاره ؟ وكيف
لا ينحرف عن المدار ولا يتخلف عن عمله في دقيقة ، أو أن من
الليل والنهار ؟ وكيف تدوم على هذه الأحوال تلك المجموعة
على الاستمرار ؟ وكيف يدور السيارات على محورها كما
يدور حول أمها ومركزها فما تلك الجوانب المركزية ؟ وما
تلك الموازين الاجتماعية ؟ وفوق هذه المكتشفات ما وراءها
مما لم يكتشف الى الآن لا يعلم علمها أحد غير مبدعها ، ألا
يقف العقل السليم في مقام الاعتراف بمبدعها مترنماً بقوله :
(وعت الوجوه للحي القيوم)^(١) ، لا شك ان الناظر البصير ،

والتاقد الخبير ، يرجع الى رشد ، ويعترف بأن الأجهزة المسخرة للطبيعة للاوامر لها أمر مطاع ، له الملك والآثار يكوّر النهار في الليل ، ويكوّر الليل على النهار ، وهو المطلوب .

سادساً - ان شئت فانظر نظرة خاطفة في هذا المجموع ، وقل ان الكل اما ممكن مستوي الوجود والعدم ، واما واجب ثابت الوجود من القدم ، أو بعضه واجب أزلي وبعضه ممكن خرج الى الوجود من العدم ، اذا تأملت دقيقة علمت ان الاحتمال الثالهي فاسد بلا شبهة ، لأنك تعلم ان الفناء طراً على كثير من أجزاء المجموع ، والعدوث ثبت لكثير مما شاهدته ، كما ترى ان الجبال تزلزلت ببركان ، وان المياه تبخرت بحرارة في طنبيان ، وهذا مما يخالف وجوب الوجود .

وكذا الاحتمال الثالث أي ان بعضه واجب قديم وبعضه ممكن ، اذ لا رجعان للحجر على المدر ، ولا للارض على الماء ، ولا للماء على الهواء ، فعروض الكون والفساد في البعض دليل صحة طروهما في الباقي ، فلم يبق الا الأمر الاول وهو ان الكل ممكن الوجود يستوي عدمه ووجوده ، وكل ما استوى طرفا وجوده وعدمه محتاج الى فاعل مؤثر واجب الوجود موصوف بكماله وقدمه وهو المرام والمطلوب .

سابعاً - ان علة هذه المجموعة من حيث العموم ، اما نفسها ، أو بعضها ، أو أمر خارج عنها ، لا يمكن بالعقل البديهي أن يؤثر المجموع في نفسه لانه المؤثر يجب ان يتقدم الاثر ، فلو كان المجموع علة لنفسه لزم ان يتقدم هذا على نفسه ، وذلك مستحيل بالبديهة .

وكذا لا يمكن أن يكون المؤثر في المجموعة بعضها ، لأنه يلزم تقدم هذا البعض على نفسه وعلى غيره ، فيعود الفساد السابق ، فلم يبق الا الاحتمال الثالث وهو ان علة المجموعة أمر خارج عنها ، ومعلوم ان الموجود الخارج عن مجموع الممكنات واجب الوجود ، فثبت المرام والمطلوب .

ومن هنا يظهر كمال الظهور ان القول بتأثير الطبيعة شيء غلط يجري على اللسان ، ولا أساس له من الصحة ، لأن ما يسمى بالطبيعة اما صفة لمجموع الكائنات ، أو نفسها ، أو خارج عنها .

فان كانت الطبيعة صفة وخاصة عارضة على مادة الكون وأجزائها ، فمعلوم انها تتأخر عن موصوفها ، أي انه يجب أن تكون المادة موجودة ، ثم يمرض عليها الطبيعة ، فلا يكون تأثير هذا المتأخر في الأمر المتقدم معقولاً ، وكذا ان كانت نفسها أو جزءها ، فانه لا معنى لتأثير الشيء في نفسه ، فحينئذ يجب أن يكون الأمر المسمى بالطبيعة خارجة عنها .

وهذا وان كان خلاف المعقول ، لأنه لا معنى لكون طبيعة الشيء خارجة عنه ، لكننا نسامح ونرضيه جدلاً ، ونقول هذا الأمر الخارج عن مجموع الكائنات المسمى بالطبيعة : اما قوة بلا حياة وعلم وإرادة وقدرة وباقي الصفات الكمالية ، فليس من المعقول أن يكون أمر هكذا منشأ ومؤثراً للكائنات ونظامها وحركاتها وبركاتها وأثارها واستمرارها ، وعقلية أشرف نوع فيها وإدراكاتها .

فلم يبق الا القول بأن الأمر الخارج من هذه المجموعة
 المشهودة ذو قوة وكمال وجمال وجلال واجب الوجود المتعال،
 موصوف بجميع صفات الكمال منزّه عن سمات النقص
 والاختلال . وله الوجود والحياة والعلم والارادة والقدره
 والسمع والبصر والكلام ، وأنه هو المؤثر المطلق ، وهو الذي
 يستند اليه جميع الممكنات الموجودة بالذات ، بلا واسطه في
 الخلق والايجاد ، وان كل سبب من الأسباب يعتبر من الأمور
 العاديه التي جرت عادة الله لخلق الأشياء عندها ، لا بها ،
 وان ذلك المؤثر مختار في جميع أفعاله ، لا يجب عليه شيء ،
 ولا يضطر في حدوث أي أثر منه تعالى عن ذلك علواً كبيراً .
 وحاصل ذلك هو كما أن وجود الكائنات معلوم ومشهود،
 كذلك وجود المؤثر الخارج معلوم ومشهود
 غير أننا لا نعلم ان ذلك المؤثر ما هو وما كنهه وحقيقته ، فان
 العلم بوجود الشيء لا يوجب العلم بحقيقته ، ولا يقدح ذلك
 في الاعتراف بذلك والاعتماد اليه ، فان العلم بالمصوت
 يوجب العلم بالمصوت ، لا بحقيقته ، وانفتاح الباب يوجب
 العلم بوجود الفاتح ، لا بحقيقته ، وآثار البرق والنور
 توجب العلم بوجودهما ، ولا يوجب العلم بماهيتهما ، وعلمك
 بحياتك وعلمك وارادتك وقدرتك يوجب علمك بوجود
 الروح ، أي النفس الناطقه لك ، ولكن لا يوجب العلم
 بماعية روحك ، وليس ذلك الجهل بقادح في علمك ذلك .
 ولذلك ترى كتاب الله سبحانه وتعالى ينطق بوجود
 الباري وحياته وعلمه وارادته وقدرته وسمعه وبصره
 وكلامه ، ولا يتعرض لبيان حقيقته ، وذلك لأن التكليف

لا يتوجه الا بما في الوسع ، وليس في الامكان احاطة الممكن بالواجب ، والثاقص بالكامل ، والمحدود باللا محدود .

لا تبدع الكون كمقد تنظيم وتودع الذر نظام السديم
طبيعة عمياء في ذاتها ~~سما~~ وانما المبدع رب عظيم
وفي عين الوقت تشير الآيات الكريمة الى أدلة قاطعة
تتخير أمامها العقول فيأتي بقوله تعالى (أم خلقوا من غير شيء
أم هم الخالقون) (٢) .

يعني بعد أن شعر الانسان بأنه مخلوق حي مدرك له صفاته وكمالاته ، هل يزعم أنه مخلوق بدون خالق ، وبدون الحاجة الى منشأ ؟ وهو مستحيل بداهة ، أو يزعم ان أفراد هذه السلسلة البشرية بعضها خالق لبعض ، مع ان ذلك من أوضح المستحيلات ؟ وذلك لأن الأب لو كان هو الخالق لولده ، لاختار ولدا يكون أكبر افراد السلسلة تقويما وصورة وسيرة وأثارا ، مع أن كثيرا من الناس يموتون حاملين أسف العقم وعدم وجود النسل ، وكثير منهم يلدون أولادا ضعاف النفوس سخاف الطبع مشوهي الصورة والسيرة يخجل الانسان من صحبته فضلا عن قبول علاقته ونسبته .

ويأتي بقوله تعالى : (أفي الله شك فاطر السموات والأرض) (٣) وهذا يشير الى أقوم البراهين ، وهو برهان السببية ، يعني أن الانسان لما نظر الى هذه الأجرام العلويات

(٢) سورة الطور ، الآية ٣٥

(٣) سورة ابراهيم ، الآية ١٠

بما فيها من الشمس والقمر والكواكب المستضيئة المنورة للكون ، ونظر الى الارض ومعادنها ونباتها وحيوانها ، والى البحر وما فيها من الجواهر والحيوانات العجيبة ، فهل يعقل أن تكون هذه الأشباح والمواد وخيراتها ناشئة بدون سبب وفاعل ؟ وهذه الآية برهان على وجود ذات كامل الصفات مختار في التأثيرات ، وهو الله سبحانه وتعالى .

ويأتي بقوله تعالى (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)^(٤) وهذه مع كونها ناطقة بمنة خلق الزوجات ، لتكون قرينة صاحبها في تأسيس كيان العائلة وكسب الراحة والسعادة ، فهي أيضاً ردّ بأبلغ وجه الى أقوال الزاعمين للصدفة ، وان الكون اثر صدفة واتفاق ، لا فاعل مختار خلاق . فيقول هب ان الاتفاقات المتكررة وصلت الى تكوين رجل عاقل ، فهل يعقل أن تصل الاتفاقات الصدفية الى ترتيب سلسلة من متطلبات هذا الرجل العاقل ؟ لتكوّن في جانبه كائناً آخرأ مماثلاً له في الصورة والظاهر ، ومودعاً فيه آثار الجمال المؤنس ، ومبايناً له في بعض التركيبات الداخلية من الرحم وغيرها ، حتى تكون عوناً للمخلوق الاول في نيل السعادة الأبدية .

وعلى هذا المنوال قوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا)^(٥) ، فهل يعقل ان تصل الصدفة الى خلق حشرات في أرقى درجات الادراك لينام الكورة

(٤) سورة الروم . الآية ٢١

(٥) سورة النحل . الآية ٦٨

ومنافذها على الشكل المسدس الذي قلما يبقى في خلاله فرجات خالية ، ثم يكون فيه عقلية الادارة والرياسة والتبعية والجوقة الموسيقية امام الرئيس وخروجها من الكورة مغنية مطربة حتى يخرج الرئيس فيطير ويطيرون وراءه ، حاشا ثم حاشا ولا مجال لتصور ذلك الا بايحاء خالق حكيم خبير يلهم مخلوقاته الحكمة .

ويرد القرآن الكريم على مزاعم الدهريين الذين ينسبون العوادم الى الدهر وتصريفاته بنص (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون)^(٦) يعني انهم ينسبون خلق الانسان وحياته وبقائه الى اجل ، ومماته الى الدهر ، ويشتباه عليهم الظروف الزمانية بالفاعل القادر المختار ، مع ان هذا الاشتباه لا يليق الا بأبسط الناس عقلا وادراكاً ، وان تلك النسبة نسبة الى ما لا تأثير له الا بحسب الغرض والظن الغير المفيد ، وذلك لأن الدهر عبارة عن المدة والاستمرار الناشيء عن الدورات والحركات المتعاقبة ، وتلك الحركات حاصلة من قدرة القادر المحرك ، وتلك القدرة قدرة واجب الوجود العالم بما يخلقه المختار في تصرفاته ، فالحق هو نسبة الآثار اليه لا الى الحركات الحاصلة في اشياء جامدة خالية عن العقل والشعور والارادة .

وهكذا يرد القرآن الكريم على التعطيل والصدفة وتأثير القوى اللا شعورية ، والدهر والطبيعة ، بمباراة سهلة سليمة خالية عن التعمق والتكلف ، وفي عين الوقت تأتي بالأدلة الدامغة للأوهام الدافعة للاشتباهات السائقة لأولى العقل الى الحق واليقين .

ويدعو في كثير من الآيات الى التوحيد والاعتراف بأن خالق الكون واحد ، لأن الخالق انما يليق بالخلق والايهاد والابداع ، اذا كان قادرا مختارا له الخلق والأمر ، وحينئذ لا معنى لاعتبار الشريك معه ، لا سيما اذا كان الشريك مما لا حول له ولا طول ، فيقول (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم)^(٧) ويقول (الله لا اله الا هو الحي القيوم)^(٨) ويقول (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والأرض)^(٩) وربما يتحدثى المشركين بأنه يفعل أشياء عظيمة عجيبة فهل من الشركاء من يفعل مثل ذلك فيقول (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون)^(١٠) .

وربما يأتي بدليل واضح جلي اعتيادي على التوحيد ، مثل قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)^(١١) فان ظاهر الآية دليل القناعي خطابي مبني على أن تعدد الشركاء

(٧) سورة البقرة ، الآية ١٦٣

(٨) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥

(٩) سورة الزمر ، الآية ٦٢

(١٠) سورة يونس ، الآية ٣٤

(١١) سورة الانبياء ، الآية ٢٢

يوجب النزاع والاضطراب وعدم انتظام الامور ، وهو حق لا يكاد أن يقع خلافه الا نادرا ، كما ان حقيقتها دليل برهاني على التوحيد ، وتقريره أنه لو كان فيهما آلهة بالمعنى الصحيح للالوهية ، لأمكن بينهم التمانع ، ولو أمكن بينهم التمانع ، لزم امكان عجز كل منهم ، ولو أمكن عجز كل منهم ، لم يكن شيء منهم آله ، ولو لم يكن شيء منهم آله ، لم يوجد السماء والأرض وغيرهما ، فيكون المراد بفساد السموات والأرض انتفاؤهما وعدم خروجهما الى الوجود ، كما قررها علماء التوحيد .

والحاصل ان الآيات القرآنية ، وان دلت بسلامة العبارة على المقصود ، ولكنها محتوية على تحقيقات وتدقيقات لا يصل اليها ، الا عقول العلماء الاعلام ، وهذه أيضا في حد ذاتها دليل على أن القرآن كلام الله ، ويستدل به على وجوده سبحانه وتعالى من طريق خروجه عن طوق البشر .

الصفات

ويأتي القرآن الكريم بذكر صفات الباري سبحانه بصورة جلية مفهومة لعامة أهل العقل ، مع أنها فيها إفادة لدقائق وحقايق تندهرش أمامها عقول الفحول ، فيأتي في سورة موجزة بجميع صفاته تعالى فيقول (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)^(١) .

قل يا أيها الرسول الجليل في جواب من يسألك عن وصفي : الشأن ان الذات المعلم يلفظ (الله) : العلم على الذات الواجب الوجود الجامع لجميع الكمالات والمنزه عن كل نقص (أحد) فرد واحد في حقيقة ذاته ، ولا يماثله شيء ، وفرد لا نظير له في صفاته ، وهو الكامل المطلق ، فاندرج في تلك المفردات الموجزة ذاته وصفاته النفسية والسلبية والثبوتية ، وما ذكر بعدها ايضاح لها وجملة (الله الصمد) أي المصمود اليه في كل شيء فجميع ما سواء محتاج اليه ، أي أنه تعالى قائم بالذات ، وغيره قائم به لا يحتاج الى أي شيء ، وغيره محتاج اليه في كل شيء (لم يلد) أحدا لاستغنائه عن ينوب عنه كالولد للوالد ، فهو آخر الآخرين والباقي أبدا الأبدين (ولم يولد) من أحد ولم يستند الوجود من أي مصدر ، فهو الواجب الوجود الأزلي (ولم يكن له كفوا أحد) لا يماثله أي شيء بحال من الأحوال ، فليس جسما ولا جوهرًا ولا عرضا ، فاندرج في صمدانيته وجوده الواجب وحياته

وعلمه وإرادته وقدرته وسمعه وبصره وكلامه ، لأن من لم يكن موصوفاً بتلك الصفات لا يكون معبوداً إليه لكل شيء في كل شيء ، واندرج بقاؤه في قوله (لم يلد) كما اندرجت أزليته في قوله (ولم يولد) واندرج عدم مماثلته لما سواء مطلقاً في قوله (ولم يكن له كفواً أحد) * كما أفاد وحدته ، وعدم وجود المماثلة له في وجوب الوجود ، وفي الخالقية وفي المعبودية ، هذه الوحدة التي بها كمال التوحيد لكل مؤمن موحد .

ويفيد أزليته وأبديته ، أي قدمه وبقائه وظهوره أمام المقول بالأثار ، وخفاءه بالكنه والحقيقة على أساس الاستأثار ، أي أن العالم بذاته وصفاته هو ذاته فقط قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)^(٢) ، وذلك لأن الأولية الحقيقية لا يتحقق ، إلا بالأزلية كما أن البقاء بمعناه السليم ، لا يتحقق إلا بالأبدية والآخرية .

ويأتي القرآن الكريم يذكر صفاته الباقية في صياغة حسنة مفهومة ، فيأتي ببيان حياته تعالى بقوله (الحي القيوم)^(٣) وفي عين الوقت أفادت علة حياته تعالى بأنه قيوم للجميع ومدير لأمرها ، والتدبير والقيومة ، لا يمكن إلا من

(٢) سورة الحديد ، الآية ٣

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥

الحي لبداهة أن الموت والجمود ينافيان الإدارة والمراقبة وهو ظاهر .

ويذكر القرآن الكريم صفة علمه تعالى بأبلغ العبارات فيقول (إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون)^(٤) . ويقول (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصفر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين)^(٥) فينسب العلم بالكليات والجزئيات إلى الله سبحانه ، ويرد على الجهلة المتفلسفة الذين أنكروا علمه تعالى بالجزئيات بما لا مزيد عليه ، ويقول (إلا يعلم من خلق وهو اللطيف)^(٦) يستنكر عدم علمه ويثبت علمه ، ويستدل عليه بأنه خالق ، والخالق لا بد أن يكون عالما بما يخلقه معنويا أو ماديا ، بسيطا أو مركبا من الاجزاء ، ويعلم بقدرها وحالتها ومآلها ، والا فلا يميز شيئا عن شيء ولا يصل إلى إيجاد شيء .

ثم في القرآن الكريم صفة إرادته ، أي أنه تعالى حسب علمه الأزلي بالكائنات يخصص شيئا بالجد وشيئا بالعدم ، وينفذ ما أَرَادَهُ بقدرته، واختياره فيقول (انه هو يبدى ويعيد . وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد)^(٧) . ويرشد إلى أن كل ما يفعله سبحانه فهو بإرادته ، ويرد على

(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٦

(٥) سورة يونس ، الآية ٦١

(٦) سورة الملك ، الآية ١٢

(٧) سورة البروج ، الآية ١٣ - ١٦

من يقول بجزء تعالى واضطراره ، ووجوب شيء عليه تعالى
عن ذلك •

وكذلك يصرح بقدرته وسيطرته على كل ممكن من
الممكنات سواء كان جاريا على سننه الكونية الاعتيادية، أو على
طريق خرق المادة ، فيقول (وهو على كل شيء قدير)^(٨)
ويقول (والسمااء رفعها ووضع الميزان)^(٩) ويقول
(سبحان الذي أمرى بعبد ليله من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى)^(١٠) •

ويصرح بأنه سميع بصير فيقول (ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو رابعهم ولا غيبة الا هو سادسهم ولا أدنى من
ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا)^(١١) ويقول في شأن
الرسول صلى الله عليه وسلم والمرأة المجادلة (والله يسمع
تعاوركما ان الله سميع بصير)^(١٢) ويعلم كلام الله سبحانه
في آيات (وكلم الله موسى تكليما)^(١٣) • (منهم من كلم الله
ورفع بعضهم درجات)^(١٤) • (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه
ربه قال رب أرني أنظر إليك)^(١٥) • (اني اصطفيتك على

(٨) سورة هود ، الآية ٤٠
(٩) سورة الرحمن ، الآية ٧
(١٠) سورة الاسراء ، الآية ١
(١١) سورة المجادلة ، الآية ٧
(١٢) سورة المجادلة ، الآية ١
(١٣) سورة النساء ، الآية ١٦٣
(١٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥٣
(١٥) سورة الاعراف ، الآية ١٤٣

الناس برسالاتي وبكلامي) (١٦) . (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء انه عليّ حكيم) (١٧) . الى غير ذلك من الآيات البيّنات الناطقة بصفاته تعالى .

ونحن سمعناها وأخذناها وأما بها وفوضنا كتبها اليه تعالى ، ذلك انا اذا راجعنا أنفسنا وجدنا علمنا مسسورا وانكشافات نفسية ناقصة عن الاحاطة بكثير ووافية ببعض الأشياء ، ووجدنا ارادة وتخصيمات لفعل أشياء أو تركها ، وربما نعجز عن تنفيذ ما أردناه ، ونجد قدرتنا قاصرة لا تتوجه الى أشياء بسيطة وان سمعنا : بوصول الهوام المتكيف بكيفية الصوت الى الصماخ ، وان أبصارنا : بانكشاف صورة المرئي لنا سواء كان الانكشاف بالانطباع أو بخروج الخطوط الشعاعية من الحدقة الى المرئي ، وان كلامنا النفسي عبارة عن قوة تنبث منها عبارات نفسية مغزونة تناسب العلم والارادة . وان كلامنا اللفظي عبارة عن أصوات مقطعة في مخارج متعددة يتركب منها المفردات والجمال ، وكل ذلك لا يكون فينا الا محدودا معدودا ، وأما تلك الصفات بالنسبة اليه فليست على ذلك المنهج فعلمه شامل أزلي أبدي ثابت ، وارادته أزلية وقدرته أزلية نافذة حسب تعلق العلم والارادة ، وان سمعه وبصره (كشفاً) أخران لا مناسبة بينهما وبين ما عندنا ، فيقال في التعاليم ان سمع الله بالنسبة الى

(١٦) سورة الاحراف ، الآية ١٤٤

(١٧) سورة الشورى ، الآية ٥١

صوت ديبب نملة صغيرة على صخرة ملساء أعلى من صوت
 نعال جواد ركبته فارس عظيم الهيكل يركض به على حجارة
 خشنة ، وكذلك كلامه تعالى بعيد عن مناسبته لكلامنا ، فما
 يقول بعض علمائنا الاعلام ان سيدنا موسى كان يسمع
 كلامه^(١٨) سبحانه من جميع الجهات . لا من جهة واحدة
 وبجميع ذرات جسده لا بالسمع فقط ، وليس من مقدورنا
 الاحاطة بكنه ذاته تعالى ، ولا بكنه صفاته ، بل ولا بكنه
 الأشياء المحسوسة عندنا ، وانما نعرف منها خواص وأوصافا
 نميز بها بعضها عن بعض ، ونستفيد من تلك الصفات
 والآثار بقدر تيسر الله تعالى لنا . فشأننا في هذه الصفات
 الأزلية لا يتعدى عن ذلك ، فالآثار تدل دلالة قاطعة على ذاته
 تعالى وصفاته حياته وعلمه وإرادته وقدرته وكلامه وغير
 ذلك ، بحيث لا يبقى مجال شبهة للماقل المنصف ، وما أتانا
 الرسول الاعظم بشيء فوق مقدورنا (وما آتاكم الرسول
 فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)^(١٩) ، فاننا نؤمن بالله
 وصفاته لا نمثل ولا نشبه ونسلك سبيل الاعتدال على
 الصراط المستقيم فاسلك أيديك الله (وقل انني هداني ربي
 الى صراط مستقيم)^(٢٠) .

(١٨) قال الامام الغزالي - رحمه الله - : ان سيدنا موسى سمع
 كلام الله بغير حرف ولا صوت ، كما يرى الابراز ذات الله في الآخرة من
 غير جوهر ولا عرض . الاحياء (٨٠/١) منه .
 (١٩) سورة الحشر ، الآية ٧
 (٢٠) سورة الانعام ، الآية ١٦١

زبدة وخلاصة

تكلّمنا في هذه الصفحات عن ذات الباري سبحانه وتعالى وصفاته بما يناسب المقام ، وما ينبغي أن تعلم أن الإنسان ليس مخلوقا خلق سدى ، وإنما خلق لتحمل مسؤوليات عظيمة شاء أو أبى ، فهو كشخص وقع في فلاة تركه أصحابه ، فيجب عليه الجهد بقدر المستطاع للنجاة والغلاص ، فلا يمكن للماعقل أن لا ينظر الى نفسه الضعيفة الغير القادرة على تكوين شخصه وما يحتاج اليه ، ولذلك علمنا هنا أن الإنسان من سابق الأزمان الى الآن اعتبر واستبصر وتفكر ونظّر وجاهد واجتهد ، كي يعلم الحقيقة ويصل الى ما تطمئن له قلبه ، فمنهم من شرح الله صدره ووهبه ادراكا وحضورا واطمئنانا لا يحتاج بعده الى دليل وتعليل ، كما روى عن سيدنا علي رضي الله عنه انه قال (لو كشف الغطاء ما زدت يقينا) أي لو شاهدت ربي بعين باصري ما حصل لي يقين أعلى مما وهبه الله تعالى ونور به عين بصيرتي . وهذا هو مقام الحضور والشهود ، والمطيع في هذا المقام محسن أي انه يعبد الله كأنه يراء فان لم يكن يرى ربه فيوقن بأن الله يراء . ومنهم من آتاه الله مقام الاستدلال ، فاستدل على ذات الباري وصفاته ، وكل ما استدل به حسب الاستقراء لم يخرج عن وجوه افادها القرآن الكريم بسلامة المنطوق ووضوح الدلالة .

ذلك أن استدلالهم على وجوه :

الأول - الاستدلال على ذات الباري بإمكان السموات والأرض وما فيها ، أي أنها موجودات ممكنة يستوي وجودها وعدمها ، أي لا يجب وجودها ولا يجب عدمها ، وذوات كذلك تفتقر الى ذات واجب الوجود يكون مبدءاً لها ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد)^(١) أي أنتم الممكنات المحتاجة الى مبدء غير محتاج ، وذلك المبدأ الغني هو الله الحميد في كافة شؤنه فاذا كان أشرف الموجودات كذلك فالجوامد والمواد الغير الحساسة كذلك بالأولى .

الثاني - الاستدلال بإمكان صفات الممكنات ، أي ان كل صفة من صفاتها يستوي وجودها وعدمها ، فعلوية الأجرام العلوية واستدارتها واستنارتها وحركاتها وعوارضها وعوارض الاجرام السفلية تتطور وتتحول وتتغير فهي من المحتاجات الى باريها يأتي بها اذا شاء ويزيلها اذا شاء واليه الاشارة في قوله تعالى (جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً)^(٢) فانبساط الكرة وهداتها وصعاريها وجبالها ، وجريان عيونها واخضرارها وجديها، وعواصف الجو ونزول امطارها وضياؤها وظلماتها كلها مما يتقلب ويتغير ومبدؤها هو الله الخالق الحكيم . .

(١) سورة فاطر ، الآية ١٥

(٢) سورة غافر ، الآية ٦٤

ثالثها - الاستدلال بحدوث الأجسام وزوالها ، واليه الإشارة بقوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه السلام (فلما أقبل قال لا أحب الأفلين)^(٣) أي فلما زال القمر وانتقل من الأفق قال لا أحب الزائلين .

رابعها - الاستدلال بحدوث الأعراض والصفات في الأنفس والأفانق ، أما دلالة حدوث الصفات في الانفس ، فلأن كل أحد يعلم أنه لم يكن موجودا قبل ولادته ، وهو الآن موجود بهذا الهيكل والموارض والصفات يولد صغيرا فينمو ، يصبح فيتمرض ، يحزن ويفرح ، يقوى ويضعف ، وكل ما يوجد بعد العدم لا بد له من موجد ، وذلك الموجد ليس نفسه ولا الابوان ولا سائر الناس ، لأن عجزهم عن ابداع مثل هذا الموجود معلوم بالبديهة ، فلا بد من موجد يخالف هذه الموجودات حتى يصح منه ايجاد هذه الموجودات بحكمة واتقان . ولما توهم متوهم لم لا يجوز أن يكون لطبائع الأرض والسماء والفصول والأفلاك والنجوم دخل وتأثير ، ألقت الله أنظار المقلد الى رد ذلك بقوله (أنتم أشد خلقا أم السماء بنيها رفع سمكها فسويها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحيا أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرسيا)^(٤) أي ان كل ما يتوهم أنه مؤثر فهو ضعيف ومخلوق ومتأثر بسيطرة القادر العزيز .

ومن هنا يتبين أيضا دلالة الأفانق على العليم الخلاق ،

(٣) سورة الانعام ، الآية ٧٦

(٤) سورة النازعات ، الآية ٢٧ - ٣٢

فالأرض والجبال جبال يتصرف البارئ سبحانه وتعالى في هذه الأجزاء السفلية والعلوية . فيكون في بعض الأراضى والجبال العيون والمعادن والأشجار . وفي بعضها لا يوجد أثر من ذلك . وجعل أضواء النجوم على أوجه مختلفة بالزيادة والنقص وسخرها لمشيئته وأرادته فسبحان الله عما يصفون .

ومما يجب أن يعلم أنه ليس الغرض من الآيات القرآنية ودلائلها المجادلة ، بل الغاية تحصيل العقائد الحقّة وتوجيه العباد إلى الله وأطمئنان قلوبهم ، فالدين وعظ وارشاد ومجاملة ، لا مراء ونزاع ومجادلة ، فالمنصف يجب أن ينظر بنفسه لنفسه حتى يستوي ويعتدل ويراعي جانب نفسه وجانب قدسه ، فأشرف الأوصاف هو الانصاف ، وأكمل الأحوال هو الاعتدال ، ولذلك نرى ونسمع أن العارفين لم يأتوا في هذا الموضوع إلا بما يجذب القلوب إلى المطلوب ، بالتعبير اللطيف وحسن الأسلوب .

ومن ذلك ما يحكى أن جمعا من الدهرية دخلوا المسجد الذي فيه الإمام أبو حنيفة يريدون قتله ، فقال لهم : أجيبيوني عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم ، فقالوا له هات ، فقال : ما تقولون في رجل يقول لكم اني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال معلومة بالأثقال ، قد احتوشها في البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة ، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها ، ولا متعهد يدفنها ، هل يجوز ذلك في العقل ؟ قالوا لا ، هذا شيء لا يقبله العقل ، فقال أبو حنيفة : يا سبحان الله إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر

مستوية من غير متمهد ولا مجر ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ؟ فبكوا جميعا وقالوا : صدقت وأغمدوا سيوفهم وتابوا .

وسئل مرة أخرى عن الخالق المختار فتمسك بأن الوالد يريد أن يولد له ذكر فيولد أنثى ، وبالعكس ، فدل هذا على الصانع .

وسأل هارون مالكا عن ذلك فاستدل باختلاف الأصوات وتردد النغمات وتفاوت اللغات .

وسئل الشافعي رضي الله عنه ما الدليل على وجود الصانع ، فقال : ورقة الفرساد طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم قالوا نعم قال فتأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم ، وتأكلها النحل فتخرج منها العسل ، وتأكلها الشاة فيخرج منها البعر ، وتأكلها الطيامة فيتعقد في نوافجها المسك ، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد ، فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا على يده وهم سبعة عشر .

وسئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، فقال : قلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الأبريز ، ثم انتشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير فلا بد من الفاعل ، يريد بالقلعة : البيضة ، وبالحيوان : الفرخ .

رؤيته سبحانه وتعالى

ومن أحواله جل شأنه انه يراء المؤمنون يوم القيامة عياناً يعيرون رؤوسهم مطمئنة بها نفوسهم مستغرقة في أنوار تجلياته الحسنى التي لا حصى فوقها قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (*) وفُسرت الزيادة بالرؤية لوجهه الكريم وقد ثبت في أحاديث كثيرة وروايات مختلفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم رؤية المؤمنين ذات الباري سبحانه .

في تفسير القرطبي وروى جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوساً فنظر الى القمر ليلة البدر ، فقال : انكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا . ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، (متفق عليه)

وأخرجه أيضا أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح . وقال السعد في شرحه للنسفية ان حديث الرؤية رواه واحد وعشرون من أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم (١) .

(*) سورة يونس الآية ١٠

(١) قال السيوطي قلت اما بهذا اللفظ فأخرجه الشيخان من حديث جرير البجلي ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري . وأخرجه اللالكائي من حديث حذيفة بن اليمان . وأخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي ذؤين العجلي ولا سادس لهم .

وأما مطلق الرؤية من غير تقييد بهذا اللفظ فورد من حديث أبي بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، وأنس ، وجابر بن عبد الله ،

ويدل على امتياز المؤمنين بهذه الزيادة العظمى قوله سبحانه وتعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة)^(٢) والتفسير : وجوه يوم القيامة حسنة متنعمة ذات نظارة وبهجة ناظرة الى وجه ربها الكريم . ووجوه يوم القيامة كالحة عابسة توقن وتعلم انه يفعل بها ما لا يستوفيه الا الداهية الكبرى والبليّة العظمى . ويدل على حرمان الكفار ايضاً عن هذه النعمة قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)^(٣) ، وهذا الذي ذكرناه من تمتع المؤمنين برؤية الله يوم القيامة ، ومنع الكفار عنها مذهب جمهور أهل السنة والجماعة .

ومخالفة أهل البدعة ساقطة عن الاعتبار ، واستدلّاهم بأية (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار)^(٤) مردود بحمل ذلك على الدنيا ، أو على الادراك بحيث يوصل الى كشف شخصيته الكريمة ، ويدل على ذلك آخر الآية الشريفة أي (وهو اللطيف الخبير) فان اللطيف لا يدرك تمام الادراك . ثم يستفاد من قوله : وهو يدرك الابصار انه تعالى

وزيد بن ثابت ، وصهيب ، وعبد بن الصامت ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعدي بن حاتم ، وعمار بن ياسر ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عجرة ، وابي موسى .

انظر تخريج الاحاديث والآثار في شرح العقائد النسفية للسيوطي مخطوط .

(٢) سورة القيامة ، الآية ٢٢

(٣) سورة المطففين ، الآية ١٥

(٤) سورة الانعام ، الآية ١٠٣

يرينا ويرى أبصارنا فكما تحقق رؤيته لنا يتحقق رؤيتنا
له بلا شبهة والحمد لله .

وأما استنادهم الى اعتبار شروط في الرؤية يستحيل
تحققها في رؤية الباري سبحانه فساقط ، لأنه قياس الغائب
على الشاهد وهو قياس فاسد كاسد ، ومن شئ على ذلك شئ
على أشواك ، فإن الجنة ونعيمها وأهلها خالدة مؤبدة ، وإن
ثمارها دائمة وظلها دائم ، وإن أهل الجنة يتمتعون بلا أذى
مادي أو معنوي وإن نتايج مأكولاتهم ومشروباتهم ورشحات
عرق تخرج وتضوح ، وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ، ويستفاد من
ذلك أن قوى عالم الآخرة غير قوى عالم الدنيا ، وإن الله قادر
على كل شئ ، فلا مانع عقلا ونقلا على تنعيم المؤمنين برؤية
ذاته (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
المعظم) (٨) .



(الملائكة)

الايمان بوجود الملائكة ، وهم أجسام لطيفة نورانية قادرة باذن الله تعالى على التشكل بأشكال مختلفة طيبة نظيفة .

ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أوصافهم وأصنافهم ، وأوصافهم كثيرة : أحدها الرسالة لبعض منهم بين الله تعالى وأنبيائه ورسله ، أي انهم يوصلون وحيه تعالى اليهم قال تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا)^(١) والثاني اجتنابهم عن النواهي وامثالهم للأوامر قال تعالى : (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)^(٢) .

وأما ما دار على الألسنة من قصة هاروت وماروت ، من أنهما ابتليا بالمعصية فكذب صريح لا أصل له ولا أساس ، لانه على قراءة الملكين (بكسر اللام) وهي قراءة متواترة ، فالأمر واضح ، لانه يتبين أنهما لم يكونا من الملائكة بل من الملوك ، وكانا عالمين بالسحر ويعلمانه الناس مع التوصية على أن لا يكفروا بمزاولته ، بل يتعلمونه ليقوا أنفسهم من شر السحر . وأما على قراءة الملكين (بالفتح) فتعليمهما الناس السحر كان حكمة من الله حتى يميز الناس المعجزات

(١) سورة الحج ، الآية ٧٥

(٢) سورة التحريم ، الآية ٦

والكرامات من السر ، وحتى يحفظوا أنفسهم من الوقوع في شبكة السحرة ، وظاهر الآية دال على هذا المعنى . فان قيل كيف يعقل ثبوت القرائتين مع منافاتهما . قلنا : لا منافاة ، لأنه على قراءة الكسر يستفاد أنهما كانا ملكين من ملوك بابل وكانا صاحبي إيمان وأخلاق ولذلك يوصون الناس بالخير . وأما على قراءة الملكين (بالفتح) فمعناها أنهما مع كونهما من الملائكة كانا من كبار الملائكة وفي درجة الملوك بينهم^(٣) .

والوصف الثالث دوام طاعتهم قال تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون)^(٤) .

والرابع خوفهم من الله تعالى ، قال تعالى (وهم من خشية ربهم مشفقون)^(٥) .

الخامس قرب منزلتهم ورفعة درجاتهم لقوله تعالى (بل عباد مكرمون)^(٦) .

السادس أنهم لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة قال تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن آتيا أشهادوا خلقهم)^(٧) استنكر الله تعالى اعتقاد الكفار أنوثة الملائكة ،

(٣) للتأكد من صحة كلام الاستاذ ومثاقته بإمكانك أن تراجع تفسير الامام فخر الدين الرازي عند قوله تعالى (وما أنزل على الملكين ببابن هاروت وماروت) سورة البقرة ، آية ١٠٢

(٤) سورة الانبياء ، الآية ٢٠

(٥) سورة الانبياء ، الآية ٢٨

(٦) سورة الانبياء ، الآية ٢٦

(٧) سورة الزخرف ، الآية ١٩

وإذا لم يكن فيهم أنثى لا يكون فيهم الذكور أيضا ، لأن إباء
الماهية النوعية عن أحد الزوجين يقتضي إباءها عن الآخر
كما حقق في محله .

وأما الأصناف فكثيرة أيضا : أحدها - حمة العرش قال
تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) (٨) .

الثاني - الحافون حول العرش لقوله تعالى (حافين من
حول العرش يسبحون بحمد ربهم) (٩) .

الثالث - أكابر الملائكة ، ومنهم جبريل وميكائيل
صلوات الله عليهما لقوله (من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين) (١٠) ومنهم عزرائيل
واسرافيل كما ورد في الآثار الكثيرة .

الرابع - المتهبون لنصر أولياء الله وقهر أعدائه كما في
قوله تعالى (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) (١١) .

الخامس - ملائكة الجنة لقوله تعالى (والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب) (١٢) .

(٨) سورة الحاقة ، الآية ١٧

(٩) سورة الزمر ، الآية ٢٥

(١٠) سورة البقرة ، الآية ٩٨

(١١) سورة آل عمران ، الآية ١٢٤

(١٢) سورة الرعد ، الآية ٢٣

- السادس - ملائكة النار لقوله تعالى (عليها تسعة عشر) (١٣) .
- السابع - الموكلون ببني آدم لقوله تعالى (ما يلفظ من قوله الا لديه رقيب عتيد) (١٤) .
- الثامن - من كتبة الاعمال لقوله تعالى (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين) (١٥) .
- التاسع - مأمور سؤال الموتى كما ورد في الحديث الشريف « انه يأتي الميت ملكان يسألانه عن ربه وعن دينه » الى آخره (١٦) .
- العاشر - الموكلون بأحوال العالم وهم المرادون بقوله تعالى (والصافات صفا) (١٧) وقوله (والذاريات ذروا) (١٨) الى قوله (فالمقسمات أمرا) ويقوله تعالى (والنازعات غرقا والناشطات نشطا) (١٩) الى قوله (فالمدهرات) وغيرهم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله قال تعالى (وما يعلم جنود ربك الا هو) (٢٠) .

-
- (١٣) سورة المدثر ، ٣٠
- (١٤) سورة ق ، الآية ١٨
- (١٥) سورة الانفطار ، الآية ١٠
- (١٦) عند مسلم جاء في حديث طويل يلفظ « يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل » الحديث . انظر شرح النووي في هامش التفسير (٣٢١/١٠) .
- (١٧) سورة الصافات ، الآية ١
- (١٨) سورة الذاريات ، الآية ١ - ٤
- (١٩) سورة النازعات ، الآية ١ - ٤
- (٢٠) سورة المدثر ، الآية ٣١

(الجن)

الايمان بالجن ، وهم أجسام لطيفة نارية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مطلقا ، ويوصفون بالذكر والأنوثة ، وأبوهم الأول الجان ، وقد قال تعالى (والجان خلقناه من قبل من نار السموم)^(١) ، وفيهم المطيع والعاصي وقد أرسل اليهم الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، والكافرون منهم شأنهم الاستكبار والظفیان والكفر واغواء الناس ولا تأثير لهم في أي شيء الا بإذن الله تعالى ، قال تعالى (واذا صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين)^(٢) ، وقال (قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرأنا عجبا يهدى الى الرشـد فأمنا به)^(٣) الآية . والشياطين من ذرية ابليس ، و ابليس من الجن لقوله تعالى (كان من الجن ففسق عن أمر ربه)^(٤) .

ولا يمتنع ظهور الملائكة والجن والشياطين على بعض الابصار في بعض الاحوال ، والحاصل ان وجود الملائكة والجن والشياطين مما ورد به نصوص الدين من الكتاب والسنة وان انكار وجودهم خروج عن الدين وكفر صريح .

(١) سورة الحجر ، الآية ٢٧

(٢) سورة الاحقاف ، الآية ٢٩

(٣) سورة الجن ، الآية ١ - ٢

(٤) سورة الكهف ، الآية ٥٠

ولا يمتنع ظهور الملائكة والجن والشياطين على بعض
الآبصار في بعض لأحوال دون بعض .

وليس كل مالا يدرك بالبصر مسدوماً فإن في الكون
أشياء لم تنكشف للناس إلى يومنا هذا ولم يبصره أحد مع
ان الاختراعات المتتالية تفيد وجودها ووجود أمثالها .



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) و
قال أيضاً (خلوا العلم من الفواه الرجال).

و من لم تيسر له صحبة الصالحين وجب له ان يذكر كتباً من تأليفات عالم
صالح و صاحب إخلاص مثل الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الحظي و السيد
عبد الحكيم الأرواسي الشافعي و أحمد التيجاني المالكي و يتعلم الدين من هذه
الكتب و يسمى تشر كتب أهل السنة بين الناس و من لم يكن صاحب العلم أو
العمل أو الإخلاص و يدعى أنه من العلماء الحق و هو من الكاذبين من علماء
السوء. و اعلم أن علماء أهل السنة هم المحافظون الدين الإسلامي و أما علماء السوء
هم جنود الشياطين. [١]

(١) لا خير في تعلم علم ما لم يكن بقصد العمل به مع الإخلاص (المقدمة الثانية ج: ١ ص: ٣٦٦، ٣٦٧ و
المكتوب ٣٦، ٤٠، ٥٩ من المجلد الأول من المكتوبات للإمام الرباني المجدد للألف الثاني قدس سره).

الكتب

ومن نور الاسلام الايمان بالكتب المنزلة
على الرسل من الله سبحانه وتعالى اجمالا
وتفصيلا - اما الاجمال ففي ما لم يصل اليها تفصيله ،
فنؤمن بأنه سبحانه وتعالى أنزل الصحف على ساداتنا : آدم ،
وشيث ، وادريس ، وابراهيم ، وغيرهم من المرسلين ،
والمشهور ان المنزل على سيدنا آدم عشرة صحائف ، وعلى شيث
خمسون ، وعلى ادريس ثلاثون ، وعلى ابراهيم عشرة ،
والمجموع مع الكتب الأربعة مائة وأربعة كتب ، والرسول
الذي لم ينزل عليه مستقلا كان يعمل بالكتاب السابق .

وأما التفصيل فبأن تؤمن بأن الله تعالى أنزل التوراة على
موسى ، والزبور على داود ، والانجيل على عيسى ، والقرآن
الكريم على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى سائر اخواته أجمعين .

ولا بد في الايمان بالكتب من أمور :

الأول - الايمان بأن هذه الكتب وحي من الله تعالى الى
رسله ، وأنه ليست من الأمور الاكتسابية ، ولا من قبيل
الكهانة والسحر ، ولا من باب القاء الشياطين والأرواح
الخبثة .

والثاني - الايمان بأن هذه الكتب المنزلة نزلت مع
جبريل الأمين ، ولم يكن في امكان أي جن أو انس التعرض
لها والقاء شيء من ضلالتهم فيها كما قال تعالى (وبالحق
أنزلناه وبالحق نزل)^(١) .

والثالث - الايمان بأن الكتاب المنزل على سيدنا محمد
لم يتطرق اليه خلل وعيب منذ نزل بالحق الى يومنا وسيبقى
هكذا لقوله تعالى : (انما نحن نزلنا الذكر وانما له
لحافظون)^(٢) .

والرابع - الايمان بأن القرآن مشتمل على آيات
محكمات هن أم الكتاب وآيات متشابهة . وان المحكمات
حاكمة على المتشابهات فلا يجوز في المتشابهات اعتقاد معنى
يخالف النصوص المحكمة .

ولنا في المتشابهات رأيان :

الأول - الايمان بها وتفويض المعنى المراد منها الى الله
سبحانه وتعالى ، فلا نتكلم في تفسيرها وتأويلها ونقف عندها
وقفة الاحترام والاجلال ، وتفويض المراد منها الى الله المتعال ،
وهذا رأي السلف .

والثاني - تأويلها تأويلا صحيحا سليما ماشيا مع
مقتضيات الآيات المحكمات حيث ان الآيات جاءت للارشاد

(١) سورة الاسراء ، الآية ١٠٥

(٢) سورة الحجر ، الآية ٩

والاصلاح وانما يقيس الارشاد بما يفهم معناه ومنزاه ،
وهذا رأي الخلف رضي الله تعالى عنهم اجمعين .

وبحثنا نحن المسلمين مع القرآن الكريم ، فانه اصل
ديننا ودستور الهي أنزله الباري سبحانه وتعالى الى حبيبه
محمد صلى الله عليه وسلم .

فالقرآن هو الكتاب المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم في مدة ثلاث وعشرين سنة ، للعمل بمقتضاه عقيدة
وعملا ، والتعبد بتلاوته ، والاعجاز بمقدار أقصر سورة
منه وكان مبدأ نزول هذا القرآن على سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم في السابع عشر من رمضان المبارك الواقع في العام
الأربعين من عمره الشريف ، وكان صلى الله عليه وسلم في غار
(حراء) من بعض جبال نواحي مكة المكرمة ، وأول ما نزل
عليه بسم الله الرحمن الرحيم (اقرأ باسم ربك الذي خلق ،
خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم
بالقلم) (٣) .

وبعد ذلك نزل بالتدريج حسب ما اقتضته الحكمة
الالهية في مدة ثلاث وعشرين سنة وأخر ما نزل منه آية
(واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت
وهي لا يظلمون) (٤) .

(٣) انظر صحيح البخاري باب كيف كان هذا الوحي قبل كتاب
الايمان .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٦ . فمن اراد المزيد بإمكانه ان يراجع
كتاب البرهان في علوم القرآن ١/٢٠٩ .

وكان نزول أمين الوحي جبريل عليه السلام على أوجه منها انه يتمثل له بصورة ملكية مهيبة ، ومنها انه يتمثل بصورة انسان مقتدل يسمى (بدحية) وهو من أصحابه صلى الله عليه وسلم ، ومنها انه يأتيه بلا انكشاف الصورة مع صلصلة كصلصلة الجرس يسمعها الرسول صلى الله عليه وسلم وينيب عن حالته الاعتيادية ، وذلك أشد أحوال نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم .

ولما كان أوقات مبادئ دعوى الرسالة منه وإيمان الناس به أوقاتا حرجة دقيقة ، وكان من يدخل في الاسلام يدخل في أفق واسعة من انشراح الصدر ، وفي عين الوقت يدخل في موجة رهيبة من الأضطهاد والأذى يتمدى المشركين ، وكانت الدعوة في اختفاء ، ما أمكنهم الكتابة بصورة واسعة وإنما يحفظون ما قرأه عليهم الرسول عن ظهر القلب وتلاوته وتكراره ، مع العلم ان أمة العرب كانت أمة أمية ، وكان اعتمادهم في قصصهم وأديبهم على الحفظ في الصدور ، فأخذ القرآن موقع الصدارة من صدورهم ، لا سيما وكان ينبعث القرآن من عالم الغيب المتلاطم بموجات الأنوار ، ويحدث بكل ما نزل من الآيات تطور لقلوب المسلمين ، ويخرج من درجة الى درجة أعلى كلما (تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) (*) .

الى أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة واستقر بها المسلمون ، فأمر رجسالا كراما من الصحابة بكتابة الوحي من أول ما نزل الى ذلك اليوم ومن ذلك التاريخ الى وفاته عليه الصلاة والسلام .

وبلغ عدد كتاب الوحي نيفا وأربعين شخصا منهم الخلفاء الراشدون ، وسماوية بن أبي سفيان ، وزيد بن ثابت ، وأبي ابن كعب وغيرهم كما هو مذكور في كتب السير . وبما انه لم يكن اذ ذاك أوراق قرطاسية وما كان الناس يتمكنون من صحائف جلود مصفاة كانت كتابتهم على عظام الاكتشاف وسفوف النخل والحجارة الملساء ، وكان أخص الناس بكتابة الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ، وكان كل ما نزل من الوحي يبلغه الرسول عليه الصلاة والسلام اليهم والى غيرهم فيكتبونه ويحفظونه يكررونه أثناء الليل وأطراف النهار ، ويعلم الحفاظ أهلهم وذويهم ، فعندما يمر الانسان بأطراف دور الأصحاب يسمع دويا كدوي النحل من قراءة القرآن ، فتثور العالم الاسلامي بأنوار القرآن ، ولم يكن عندهم كلام ووعظ وإرشاد وحكمة يصل درجة آية من آيات القرآن فالاعتناء بها كان في أعلى درجات الاعتناء .

وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كتاب الوحي بضم الآيات بعضها الى بعض ويعلمهم انتهاء سورة مسن السور بتزول « بسم الله الرحمن الرحيم » فلم تكمل مسورة الا بتوقيف جبريل للرسول واعلام الرسول أصحابه الكرام ولم تأخذ آية

من أي سورة محلها إلا بإعلام الرسول وتوقيفه (٦) .

وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن المحفوظ عنده في رمضان كل سنة مرة على جبريل عليه السلام ، ولكنه قرأ عليه في رمضان الأخير من حياته مرتين كما قرأ زيد بن ثابت ما عنده من القرآن مرتين فيها ، ولعل هذا الأمر نبي بوفاته صلى الله عليه وسلم ، وإعلان أن زيد بن ثابت أمين على الوحي المنزل .

وهذا لجمع الموجود عند زيد بن ثابت هو الجمع الأول الموجود في آخر حياته صلى الله عليه وسلم وعند وفاته في ربيع الأول في العام الحادي عشر الهجري .

ولما ألفت الخلافة قيادها إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ووقعت وقائع حربية مدهشة في جزيرة العرب ، ولا سيما ما وقع بين المسلمين وبين مسيلة الكذاب وأعوانه في اليمامة ، واستشهد في هذه الواقعة نحو سبعين صحابياً من قراء القرآن الكريم خاف عمر بن الخطاب من ضياع القرآن بموت القراء وأشار إلى سيدنا أبي بكر بجمع القرآن في صحائف مضبوطة ووافق أبو بكر على ذلك وأسمعوا زيد بن ثابت ما عندهم وترجىء الوفاء بهذا الأمر ووافقهما وشرعوا في إنجاز المهمة العظيمة .

(٦) حيث روى عن ابن عباس رضي الله عنه كان النبي لا يعرف فصل السورة ، حتى ينزل عليه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، وفي رواية : لا يعرف انقضاء السورة ، رواه أبو داود . والحاكم وقال : إنه صحيح على شرط الشيخين . انظر نصب الراية ١/٢٢٧ .

فجمعوا كل من كان عنده قرآن مسطور أو محفوظ في الصدور فكتبوا جميع ما عندهم بعد الاطمئنان والاستيثاق في صحائف من الجلد ، وحفظت عند سيدنا أبي بكر الصديق في حياته واستلمها عمر بعد استخلافه ، وبقيت عنده الى استشهاده ، وبعد وفاته بقيت عند أم المؤمنين حفصة بنته رضي الله عنها الى أيام خلافة عثمان رضي الله عنه .

وفي أيام عثمان رضي الله عنه زادت الفتحوات واتسعت رقعة الخلافة شرقا وغربا جنوبا وشمالا ، فصادف ان وقع بين المجاهدين من الاصحاب الكرام عندما وصلوا الى (باب الأبواب شمال اثريبيجان) اختلاف في بعض القراءات كادت أن تؤدي الى فتنة كبيرة أطفأها الله تعالى برحمته . وكان حذيفة ابن اليمان صاحب أسرار الرسول صلى الله عليه وسلم شاهدا لما جرى ، فرجع الى المدينة المنورة ولم ينزل الا على الخليفة عثمان ، ووصاه بجمع القرآن وجمع الناس على وضع لا يكون مثارا للاختلاف وحذره من مغبة افعال ذلك الأمر العظيم .

فاستشار عثمان رضي الله عنه الأصحاب الموجودين من المهاجرين والانصار بما فيهم سيدنا علي بن أبي طالب وبقيّة المشرة المبشرة حول القضية فانفقت آراؤهم على جمع القرآن الكريم مرة أخرى ، فأرسل عثمان الى أم المؤمنين حفصة ، لأخذ القرآن المجمع عليه في عهد أبي بكر ، فأرسلته اليه ، وعهد عثمان في نسخ المصاحف الى أربعة من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ ، وهم زيد بن ثابت ، وعبدالله بن

الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن العارض بن هشام ، وهؤلاء الثلاثة الأخيرة من قريش .

وقرر أن لا يكتبوا في هذه المصاحف الا ما تحققوا أنه قرآن ، وعلموا أنه استقر في المروسة الأخيرة ، وما أيقنوا صحة نسبته الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتركوا ما سوى ذلك نحو (فامضوا الى ذكر الله) بدل (فاسمعوا الى ذكر الله)^(٧) ، وأمرهم عثمان أن يكتبوا القرآن على الوجه التالي :
اللفظ الذي لا يختلف فيه القراءة يرسم بصورة واحدة
لا محالة .

والذي يختلف فيه القراءة ويمكن رسمه في المصحف محتملا لتلك الوجوه رسموه كذلك كلفظ (فتبينوا)^(٨) في الحجرات حيث يحتمل لقراءة (فتثبتوا) مجردة عن النقط فكتبوه برسم واحد محتمل لهما .

وما لم يمكن فيه رسمه محتملا لها كتبوه برسم يوافق بعض الوجوه في مصحف ، وكتبوه برسم آخر يوافق بعض الوجوه الأخرى في مصحف آخر وذلك نحو (وصي) ماضيا من باب التفعيل و (أوصي) ماضيا من باب الأفعال .

وقد نسخ بأمر عثمان ستة نسخ أرسل منها الى مكة المكرمة ، ومصر ، والشام ، والبحرين ، والكوفة ، وبقيت نسخة بالمدينة المنورة ، وهي المسماة بالمصحف الامام ، ثم أمر

(٧) سورة الجينة الآية ٩ .

(٨) سورة الحجرات الآية ٦ .

بما سواها من المصاحف أن تحرق وتدفن ، وكان بعض من الصحابة يمنع احراق المصحف الموجود عنده ، فوافق أخيراً عندما تبين له أنه خير للإسلام ، وكان يقول الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يا معشر الناس اتقوا الله واياكم والفلو في عثمان ، وقولكم : حراق المصاحف ، فوالله ما حرقها الا على ملا منا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : رحم الله عثمان حيث جمع الناس على الخير ، فلو كنت أنا الخليفة بدله لفعلت هذا باديهم يدم أو كما قال .

ومما ينبغي معرفته أن المصاحف العثمانية لم تنقص ، ولم تشكل ، وبقي الأمر على ذلك الى عهد عبدالملك بن مروان ، ولما اتست رقعة الاسلام ، واختلط الاعراب والاعجام ، وكانوا يشتبهون في قراءة بعض الكلمات ، أمر الحجاج بن يوسف بتدارك هذا ، وهو عهد ذلك الخطب المهم الى عالمين جليلين هما نصر بن عاصم الليثي ، ويحيى بن يعمر المدواني ، وكلاهما كفاء قدير لجمعهما العلم والعمل والصلاح والورع والخبرة باصول اللغة ووجوه قراءة القرآن فكملتا مهمتهما واعجبا القرآن الكريم على أتقن وجه وأجوده .

وأما تشكيكه فكان هو أيضاً من المهمات بعد أن حصل اختلاط الناس بعضهم ببعض ، وازداد اللحن في اعراب اللغة . حتى صادف أبو الاسود الدؤلي قارئاً يقرأ (ان الله يرسم من المشركين ورسوله)^(٩) بجر لام الرسول ، فافزعه

ذلك وقال عزّ وجه الله أن يبرأ من رسوله ، ثم ذهب الى (زياد) والي البصرة ، وقال له : قد أجبتك الى ما سألت وكان يطلب منه سابقا اعراب القرآن وهو يأبى ، فشكّل القرآن بصور نقاط فوقية وتحتية ، وجعل علامة السكون نقطتين ، واستمر الناس على ذلك ، وزادوا ما يحتاجون اليه ، حتى وصل القرآن الكريم الى هذا الحد المعلوم من الشريعة والمد والحركة والسكون ، فجزاهم الله تعالى عن المسلمين خيرا .

القراءات السبع

ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال : ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ،^(١) . وفسر بسبعة أوجه من القراءات المختلفة ظاهرا والمتحدة معنى ومغزى ومالا ، وذلك لتيسير قراءته على كافة قبائل العرب . وهذه القراءات السبع متواترة أي ثبت كل منها بنقل جمع يؤمن من اتفاقهم على الكذب عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم طبقة بعد طبقة .

ولما بعث عثمان بالمصاحف الى الممالك الاسلامية أرسل مع كل مصحف من يوافق قراءته لذلك المصحف .

والمشتهرون باقراء القرآن من الصحابة رضي الله تعالى عنهم : عثمان ، وعلي ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنهم . ومن التابعين في المدينة المنورة : ابن المسيب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبدالعزيز ، وسليمان بن يسار ، وأخوه عطاء ، وزيد بن أسلم ، ومسلم بن جندب ، وابن شهاب الزهري ، وعبدالرحمن بن هرمز ، ومعاذ بن الحارث المشهور بمعاذ القاري . وفي مكة المكرمة : عطاء ، ومجاهد ، وطاوس ، وعكرمة ، وأبن أبي مليكة ، وعبيد بن عمير ، وغيرهم .

وفي البصرة : عامر بن عبدالقيس ، وأبو العالية ، وأبو

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن . انظر القسطلاني

رجاء ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يمم ، وجابر بن زيد ،
والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، وغيرهم .

وفي الشام : الحيرة بن شهاب المخزومي صاحب مصحف
عثمان ، وخليد بن سعيد صاحب أبي الدرداء ، وغيرهما .

وفي الكوفة : عتبة ، والاسود ، وسروق ، وعبيدة ،
والربيع بن خيثم ، والحارث بن قيس ، وعمر بن شرحبيل ،
وعمر بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وزر بن
حبّيش ، وعبيد بن فضلة ، وأبو زرعة بن عمر ، وسعيد بن
جبير ، والنخعي ، والشمر رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

القراء السبعة ورواتهم

ثم تفرغ قوم للقراءات يضبطونها ويعنون بها ، فكانان بالمدينة المنورة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ثم شيبه بن نصاح ، ثم نافع ابن أبي نعيم^(٢) .

وكان بمكة المكرمة عبدالله ابن كثير ، وحמיד بن قيس الاعرج ، ومحمد بن محيص . وكان بالكوفة يحيى بن وثاب ، وعاصم بن أبي النجود ، وسليمان بن الاعمش ، ثم حمزة ، ثم الكسائي .

وكان بالبصرة عبدالله بن ابي اسحاق ، وعيسى بن عمرو ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعاصم الجحدري ، ثم يعقوب الحضرمي .

وكان بالشام عبدالله بن عامر ، وعطية بن القيس الكلابي ، واسماعيل بن عبدالله ابن المهاجر ، ثم يحيى بن حازم الزماري ، ثم شريح بن يزيد الحضرمي رضي الله تعالى عنهم .

ثم اشتهرت عبارات تحمل اعداد القراءات ، فقليل القراءات السبع ، والقراءات العشرة ، والقراءات الاربع عشرة ، واحظى الجميع القراءات السبع . وهذه هي القراءات المنسوبة الى

(٢) من اراد التفصيل في معرفة القراء والقراءات فليراجع الشاطبي ص ٩ .

الاثمة السبعة المروطين ، وهم نافع ، وعاصم ، وحمنة ،
وعبدالله بن عامر ، وعبدالله بن كثير ، وابو عمرو بن العلام ،
وعلي الكسائي ، التي اشتهرت على رأس المأتين في الامصار
الاسلامية .

فكان الناس في البصرة على قراءة أبي عمرو ويعقوب ،
وفي الكوفة على قراءة حمزة وعاصم ، وفي الشام على قراءة ابن
عامر ، وفي مكة المكرمة على قراءة ابن كثير ، وفي المدينة المنورة
على قراءة نافع .

وبقيت القراءات السبع على هذه الحال ، دون ان تأخذ
مكانها من التدوين حتى خاتمة القرن الثالث ، اذ نهض
بيغداد الامام ابن مجاهد أحمد بن موسى بن عباس ، فجمع
قراءات هؤلاء الاثمة السبعة ، وأخذ على نفسه أن لا يروي الا
عن اشتهر بالضبط ، والامانة وطول العمر في ملازمة
القراءة .

رواة القراء السبعة

وكان لكل من القراء السبعة رواة كثيرون واشهر رواة (نافع) اثنان : الاول عثمان بن سعيد المصري الملقب بـ (ورش) انتهت اليه رئاسة القراء بالديار المصرية في زمانه ولد سنة مائة وعشر بمصر . وتوفي بمصر سنة مائة وسبعة وتسعين عن سبع وثمانين سنة ،

الثاني عيسى بن ميناء مولى بني زهرة الملقب يقالون لجودة قراءته ، فان قالون باللغة الرومية بمعنى الجيد ، ولد سنة مائة وعشرين ، وتوفي سنة مائتين وعشرين عن عمر يناهز المائة .

واشهر رواة عبدالله بن كثير المكي اثنان :

(الاول) محمد بن عبد الرحمن المخزومي المكي الملقب بـ (قنبل) لاستعماله دواء يقال له قنبل . ولد سنة مائة وخمسة وتسعين ، وتوفي سنة مائتين وواحد وتسعين .

(الثاني) احمد بن محمد البري المكي مقريء مكة ومؤذن المسجد الحرام ، ولد سنة مائة وسبعين وتوفي سنة مائتين وخمسين عن عمر يقارب الثمانين .

واشهر رواة أبي عمرو زيان بن العلاء التميمي المازني البصري اثنان :

الاول أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري الازدي البغدادي الضرير نزيل سامراء امام القراء وشيخ

الناس في زمانه . وهو أول من جمع التراوات توفي سنة مائتين وستة وأربعين .

والثاني أبو شعيب صالح بن زياد السوسي الرقي ، وتوفي سنة مائتين وواحد وستين عن عمر يقارب السبعين .

وأشهر رواة أبي عمران عبدالله بن عامر امام أهل الشام اثنان :

الاول ابو الوليد هشام بن عمار السلمي الدمشقي امام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم ، ولد سنة مائة وثلاثة وخمسين وتوفي سنة مائتين وخمسة وأربعين .
الثاني ابو عمر عبدالله بن احمد بن بشر بن ذكوان القرشي ، ولد سنة مائة وثلاثة وسبعين ، وتوفي سنة مائتين واثنين وأربعين .

وأشهر رواة حمزة بن حبيب الكوفي اثنان :

الاول خلاد بن خالد الشيباني الكوفي الصيرفي وكان اماما في القراءة ثقة عارفا محققا ، توفي سنة مائتين وعشرين .
الثاني أبو محمد خلف بن هشام البزاز البغدادي الاسدي ، ولد سنة مائة وخمسين ، وتوفي سنة مائتين وتسعة وعشرين ببغداد ، في وقت اختفائه من الجهمية .

وأشهر رواة أبي بكر عاصم اثنان :

الاول حفص بن سليمان الاسدي الكوفي ربيب عاصم

وإبن زوجته وأعلم الناس بقراءته ، وقد أقرأ الناس دهرًا
ولد سنة تسعين ، وتوفي سنة مائة وثمانين .

الثاني أبو بكر ابن شعبة الأسدي الكوفي . وكان إمامًا
كبيرًا عالمًا عاملاً وكان من أئمة السنة وعمر دهرًا وتوفي سنة
مائة وثلاثة وتسعين وقد نأهر المائة .

والمصاحف التي بأيدينا الآن هي بحسب رواية حفص
لقراءة عاصم عن عبد الله بن حبيب السلمي عن علي بن أبي
طالب ، وعثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب
رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وعلى قراءته ورسم مصحفه طبع المصاحف الموجودة بأيدينا
في بلادنا ، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا ثابتين على خدمة هذا
القرآن الكريم بعنه وكرمه .

هذا الذي ذكرناه في القرآن الكريم كان من حيث روايته ،
وأما من حيث معناه ومفراه فهو كلام (لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (١) .

لم يوجد ولا يوجد ولن يوجد مثله من جهة فصاحته
وبلاغته ، واستيعابه لسعادة الدارين اعتقادًا وعملاً وأخلاقاً .
فإنه يوجه المكلف أولاً إلى الشعور بمسؤوليته والاعتراف
بربه رب العالمين (الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) (٢) .

خلق هذا العالم البديع بمطوياته وسفلياته أبدع الكائنات
بعلمه وحكمته وأراته وقدرته (الله خالق كل شيء وهو على

كل شيء وكيل له مقاليد السماوات والارض) (٢) وهو المستحق لان يعبد ويسجد له ويستعان به ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون) (٣) وخلق وراء هذا العالم عالما آخر يجزى فيه المكلف حسب اعماله ان خيرا فخير وان شرا فشر .

وانه ارسل رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل بلغوا احكامه تعالى ، وهم الواسطة بين العباد وربهم ، وانه قرر ان يكون للناس اولوا امر مطاعين في ما وافق حكم الله . وقرر ان يتشاوروا في كل امر مهم ، واذا عزموا فليتوكلوا على الله ، وان يحكموا بالعدل ويبنوا بالقسطاس المستقيم ، وان يمدوا ما في طاقتهم من القوة لسياسة العباد والبلاد من الاعداء ، وان يسموا في اسباب المعاش والاقتصاد ، ورغب في ان يستفيد الناس مما في الارض منابها ومعادنها واشجارها وثمارها .

وفرض حسن السلوك وتطبيق النظام ، وصلة الارحام ، والترحم والانصاف ، ورعاية الضعاف ، وان يجعلوا العلم امامهم ، والصدق شعارهم ، والجهاد دثارهم ، والصبر درعهم ، والتوكل اعتمادهم الى لقاء رب العالمين .

(١) سورة فصلت الآية ٤٢ .

(٢) سورة الاعلى الآية ٢ .

(٣) سورة الزمر الآية ٦٢-٦٣ .

(٤) سورة يس الآية ٨٢ .

ومع القادة هذه الجواهر الثمينة تراءى في أعلى درجات
النصاحة والبلاغة أو ما والاها ، يحير العقول ويمجز الالباب ،
وتحدى الجن والانس على ان ياتوا بمثله فلم يقتـدروا
واستسلموا امام عظمتـه ، وهذا امر مفروغ منه ، اي ان هذا
الكلام المجيد معجز ولم يصل اليه طاقة المتكلمين البلغاء .

وتفكر العلماء لمعرفة سر هذا الاعجاز فمنهم من قال ان
هذا الكلام كلام الحق سبحانه وتعالى ، ونزل من عالم الغيب ،
فحفظه علام الغيوب عن ان يعارضه أحد .

ومنهم من اعترف بذلك ولكنه أبدى وجوها عديدة بنى
عليها اعجازه للناس وعزه : الاول ان بلاغة العرب كانت غالبا
في المشاهدات من المظاهر والمناظر المحسوسة التي يتمكن
الانسان من احالة القلم واحالة اللسان فيها ، وهذا القرآن
يتكلم غالبا في الامور الغيبية والروحية البعيدة عن الاحساس
مع انه ابداع فيها واجاد وبرع فيها وأفاد وزهد الانسان في
ما لا يفيد الخير في المعاش والمعاد .

الثاني ان طراوة الكلام وحلاوته غالبا تأتي من ناحية
المبالغة والخلو والافراق ، وفي ما لم ير مثله في الافاق وتلك
سلوة بالاكاذيب .

وأما القرآن الكريم فانه أخذ طريق الصدق واحقاق الحق
للانام ، مع انه أتى بما بهر العقول والافهام ، وظهر على
المساقم من اصحاب الخطب والتفنن في الكلام .

الثالث ان البلاغة وعلو الدرجات فيها لا تأتي في كلام الناس الا في مواضع معدودة ، وجمل معددة منه • وأما هذا القرآن المجيد فالفضاحة سارية ، في أجزائها ، والبلاغة جليلة في جملها ، وحسن الاسلوب ممزوج بسردها بحيث لا يقدر العاذق ان يتجاوز عن سماع جملة الا وتأتي جملة أخسرى الصق وأنسب وأوفق بالمتصيد والمطلوب •

الرابع ان كل كلام فيه تكرار يتنفر منه الذوق ويمل ، ولكن القرآن مع ما فيه من التكرار في مواضع كثيرة لما كان بتغير أسلوب وتفنن في التعبير بالمطلوب ، لا يمل منه الانسان ، ولا يسأم ، بل يقبله الطبع ويقتنم •

الخامس ان كل بليغ من اصحاب البلاغة تقتصر بلاغته على ضرب من المقاصد ، وأسلوب من الأساليب من حماس ، وشجاعة ، واقدام ، وتشبيب ، وغزل ، وغرام ، أو حكمة ، ووعظ ، وارشاد ، أو في وصف المظاهر ، والمناظر ، أو في الانهار ، والحدائق ، والاوراد ، والاشجار ، أو في التخويف ، والترهيب ، والترغيب ، فلا يتعدى ذلك الموضوع المصين •

وأما القرآن الكريم فهو بليغ في كل فن من الفنون ، فيقول في الترغيب (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) (٥) ويقول (فيها ما تشتهي الانفس وتلد الاعين) (٦) ويقول في الترغيب (أفأنتم ان يخسف بكم جانب البر) (٧) وقال

(٥) سورة السجدة الآية ١٧ •

(٦) سورة الزخرف الآية ٧١ •

(٧) سورة الاسراء الآية ٦٨ •

(وخاب كل جبار عنيد) (٨) الى قوله (ويأتيه الموت من كل مكان) وقال في الزجر (فكلا أخذنا بذنبه) الى قوله (ومنهم من أغرقنا) (٩) وقال في الالهيات (الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد) (١٠) .

السادس ان هذا القرآن أصل العلوم كلها ، فالدين وأصوله والفقه وأصوله ، والعربية ، وعلم الزهد ، والقناعة ، وبعبارة أشمل الحكمة العملية والنظرية ، أي تهذيب الاخلاق ، وتدبير المنزل ، وسياسة المدن ، وعلم ما وراء الطبيعة ، أعني الالهيات المجردة عن المادة ، والغيب المطلق ، والفلكيات ، وسباحة السيارات في افلاكها ، وموازين الحركات ، كل ذلك مذكور في القرآن ، ويذكر الارض والجبال والبحر والبر والبحر وجريان السفن فيها ، ويثبت ان كل ذلك نعمة خلقت لاشرف خليفة ، وهو الانسان المخلوق في احسن تقويم من الفطرة السليمة والعقل والادراك ، وشجع الانسان على النظر في الانفس والافاق بغية الوصول الى حقيقة الایمان والاطمئنان والاستقامة على الانقياد لله سبحانه وتعالى .

السابع مغامرة أسلوبه لاسلوب كلام الناس في العالم العربي ، فلم يدرك أحد أسلوبا يشبه أسلوب القرآن الكريم (بله) ما يجد المسلم في وجدانه بل كل انسان خالي الذهن عن العناد والاستكبار من جماله الروحي المعنوي الذي يستولي على

(٨) سورة ابراهيم الآية ١٥-١٧ .

(٩) سورة العنكبوت الآية ٤٠ .

(١٠) سورة الرعد الآية ٨ .

المشاعر والقلوب ، ويحول الانسان من عالم الى عالم ، ومن
نفسية شخصية الى روحية قدسية ، ومن الغفلة الى اليقظة
والشعور ، ومن الظلمات الى النور ، ومن الافق المادي الضيق
الى الافاق المعنوية الروحية الواسعة التي فيها نجاح الانسان
وقوة القلب وحقيقة التوجه الى الله والتوكل على رب العالمين .



ومن نور الاسلام الايمان بالانبياء والمرسلين

صلوات الله وسلامه عليهم

أما النبي : فهو انسان أوحى الله اليه بشرع سواء أمره بتبليغه الى الخلق أو لم يأمره به ، وأما الرسول فهو انسان كذلك أوحى الله اليه بشرع وأمره بتبليغه سواء نزل عليه كتاب مستقل ، أو كان مأمورا بتبليغ الكتاب السابق عليه .

وطريق ثبوت الرسالة المعجزة . فانه اذا أظهر الرسول رسالته وأدعى انه أرسله الله الى الخلق لتبليغ الاحكام ، فمتهم من يؤمن به بلا توقف وتردد ، وذلك لصفاء عقله ، وقسوة ادراكه ، ومثله كمثل زيت مسته النار واشتعل قورا . أولئك الناس هم الصديقون ، ومنهم من يبقى برهة من الزمان فيتفكر في آثار ذلك الانسان واحواله وأخلاقه ، وما يدعوا اليه ، ويستمع كتابه ودستوره بقلب سليم الى ان يشرح الله صدره للإسلام .

ومنهم من لا يهتم بذلك ويتعطل بعطل ويأتي بموائيق أمام الدعوة الى ان يتحداهم الرسول بمعجزة من المعجزات ، فتستولي على قلوبهم ومشاعرهم ، فينقادون له ويؤمنون به . ومنهم من يبقى ثائها في ضلاله مغمورا في عناده واستكباره ، وقلبه يقسو من سماع المواعظ والارشادات وينبو عن النظر الى المعجزات . هل كلما رأى أو سمع شيئا من ذلك تنبث به نفسه الى المهالك والعياذ بالله تعالى .

والمعجزة : أمر خارق للعادة قصد الله به اظهار صدق من ادعى انه رسول من الله فالعاقل المتصف الموفق عندما ينظر الى المعجزة استدلل بأنه لو لم يكن هذا الشخص رسولا من الله سبحانه وتعالى ما كان يؤيده بهذه المعجزة ، لكنه ايده بها فهو رسوله ، وذلك لان من ادعى بمحض جمع من الناس أنه أرسله هذا الملك الجالس على كرسیه اليهم لتبليغ أوامرهم ، وان ما يقوله لهم فهو قوله ، وادعى بأن الشاهد على صدقه هو ان الملك يستجيب أمری ، حتى اذا اثرت اليه بأن يقوم من مكانه يقوم ، فإشار اليه وقام من محله مرات ، حصل علم قطعي عادي للناس بأنه وكيل ذلك الملك ، ولم تبق عندهم شبهة في صدقه .

ومما يجب أن يعلم ان المعجزة التي فسرناها بالخارق للعادة ليست على السنن الكونية والنواميس الاعتيادية ، ولا مجال فيها للاكتساب والصناعات ، وانما هي تظهر بمحض خلق الله تعالى وابداعه تصديقا لرسوله .

ثم هي ان ظهرت من الشخص قبل بعثه ورسالته سميت ارحاسا ، اي تأسيسا وتوطئة لرسالته . وان ظهرت منه بعد اظهار الرسالة ، فان كانت مع التحدي سميت معجزة ، والا فمكرامة . وقد تطلق المعجزة على جميع الخوارقة الواقعة بعد دعوى الرسالة سواء اقترنت بالتحدي ، او لا . وان ظهرت من غير من ادعى الرسالة ، فان كانت ممن كان تابعا لرسوله عاملا باحكام شرعه سميت كرامة ، والا سميت استدراجا .

فظهر ان السحر والشمردة وخفة اليد وامثالها ليست
معجزة ولا كرامة ، لانها امور ناتجة عن الكسب والصنعة ،
ومبنية على اسباب وشرائط مادية عادية .

ويجب الايمان بجميع الانبياء والرسل بلا تفرقة بينهم
في اصل النبوة والرسالة اجمالا في ما علم اجمالا ، وتفصيلا في
ما علم تفصيلا ، كالرسل المذكورين في القرآن الكريم ، وهم
سنة وعشرون : آدم ، وادريس ، وهود ، وصالح ، ونوح ،
وابراهيم ، ولوط ، واسماعيل ، واسحق ، ويعقوب ، ويوسف ،
وايوب ، وشعيب ، وموسى ، وهرون ، والياس ، واليسع ،
وذو الكفل ، ويونس ، وداود ، وسليمان ، وعزير ، وزكريا ،
ويحيى ، وعيسى ، وسيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام .
واما سيدنا الخضر فهو ولي من اولياء الله تعالى ، ولقد كان
كان حكيما بارعا دينا وارعا آتاه الله حكمة (ومن يؤت الحكمة)
فقد اوتي خيرا كثيرا (١) . واما ذو القرنين فكان ملكا
صالحا موافقا للاستيلاء على بقاع المعمورة ، وروي في الحديث
الشريف اسماء بعضهم كيوشع ، وشعيا ، وارميا ، من رسل
بني اسرائيل عليهم السلام .

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان عددهم مائتان
واربعة وعشرون الفا ، وفي رواية اخرى مائة واربعة وعشرون
الفا^(٢) . والحق التوقف في التنصيص على عدد معين لقوله تعالى

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٩ .

(٢) راجع تفسير ابن كثير حيث ذكر روايات الاحاديث التي تذكر
عدد الانبياء ، سورة النساء عند قوله تعالى (ورسلا لم نقصصهم عليك)

(ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من نقصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) (٢) •

ويجب الايمان اجمالا بانبياء آخرين لم يذكروا في الكتاب والسنة باسمائهم لقوله تعالى (ومنهم من لم نقصص) • ولقوله (وان من امة الا خلا فيها نذير) (٣) وانما ذكر الله سبحانه وتعالى افرادا معينين لكونهم في الديار العربية وسمع الناس بعض اخبارهم واحوالهم ، والا فالانبياء كثيرون ولا يعلم عددهم الا الله الكريم •

ويجب الايمان بان الرسل افضل من الانبياء النسيير المرسلين ، وان اولى العزم من الرسل افضل من غيرهم ، والمراد من اولى العزم الرسل الكرام الذين تحملوا مكابد ومكاييد من اهل الشرك والظلم ، واصابهم الاذى منهم ، فصبروا وجاهدوا ، حتى قضى الله بما اراد على العباد ، وهم خمسة : سادتنا نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وسيدنا محمد ، صلى الله تعالى عليهم وسلم اجمعين •

ويجب الايمان بان سيدنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم خاتم الانبياء والمرسلين ، وان شريعته ناسخة لما خالفها من شرائع الرسل السابقين ، واذا وجدنا شيئا موافقا لما في الشرائع السابقة ، فانا نعمل به من حيث انه اتانا به الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لا من حيث التبعية ،

(٢) سورة غافر الآية ٧٨ •

(٣) سورة فاطر الآية ٢٤ •

فان رسالة رسولنا الكريم رسالة عامة مؤبدة شاملة - كما يجب الايمان بأن الانبياء والمرسلين كانوا كلهم متفقين في اصول الدين من الايمان بالله ، ورسله ، وملائكته ، وكتبه ، وباليوم الآخر ، وبالقدر ، وعلى ذلك نزل قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصىنا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (٤) -

ويجب في حقهم صفات ثلاث : وهي الصدق ، والامانة ، والنفطانة ، أي الذكاء ، فيجب الايمان بثبوتها لهم وبرآءتهم عن اخذادها ، أي أنهم صادقون في ما يلقوه من الشرائع والاحكام ، وأمناء على الوحي المنزل لم يتركوا تبليغ شيء منها ، ولم يزيّدوا فيها ، وأنهم أصحاب فطنة وذكاء - وأما باقي الصفات الاعتيادية فهم فيها مثل سائر البشر يأكلون ويشربون وينامون ويتمبشون ويستريحون ويصحبون ويمرضون ويحيون ويموتون - ولكن عالم البرزخ وما بعد البعث بالنسبة اليهم أعلى العوالم برحمة رب العالمين -

ويجب الايمان بمعصمتهم من بدأ النبوة الى وفاتهم من الذنوب الكبائر مطلقا ومن الصفائر عمدا ، وقال بعض : وسهوا أيضا ، كما أنهم معصومون قبل النبوة أيضا من الكبائر وصفائر تدل على الخسة وحاشاهم منها - وما يورثهم خلاف ذلك فمحمول على معنى يناسب مقامهم من خلاف الاولى ، أو

أنها لم تكن في وقت التكليف جمعا بين الأدلة والاصول العقلية والعقلية السليمة .

ودليل ذلك على العموم قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) (٥) وآل ابراهيم يشمل سيدنا اسماعيل وسيدنا محمد ، كما يشمل سيدنا اسحق وأولاده المرسلين من بني اسرائيل ، وكذلك يشمل آل عمران سيدنا موسى ومن وراءه منهم . وقوله (سبحان رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) (٦) وقوله (وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) (٧) وقوله تعالى بعد ذكر المرسلين (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (٨) وقوله تعالى (واذا ابتلي ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) (٩) وذلك لان الاصطفاء والاختيار لا يقع على أهل الفسوق والسيئات والمجرمين من الناس ، والسلام والاكرام والاحترام لا يقدم من الله تعالى اليهم ، ولا يؤمر بالاعتقاد والاهتداء بأصحاب السيئات ، وحاشا ان يكون النور مظلمة ، والامام العدل ظالما ، والمرشد الاعظم مجرما ذلك أوهام الجاهلين .

(٥) سورة آل عمران الآية ٣٣ .

(٦) سورة الصافات الآية ١٨٠ .

(٧) سورة النمل الآية ٥٩ .

(٨) سورة الانعام الآية ٩٠ .

(٩) سورة البقرة الآية ١٢٤ .

والمراد بالمهد في قوله (لا ينال عهدي الظالمين) ان كان عهد النبوة والرسالة ، فالامر واضح من حيث التنصيص على ان الظالمين وأصحاب الفسوق لا ينالون عهد النبوة والرسالة ، وان كان عهد الامانة والقُدوة في الدين ، فلانه اذا كان الظالمون محرومين من الرياسة والقُدوة الشرعية ، فحرمانهم من النبوة والرسالة بالطريق الاول .



(الحكمة من ارسال الرسل)

الايمان بأن بعث الرسل الى العباد لطف من الله ورحمة ،
لجمع شتات الافكار ، وتنورها بالانوار ، وسوقها الى المقاييد
والاعمال والاخلاق العالية ، وان للانسان حاجة أكيدة الى
الرسالة والى الاقتباس من أنوارها : وذلك من وجوه :

(دليل النظام)

أولا - ان الانسان اذا تفكر قليلا عرف انه خلق اجتماعيا
لا يعيش معيشة الانسان وحده ، ومدني لا يعيش بدون نظام
عام جامع مانع ، وان النظام يحتاج الى الرعاية ، والرعاية في
حاجة الى محبة الانسان الراعي لبني نوعه المرعى ، وكل
انسان راع وكل انسان رعية ، وكل راع مسؤول عن رعيته ،
وان هذه المحبة لا تتكامل بحيث تسوق الانسان الى رعاية
النظام ، الا بأمل نتيجة واقعية حميدة في عالم الحياة ، ونتيجة
مؤبدة في عالم ما بعد الحياة الدنيا ، وهذا الأمل الجامع
لرغبات الدنيا المحدودة ، ولرغبات الآخرة اللامحدودة ، أمل
يحصل من تعاليم الرسل الكرام ، فثبتت حاجة البشر الى رسالة
الرسل الكرام .

لنأخذ ان يقول ما وجه ان هذه المحبة لا تتكامل الا بذلك ؟
وجوابه أن محبة الانسان للانسان لعلاقة القرابة او
الدراسة او المصالح الحيوية كالتجارة والزراعة والادارة ،
لا تتجاوز عدة اشخاص متشاركين في ذلك ، الى غيرهم ،

كفريق مسافر منقطع ، ويتيم ليس له معين ، ولا رملة ليس لها
مميل ، ولشباب لا مجال لهم في الناس من أي جهة ، والمرضى ،
ولعموزيين ، ولأهل غير الوطن من المسلمين ،
ولأهل غير دينك من الذميين والمستأمنين ، وأما
المحبة المتولدة من قواعد الاسلام فهي محبة جامعة لصلة كل
انسان بكل انسان في ما أمكن تطبيقه حسب القواعد
والاصول .

ولتأمل ان يعود ويقول لنفرض ان تلك المحبة ناتجة عن
نظام حيوي دنيوي شامل كما في انظمة الدول العالمية بدون
حاجة الى الدين والرسالة .

وجوابه أنك علمت من مطالعاتك وملاحظاتك ان تلك
العلاقة علاقة قصيرة يسيرة لا تتجاوز عن ملاحظة أبناء الوطن
المرهوط بذلك النظام ، ونحن نريد علاقة ودية بعيدة المدى
لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا قوم دون آخر تربطهم بمبدأ
واحد وآله واحد ونظام واحد ، وذلك لا يمكن ان يتحقق
في غير نظام الرسالة . ثم المحبة الموجبة لفوائد محدودة في
عالم الحياة ، لا تأثير له غالباً ذلك التأثير البالغ الموجب لنكران
الذات والتضحية بالنفس الا في أفراد معدودين . وأما أمل
السعادة الالهية والرحمة الخالدة ، فهو اذا استقر في اي نفس
هان عليها كل شيء .

(دليل الرغبة والرغبة)

ثانيا - ثبت بالدليل القطعي بلا نزاع ، أنه لا يقدم الماقل المختار على عمل الالهية أو رغبة ، أي لخوف أو طمع ، وهما الاساسان في تكوين الحضارة البشرية بمعناها الواسع . ومعنى ذلك ان الانسان في الاساءة والاحسان مسخر للقوتين المذكورتين ، فقد يترك التعرض لاموال الناس أو أمراضهم ، أو نفوسهم خوفا من سلطة تنتقم منه ، وقد يقوم على عمل جبار بنية الوصول الى تحسين عام أو نيل مال وجاء أو ما شاكله ، ولما دققنا النظر وجدناهما غير كافيين في الاقلصات البشرية المتسلسلة ، بدون الخوف من قوة فوق العادة ، وبدون الرغبة في نعمة دائمة وهي السعادة .

فان الضعاف اذا تركوا السفاست خوفا من السلطة ، فالاشراف من السلطة لا يخافون أحدا ، بل والضعاف في المعلات المنعزلة عن الناس لا هيمنة عليهم ، فليس لهم رادع قاطع هناك الا الله ، والرغبة في تحسين الناس أو في نيل مرام لا يوصل الانسان الى درجة خدمة كل يتيم ويثيمة وأرمل وأرملة ، والى اسعاف المرضى المنقطعين غير المعروفين ، واعانة المحتاجين والمعوزين ، وإدارة شؤون الكفار عندنا من الذميين ، فالرغبة والرغبة لا تنتجان إلا بالرغبة في ما عند الله والرغبة عما يوجد عنده ، وذلك لا يصل نظامه إلينا الا بالرسالة من الله سبحانه وتعالى .

(دليل الشرف)

ثالثا - ان الانسان ليس جمادا بلا احساس ، ولا حيوانا مهملًا يعيش فقط مع الحواس ، وانما هو خليفة أكبر من كل عوالم الكون ، بل الكون خلق له ، ولأجل انتفاعه به ، وهذا النوع المحترم المزود بالعقل الذي هو أساس كل خير ، وبالوجدان الذي يبني عليه العطف والرحم والسمح ، وبالعلم الذي يطيره في أجواء السموات ، ويستفيد به الكون من خبايا المعادن والمنايع والنباتات ، يبعد كل البعد عن الفكرة السليمة ان يعيش هذا الانسان الكامل كالحیوان ، ولا تكون له نتيجة أدبية دائمة ونعيم مقيم غير زائل ووسعة في عالم الوجود يتنعم فيها ، اذا كان نجيبا خادما مصلحا نافعا للبشر ، أو لا يكون له جزاء ومعاقبة في مقابلة اسائه مع غيره يبطش بهم ويقتل ويسفك وينهب الاموال والاعراض ويؤذي الانسانية كحشرة فتاكة في جسد ، هذا ما لا يقبله العقل فاحتاج البشر الى رسالة خالدة ، وهي الرسالة الاسلامية التي توضح للمعاني طريق الخير والشر ويحدد له جزاء اعماله الصالحة والسيئة ، ويبين انه لا ينجب عن خالقه مثقال ذرة في السموات والارض، وان الانسان بعد قضاء أجله في دنياه يلتحق بأخوته وينال ما قدمت له يده ، فيكون على بصيرة من أمره وعلى نظام في سيره (آمن يمشي مكبا على وجهه أهدى آمن يمشي سويا على صراط مستقيم) (١) .

(دليل الاعتراف)

رابعا - قد ثبت أخيرا عند كثير من العقلاء والعلماء البارزين المتجردين عن التقليد والارتباط بالبيئات ان وراء هذا العالم المادي الواسع عالما روحانيا غيبيا اوسع ، ولولا ذلك ما كان يجيب زارع بدوي بعد ان نوموه ^(٢) عن اسئلة مشكلة هندسية أو جبرية اندهشت لها عقول الحاضرين .

وثبت أيضا ان النواميس الكونية الطبيعية يمكن تخلفها عن افادة اثارها بقوة نواميس أخرى أرقى منها ، ويبنى على هذا امكان وجود الخوارق للعادات التي أتى بها الرسل الكرام .

وثبت أيضا ان الانسان مرتبط بعالم الروحانيات صلاحا أو فسادا ، أي أن كل فرد معرض لتأثره وانفعالاته بالكائنات الروحية العالية ، أو بالكائنات الروحية السافلة ، ومن تأثر بالاولى انتفع وتفع ، استفاد وأفاد ، واسترشد وأرشد ، خدع العقائد الصحيحة ، والاعمال الصالحة ، والاخلاق الفاضلة ، والعكس بالعكس .

ومن هنا اعترف جمهرة من الماديين المنكرين لما وراء الطبيعية عن أفكارهم ورجعوا الى حظيرة الاعتراف بالقدسيات

(٢) هذا اشارة الى التنويم المغناطيسي ، حيث ينومون انفسانا بواسطة عملية مغناطيسية ، ثم يسألونه انواع الاسئلة فيجيب الجواب الوافى عن كل سؤال وهو قائم ، ومن غرائبه ان النائم قد يكون طفلا أو جاهلا ، ولو كان يلفظانا لا يعرف جواب أى سؤال من تلك الاسئلة التي اجاب عنها عندما كان نائما .

والمثل العالية ، فأمّن بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده •
ونقول على ضوء هذه الحقائق التي اعترف العلماء
الافتداز في العالم بها : وصول عقولهم الى تلك الامور الهامة
وصول الى تعاليم الرسل الكرام أي أن وراء هذا العالم عالما
آخر غيبيا يندرج فيه عالم الارواح ، وعالم الملائكة ، وعالم
ملك الملوك الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو الذي تسخر
له القواعد والنواميس المادية وغيرها ، وهو الذي يسيطر
عليها ويسهرها وقد يمشيها وقد يبطلها ، كما أتى القوة
القدسية لبعض رسله في عدم التأثر بالنار ، وموجة الاثر ،
وخرق طبقات الافلاك في أقل وقت من الاوقات ، والنفخ
في الجوامد لتأخذ روحا سارية وحياة جليلة ، والتوجه الى
الدماء الفاسدة وتخليصها من الجراثيم ليبرء الابرص ،
والتوجه الى الروح النجس لتتعلق بالجسد بمسد فراقها
وهجرها ولتصير حيا ، كما كان ، وهو الذي بيده مفاتيح
الغيب ، ويبدع مقاليد السموات والارض ، وان عباده
المصطفين هم الرسل الكرام •

وان الارواح العالية ارواح الملائكة التي من تصارف
مها تمتع بالمقائد والاعمال الصالحة • وان الارواح
الخبثة هي ارواح الشياطين المردة التي من تناسب معها
سقط في رذائل المادة ومشتبهات النفس الامارة ، ومن هنا
يتبين قوله تعالى (قد افلح من زكيا • وقد خاب من دسيا) (٣)

ويتمين منرى قوله سبحانه وتعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المساوى) (٤) ولكن فوائد ادراك اولئك العلماء لا تتجاوز عن أنفسهم ، وعن ناس معدودين يوافقونهم في الاعتراف بتلك المعلومات . وأما الرسل الكرام فبما عندهم من الصفاء والنور الوهبي وبما ألقى في روعهم من الوحي الإلهي والفيض القدسي جذبوا أرواح الناس الى الانتقياد والتوجه الى رب العباد ، الا من غطا قلبه غاشية العناد وتولى عن الحق والرشاد .

(دليل المعرفة)

خامسا - مما يلفت أنظار أهل المعرفة ان الانسان لم يخلق ليترك سدى ، لانه يبعد عن العقل والادراك ان يبنى شخص دارا قوية الاركان ، واسعة الجوانب ، رفيعة العمران ، مزخرفة بأنواع الزخارف ، ومضيئة بألوان اللمع والشمعات والمصابيح ، ولم يكن في قلب يانيها عمرانها بالرجال الاكابر والاصدقاء الاعزة والعلماء الفضلاء ذوي المناخر . بل أراد ان يجمع فيها المجانين والسفهاء ، قاله سبحانه وتعالى خلق هذا العالم الواسع وزينها بمصابيح وورد ازهارها وأجرى أنهارها وزيد ثمارها ، ولم يعرك للحيوانات اليهم ، بل جعل فيها أشرف أنواع الموجدات ، وهم البشر ، فمن سوانح الادراك ان طلب من هذا النوع الشريف أشرف الاحوال ، وهو الاطاعة لله والسجود

والتسبيح له ، وهذه الاحوال لا يمكن تحقيقها بدون المعرفة
الوافية بالمطلوب ، وهذه المعرفة لا تتحقق الا بتعاليم الرسول
الكريم وعليه قال تعالى (يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا) (٥)



(محبة الرسول)

محبة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من هدى الاسلام ، قال تعالى (قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واهواءكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتوها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين) (١) .

هدد الله سبحانه وتعالى كل من يرجح محبة ذويه وعلاقته على محبة الله ورسوله ومعناه وجوب ترجيح محبتهما على محبتها .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين ، (٢) وقال للسائل عن الساعة بعد قوله اني احب الله ورسوله : انت مع من احببت ، (٣) .

والمحبة ميل القلب وشغفه بالنسبة الى محبوبه ، وتتنوع بالاضافة الى ما تتعلق به انواعا .

ومن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيمه وتوقيره وكثرة ذكره والصلوات عليه ، لاسيما عند ذكره ، وزيارته

(١) سورة التوبة الآية ٢٤ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الايمان . انظر الفسطاني (١/٩٦) .

(٣) رواه البخاري في فضائل الصحابة . الفسطاني (٦/١٠٣) .

(٤) سورة الفتح الآية ١٨ .

بعد وفاته ، والاقتداء به بامثال أوامره واجتناب نواهيه
 والتخلق بأخلاقه . ومحبة الكتاب والسنة اللذين هما
 أساس سعادة الدارين . ومحبة آله وأصحابه والتابعين لهم
 باحسان . ومحبة القراء والحفاظ والمحدثين والائمة
 المجتهدين في الدين ، والعلماء العاملين ، والصديقين
 والشهداء ، والصالحات والصالحين .

وكل ذلك عليه دليل من الكتاب أو السنة أو اتفاق
 الاكثرية الساحقة من أهل الدين اما تعظيمه وتعظيمه
 وتوقيره ، فالدليل عليه قوله تعالى (انا ارسلناك شاهدا
 ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
 وتوقروه)^(٤) وقال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
 كدعاء بعضكم بعضا)^(٥) وأخذ المجتهدون
 من ذلك وجوب الادب مع الرسول ، وحرمة ندائه
 بـ (يا محمد) ، كيف لا وتشريفه في النداء منهج القرآن
 الكريم ، حيث خاطبه الله سبحانه بقوله (يا ايها الرسول)^(٦)
 (يا ايها النبي)^(٧) (يا ايها المرسل)^(٨) (يا ايها
 المدثر)^(٩) الى غير ذلك وقوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين
 من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)^(١٠) . وانه صلى الله عليه وسلم

-
- (٤) سورة النور الآية ٦٣ .
 - (٥) سورة المائدة الآية ٦٧ .
 - (٦) سورة التحريم الآية ١ .
 - (٨) سورة المزمل الآية ١ .
 - (٩) سورة المدثر الآية ١ .
 - (١٠) سورة الاحزاب الآية ٦ .

كان المبلغ الاول لاحكام الله ومفتاح باب السعادة على البشرية .
 وأما الاقتداء به صلى الله عليه وسلم ، فالدليل عليه قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)^(١١) وقوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(١٢) وقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب)^(١٣) .

وأما الاستقامة على آدابه فالدليل عليه قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)^(١٤) وقوله تعالى خطابا لرسوله (واستقم كما أمرت)^(١٥) مع وجوب اتباعه بدليل قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) .

وأما كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم ، فالدليل عليه ، هو أن الله قرن الشهادة برسائته مع الشهادة بالوحيته في انه لا يتم الايمان بأحديهما بدون الأخرى ، فجعل من أركان الاسلام كلمتي الشهادة (أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) وقرن اسمه باسمه في التشهد حيث يقول « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، السلام عليك

• (١١) سورة الاحزاب الآية ٢١

• (١٢) سورة آل عمران الآية ٣١

• (١٣) سورة الحشر الآية ٧

• (١٤) سورة فصلت الآية ٣٠

• (١٥) سورة الشورى الآية ٦٥

أيها النبي ورحمة الله وبركاته ،^(١٦) وفي كلمات الاذان وكلمات الاقامة ، وفي آيات الامر بالطاعة الله كقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول)^(١٧) وفي قوله (ومن يطع الله والرسول)^(١٨) الى غير ذلك ممن المواضع المعلومة لمقارنة اسمه باسمه ، وكل ذلك حجة بليغة لتقدير حقه صلى الله عليه وسلم وتكرار ذكره في الخلوة والجلوة الى ما شام الله ، وشخصية بهذه المنزلة يجب ذكره وذكره . واما الصلوات عليه صلى الله عليه وسلم فالدليل عليها قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)^(١٩) والآية الكريمة نص في ان الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم مطلوبة ، فمن العلماء من قال انها مندوبة وحمل الآية الكريمة فيها على الندب وادعى فيه الاجماع ، ومنهم من حملها على الوجوب في الجملة وقرر انها فرض على المسلم ان يأتي بها مرة ، ومنهم من حملها على الوجوب عقب التشهد الاخير وهو الامام الشافعي واحمد رضى الله تعالى عنهما وقالوا : انها واجبة عقب التشهد الاخير ولو تركت بطلت الصلاة وهو مروي عن عمر بن الخطاب وابنه عبدالله رضى الله عنهما وهو قول

(١٦) هذه الصيغة من التشهد مروي عن ابن عباس أخرجه مسلم (١٧٤/١) ، والترمذي (٣٨/١) ، وابو داود ، والنسائي وابن عاجة . انظر نصب الراية (٤٢٠/١) .

(١٧) سورة النساء الآية ٥٩

(١٨) سورة الاحزاب الآية ٧١

(١٩) سورة الاحزاب الآية ٥٦

الشعبي وقد رواه عنه البيهقي كما في شرح الامام النووي على صحيح مسلم^(٢٠) وقال : هنا وأصحابنا يحتجون بحديث ابي مسعود البديري رضى الله عنه المذكور انهم قالوا : كيف نصلي عليك يا رسول الله ؟ فقال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره ، قالوا والامر للوجوب ، وهذا القدر لا يظهر الاستدلال به الا اذا ضم اليه الرواية الاخرى ، كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلواتنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الى آخره ،^(٢١) وهذه الزيادة صحيحة رواها الامامان الحافظان ابو حاتم بن حبان (بكسر الحاء) البستي والحاكم ابو عبد الله في صحيحيهما . قال الحاكم هي زيادة صحيحة . واحتج لها ابو حاتم وابو عبد الله ايضا في صحيحيهما بما رواه عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي لم يحمد الله ولم يمجده ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عجل هذا ثم دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد ربه والثناء عليه وليصل على النبي صلى الله عليه عليه وليدع ما شام^(٢٢) قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

(٢٠) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن محمد بن اسحاق ، ورواه الحاكم في المستدرک ، وقال : صحيح على شرط مسلم (٢٦٨/١) ورواه الدارقطني في سننه . انظر نصب الراية (٤٢٦/١) .
(٢١) رواه ابن خزيمة والترمذي وصحاحه ، ورواه ابو داود انظر دليل القالعي (٢١٩/٧ - ٢٢٠) .

(٢) راجع شرح النووي في هامش السطواني باب الصلاة على النبي بعد التشهد (٣ / ٤٠ - ٤١)

وعلى كل حال فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مطلوبة
ومرغوب فيها ومؤكدة بالاحاديث التي تنص على مزيد أجر
المصلي عليه صلى الله عليه وسلم ، وصوغ الآية الكريمة
المصدرة بأداة التأكيد على الجملة الاسمية الصدر الفعلية
العجز لا سيما وان الجملة الفعلية المضارعة جملة فعلية
استمرارية ، ثم تعقيبها بتداء جمع المؤمنين ، والامر
بالصلاة وزيادة السلام وتأكيد الجملة بمقارنة المصدر مع
العامل ، فلو قلنا على ضوء هذا ان الامر في الآية الكريمة
للاجوب بقرينة الآيات الكثيرة الدالة على وجوب تعظيمه
صلى الله عليه وسلم وتوقيره ، وهذا الذي اعتقده انا بعد
الله تعالى . ولكن الامر غير محدود وغير مؤقت ، فالمطلوب
الاتيان بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، بحيث
يظهر شعار التعظيم ، بأن نقول : بوجوبها في أعظم العبادات
وهي الصلاة ، وفي الخطب المشروعة للصلاة ، وللأمور المهمة
ومع الدعاء ، وفي ديباجات التأليف الدينية ، وفي مجلس
سماع اسمه الشريف ولو مرة واحدة ، وذلك يطابق وجوب
الاتيان بالأمورات حسب المستطاع عادة ، ويختلف بالازمنة
والامكنة والمناسبات .

وأما صيغة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، فهي
كثيرة على ما رواه المحدثون فمن أبي حميد الساعدي رضى
الله تعالى عنه انهم قالوا : يا رسول الله كيف نعلي عليك ؟
فقال : قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما

صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما
باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، (٢٢) .

وفي رواية مالك عن ابي مسعود البصري قال : قولوا :
اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم ،
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد
والسلام كما قد علمتم ، (٢٣) . اي انه جملة السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته (في التحيات) او ما شابهها
من صيغ السلام فيها .

وفي رواية كعب بن عجرة : اللهم صل على محمد وآل
محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على
محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد
مجيد ، (٢٤) .

وعن عقبه بن عمرو في حديثه : اللهم صل على محمد
النبي الامي وعلى آل محمد ، وفي رواية ابي سعيد الخدري
: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، .

وعن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه
الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال : عدهن في يدي رسول

(٢٢) حديث ابي حنيد الساعدي أخرجه البخاري في الدعوات ،
ومسلم في الصلاة ، والنسائي في التفسير من سننه ، وابن ماجة في الصلاة
من سننه . انظر دليل الفالحين (٢٢٤/٧) ومشكاة المصابيح (٢٩٠/١) .
(٢٣) أخرجه مسلم في الصلاة ، والترمذي في التفسير من سننه ،
وابو داود في كتاب الصلاة من سننه . انظر دليل الفالحين (٢٢١/٧-٢٢٢) .
(٢٤) متفق عليه انظر المشكاة بتحقيق الالباني (٢٩٠/١) ، ودليل
الفالحين (٢٢١/٧) .

وعن سلامة الكندي كان علي رضي الله تعالى عنه يعلمنا
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات
وبارئ المسموكات ، اجعل شرائف صلواتك ، ونواحي
بركاتك ، ورافة تحتك على محمد عبدك ورسولك الفاتح
لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والمعلن الحق بالحق ، والدامغ
لجيشات الابطال كما حمل ، فاضطلع بأمرك لطاعتك
مستوفزا في مرضاتك واعيا لروحك حافظا لعهدك ماضيا على
نفاذ أمرك ، حتى أوري قبسا لقابس آلام الله تصل بأهله
اسبابه ، به هديت القلوب بمد لوحات الفتن والاثم ، وابهج
موضحات الاعلام ، ونائرات الاحكام ، ومنيرات الاسلام ، فهو
أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم
الدين ، وبميثك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة ، اللهم
افسح له في عدنك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك
مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول ، وجزيل
عطائك المحلول ، اللهم أعل على بناء الناس بناء ، واكرم
مشاء لديك ونزله ، وأتم له نوره واجزه من ابتعائك له
مقبول الشهادة ، ومرضى المقالة ، ذا منطلق عدل ، وخطة
فصل وبرهان عظيم .

وعنه أيضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله وملائكته يصلون على النبي ، لبيك اللهم وسعديك ،
صلوات الله البر الرحيم ، والملائكة المقربين ، والنبیین ،
والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وما سيج لك من شيء
يا رب العالمين على محمد بن عبدالله خاتم النبيين ، وسيد

المرسلين ، وامام المتقين ، ورسول رب العالمين الشاهد البشير
الداخي اليك باذتك السراج المنير وعليه السلام .
وعن عبدالله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك ،
وبركاتك ، ورحمتك على سيد المرسلين ، وامام المتقين ،
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول
الرحمة ، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه فيه الاولون
والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على ابراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل
محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
مجيد .

وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكأس
الاولى من حوض المصطفى فليقل : اللهم صل على محمد وعلى
آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته وأهل بيته واصهاره
وانصاره وأشياخه ومحبيه وأمته وعلينا معهم اجمعين
يا أرحم الراحمين .

وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول : اللهم تقبل
شفاعة محمد الكبرى ، وأرفع درجته العليا ، وأته مؤله في
الآخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى . وعن وهيب بن
الورد انه كان يقول في دعائه : اللهم أعط محمداً أفضل ما
سألك لنفسه ، وأعط محمداً أفضل ما سألك له أحد من
خلقك ، وأعط محمداً أفضل ما أنت مسؤول له الى يوم
القيامة .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقول : اذا

صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه ، وقولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين ، وامام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبدي ورسولك امام الخير وقائد الخير ، ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا ينبطه فيه الاولون والآخرين ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد . . (*)

ويظهر من رواية هذه الصيغة العديدة للصلوات الشريفة ان صيغة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست محدودة ومقيدة بجملة دون أخرى ، وبأسلوب دون آخر ، وان المقصود جملة تدل على طلب التشريف والتعزيز من الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ، وان كانت المحافظة على احدي تلك الصيغ أحب .

ويدل على ذلك وجود الصيغ المختلفة المروية من بعض الاصحاب الكرام كسيدنا علي ، وعبدالله بن مسعود ، وغيرهما رضي الله تعالى عنهم اجمعين .

فبأي صيغة يصلي المسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم ينال الاحسان ويتقرب بها الى الله تعالى ، ولا وجه لانكار صيغة من صيغ الصلوات ما دامت مفيدة لتعريفه وتعزيزه المطلوب مطلقا .

(*) روى اسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي رقم (٦١) .

كما ان الامر من الله تعالى بالصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم مطلق غير مقيد بزمان أو مكان ، ففسي أي زمان ومكان يصلي المسلم عليه صلى الله عليه وسلم فهو جائز ومستحب ما لم يعارضه مانع شرعي ومعارض قطعي . فلا وجه لانتكار بعض الناس للتصويت بالصلوات الشريفة بعد الاذان على المنابر ، (٢٦) أو بعد الخلاص من أداء صلوات الجماعة بين المسلمين الذاكرين بالاوراد الماثورة ، لان كلا منها مأمور به في الجملة واداءه خير ، ولم يقل احد بأنها اذ ذاك فيه مانع شرعي ولا معارض ظني فضلا عن القطعي .

وما يقال من أنها بدعة لم تكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل بدعة كذلك ضلالة ، غير وارد ، وذلك لان البدعة في اللغة عبارة عن الامر الحادث الذي لم يكن قبل ، وهذا بصورته الظاهرة شامل لكثير من الواجبات والمستحبات التي لم تكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ،

(٢٦) صرح ابن حجر في فتاواه بأنه قد احدث المؤذنون الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الاذان للفرائض الخمس الا صلاة الصبح والجمعة فانهم يقدمون ذلك فيها على الاذان ، ولا المغرب فانهم لا يفعلون غالبا لطيق وقتها ، وكان ابتداء حدوث ذلك في ايام السلطان صلاح الدين بن ايوب الكردي ويأمره في مصر واعمالها ، وسبب ذلك ان الحاكم الفاطمي لما قتل امرت اخته المؤذنين ان يقولوا في حق ولده السلام على الامام الظاهر ، ثم استمر السلام على الخلفاء بعده الى ان ابطله صلاح الدين وجعل بدله الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، فتعم ما فعل فيجزياء الله خيرا ، ولقد استغنى مشايخنا وغيرهم في الصلاة والسلام على النبي (ص) بعد الاذان على الكيفية التي يفعلها المؤذنون ، فافتوا بان الاصل سنة والكيفية بدعة - انظر فتاوى الشيخ ابن حجر ١/١٣٦ - .

وحدثت بعد ، وارتضتها الامة الاسلامية والائمة نظرا الى
أنها تدخل في عموم قواعد الاسلام والدين التي لا تبقي
الاسلام الا بها .

ومن ذلك جمع القرآن الكريم وكتابته على صحائف من
الجلد في عهد خلافة ابي بكر ، وجمعه ثانيا واستنساخ ست
أو سبع نسخ منه في عهد عثمان ، وتدوين ديوان المرتبة
المسلمين المجاهدين وغير المجاهدين من المستحقين في عهد
عمر ، وتأسيسه لدار القضاء ، وكتنيط القرآن في عهد
عبد الملك بن مروان ثم تشكيله ، وتدوين الاحاديث
الشريفة وتبويبها ، وتدوين الفقه وتبويبه ، وتدوين
القراءات السبع ، وتدوين قواعد اللغة العربية المعروفة بعلم
النحو والصرف ، ثم تدوين سائر العلوم الاسلامية كأصول
الفقه والبلاغة وغيرها ، فكل ذلك لم يكن ولم يذكر ، ولكنه
داخل في عموم الاصول أي ان كل ما ينفع الاسلام والدين
يجب اتباعه ، فهذه الامور بعضها فرض عين ، وبعضها
فرض كفاية على ما هو جلي للمتتبع .

ولما نظر المسلمون الى أهمية اعزاز الرسول صلى الله
عليه وسلم ، واعلام مقامه ، وتمييزه للعالم احدثوا ذكرى
مولد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول من
كل سنة^(١) وذكرى معراجة الرفيع في رجب الاصم الفرد من

١ - كان مظهر الفرح بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم وجد قديما ،
غير ان الذي طوره وجعله احتفالا رسميا هو السلطان مظهر سلطان
ابريل المتوفى سنة ٦٣٠ هجرية وقد ذكر ابن خلكان نقلا من مظاهر

الأشهر الحرم ، واستحبوا أن يضيف المؤذنون عددا قليلا من الصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الأذان على المنابر في البلدان ، وعلى السطوح في القرى المأهولة بالمصلين ، كل ذلك خدمة لقوله سبحانه وتعالى (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا)^(٢) ولقوله سبحانه وتعالى (ورفعنا لك ذكرك)^(٣) وتشهيرا

احتفاله بالمولد . انظر وفيات الاعيان لابن خلكان (٢٧٣/٣) . وهذا يظهر ان أهل اربيل اول من ابتنعوا الاحتفال بمولد الرسول ، وهذا الاحتفال مر بأطوار ، كان في البداية ملتصقا على السلطان مظهر ، ثم شمل كل أهالي المنطقة ، ويذكر الشهاب بأنه لم يكن يحصل بيت في اربيل الا كان يحتفل بذكرى المولد سواء كان فقيرا او غنيا كل حسب إمكانيته ، لكن المظهر قد خلت في الستينات ، ثم انتعش فجأة في بداية السبعينات ، ثم خلت مرة أخرى ، واعتقد بانسه ينتعش مرة أخرى بعون الله . وعلى كل فان الاحتفال بالمولد مظهر من مظاهر الكرد ينتعش عندهم اكثر من غيرهم ، كما كان ملصقا التسامعي مظهرا من مظاهرهم في قرني الخامس والسادس الهجري .

٢ - الاحتفال بمناسبة الاسراء والمراج لم يكن موجودا في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين ، وكذا لم يكن موجودا في زمن الخلفاء العباسيين وكذا في عصر المماليك . ولم نجد له ذكرا في المصادر المتوفرة بين أيدينا ، لذا لا نعرف متى استحدث ، وربما استحدثت في زمن متأخر جدا .

لأثر الرسول ومفاخره المندرجة في قوله تعالى (وانتك لملئ
خلق عظيم)^(٥) واظهارا لبركاته وأنواره الساطعة
وفيوضاته الروحية القدسية المستفادة من قوله سبحانه
وتعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)^(٦) .

ومن اعتبر هذه الامور ضلالة فقد تاه ، وضل عن سواء
السبيل ، ولم يتفكر في اخلاق الرسول وتاريخه ، وأسرره
لحسن بن ثابت رضى الله عنه ان يهجوا المشركين ويجاوب
شعرائهم الهاجين للاسلام والمسلمين^(٧) ، وتعايله من الوجد
عند سماع قول كعب بن زهير :

ان النبي لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول^(٨)
حيث اعطاء رداءه المبارك جائزة له على القائه تلك الابيات
الآتيات بجواهر المدائح ودرر الغوائد .

والحق ما اطبق عليه الائمة الاعلام من سالف الايام الى
يومنا هذا ان كل ما ظهر في عالم الاسلام والمسلمين ان كان
مما اجمع عليه من اعيان المسلمين ، او استنبطه الامام

٥ - سورة القلم الآية ٤

٦ - سورة الانبياء الآية ١٠٧

٧ - حيث ورد في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لحسن : « اعجبهم او قال هاجهم وجبريل ملك » . انظر القسطلاني

كتاب بدأ الخلق^١ ٢٦٩/٥ ، وكرره في كتاب المغازي ، وكتاب الادب

٨ - قال ابن عبد البر فلما بلغ الى قوله : ان الرسول ، البيت اشعار

النبي الى من معه ان اسمعوا ، انظر الاستيعاب القسم ٣/١٣١٤

العالم المجتهد في الدين ، أو اندرج في ظواهر الكتاب والسنة الشريفتين فأمره ظاهر جلي وان كان مما سوى ذلك ، فان كان ذلك الامر مما يخدم هذا الدين خدمة لا يد منها فهو واجب وفريضة ، أو خدمة نافعة غير محتمة فهو مستحب ومندوب ، أو لم يكن من هذين ، وكان مما نهى عنه نهياً صريحاً ، أو استفاداً من الأدلة العامة فهو حرام أو مكروه . وعلى هذا يحمل « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد »^(٩) وقوله صلى الله عليه وآله « ما لم يكن من هذين ، وكان مما نهى عنه نهياً صريحاً ، أو استفاداً من الأدلة العامة فهو حرام أو مكروه » . وكل محدثة بدعة »^(١٠) . وان كان متساوي الجانبين فهو مباح .

ومن الواجبات من ذلك كل ما يتوقف عليه اعزاز الاسلام وصيانة بلاده وعمرانها وثقيف أبنائه من العلوم ، والصناعات ، والتدريبات الحربية ، والامور الرياضية ، وتعلم الفنون بأنواعها واصنافها ، وتعلم اللغات الاجنبية ، ومعرفة تواريخ الامم ، وأساس رقيها وانحطاطها ، وكذلك خدمة كل ما يتوقف عليه نشر الاسلام ، واعزاز رسوله ، وبث روح الاسلام ، وتركيزها في قلوب الجيل الناشئ .

٩ - أخرجه البخاري في كتاب الصلح باب اذا اصطفوا على صلح جور فالصلح رد . انظر القسطلاني (٤٢١/٤) . ومسلم في كتاب الاقضية بهذا اللفظ وبلفظ « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٢٧٢/٧) .

١٠ - يأتي الحديث بطوله وتخریجه - في ص ١٧٩ - .

واحياء ما اندرس من معالم الخير في المسلمين • ومن
المستحبات كل ما كان أدنى من ذلك ، فان الاسلام دين
ودولة ، عقل وعلم ، اعتقاد وعمل ، خلق شريف وعدل ،
وبطولة ، وصبر ، واستقامة ، ووحدية ، وتماسك ،
واعتماد ، ومرونة قابلة للاستفادة منها في كل وقت ، وليس
الاسلام جمودا وخمولا واكتفاء بالقشور ، وانقباضا في
الصدور فان تلك الاحوال لا تناسب تحمل أعباء الدين
وإدارة شؤون المسلمين فنسأل المولى جل شأنه أن يشرح
صدورنا لفهم الدين ، ويسهل أمورنا في سبيل نشره في أرشاد
العباد الى السعادة بالتزام أخلاق سيد المرسلين صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين •

(زيارة الرسول)

وأما زيارته صلى الله عليه وسلم في حياته فالدليل عليها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)^(١) وقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا)^(٢) فإن الرسول أفضل الصادقين وصحبته جسداً وروحاً مهمة وأما زيارة قبره الشريف بعد وفاته فالدليل عليها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم « من زار قبري وحبيت له شفاعتي »^(٣) وما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زارني محتسباً كان في جواربي ، كنت له شقيماً وشهيداً يوم القيامة »^(٤) ولي

١ - سورة التوبة الآية ١١٩

٢ - سورة النساء الآية ٦٤

٣ - رواه الدارقطني وفي استناده موسى بن هلال العبدي قال أبو حاتم :

مجهول - انظر نيل الاوطار ١٠٨/٥

٤ - رواه ابن أبي الدنيا وفي استناده سليمان بن زيد الكعبي ضعه ابن حبان والدارقطني وذكره ابن حبان في الثقات ، وعن عمر عند أبي

داود الطيالسي بنحوه - انظر نيل الاوطار (١٠٩/٥) -

حديث آخر ، من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ،^(٥) . وهذا الحديث أجودها اسنادا .

والاجماع على ان زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم من المهمات فمنهم من قال بوجوبها ، ومنهم من قال بندبها .

ولو راعينا القياس في أدلتنا لقلنا ان زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم مقيس على زيارة الرسول نفسه لقيور المسلمين في شهاد أحد والبتقيع ، فقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يزور أهل البقيع وشهداء أحد فزيارتنا لقبر الرسول مقيس على تلك الزيارات بالقياس الجلي الاول .

ومقيس على استحباب زيارتنا لقيور موتانا وزيارتنا لقيور موتانا ثابتة بقوله صلى الله عليه وسلم : كنت نهيتكم

* - أخرجه الدارقطني عن رجل من آل حاطب ، وأخرجه ابن عمر أيضا .
ورواه أبو يعلى في سننه . وابن عدي في كامله وفي أسناده حفص بن داود قال أحمد فيه : انه صالح . وأخرجه الطبراني في الاوسط عن عائشة . انظر نيل الاوطار (١٠٨/٥)
وكذا أخرجه الحافظ العراقي في حديث احياء علوم الدين . انظر احياء (٢٥٩/١) .

عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الاخيرة» (٦) .
ولا شك ان زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة
على أنها تذكر الاخيرة ، تذكر أيضا أحوال شخصية الرسول
الكريم الأمين وبمته ورحمته للعالمين ، ونزول الوحي عليه ،
 وجهاده في سبيل اعلام كلمة الحق ، وبذلك تتجلى انوار الحق
سبحانه وتعالى على قلوب الزائرين ، وتستمد للاقتداء به
بقدر الامكان في طريق الاسلام والاحسان .

وأما حمل تلك الزيارات على ما اذا كان الزائر والمزور
في بلد واحد ، وانه لا تجوز عند بعد المسافة بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد :
المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى » (٦)
أخرجه الشيخان وأحمد وأبو داود وغيرهم فهو حمل غير
صحيح واستدلال غير مستقيم عند من يعرف قواعد اللغاة

٦ - أخرجه مسلم في الجنائز عن ابن بريدة عن أبيه . انظر شرح النووي
في حاشى القسطلاني ٣٦٥/١

والنسائي عن ابن بريدة أيضا في كتاب الجنائز . انظر شرح السنن
(٨٩/٢) والترمذي . وأخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود في كتاب
الجنائز رقم ١٥٧٦ (٥٠٦/١) وأخرجه أبو داود في كتاب الجنائز
عن ابن بريدة . انظر السنن (١٩٥/٢) .

٧ - روى البخاري في أبواب التطوع عن أبي سعيد الخدري . انظر
القسطلاني في (٣٤٨/٢) . وأخرجه مسلم في كتاب الحج عن أبي
هريرة . انظر شرح النووي في حاشى القسطلاني (١٠٥/٦) .

المرية فضلا عن سائر الأدلة ، لان قوله صلى الله عليه وسلم ذلك جملة استثنائية مفرقة حذف منها المستثنى منه كما هو معلوم ، فيجب تقدير المستثنى منه بحيث يكون الاستثناء متصلا لا منقطعا ، لعدم وروده في الكلام النصيح الا ما شد ، فوجب تقدير المستثنى منه بالمحل او بالمسجد ، وتقدير المحل غير صحيح ، لانه يستلزم ان لا يشد الرحال الى محل الجيوش المجاهدين لسد الثغور والحروب مع الاعداء ، ولا الى الجامعات البعيدة والمدارس النائية لطلب العلوم المهمة النافعة ، ولا الى البلدان لجلب اموال التجارة ، ولا الى اماكن الاقارب لصلة الارحام ، ولا الى القرى المتباعدة لزيارة الاحباب المتحايين في الله الى غير ذلك ، وذلك باطل قطعا فوجب حمل المستثنى منه على المسجد ، أي لا تشد الرحال الى أي مسجد الا الى ثلاثة مساجد كما في الحديث الشريف ، ومعناه لا تشد الرحال لاداء الصلاة في أي مسجد الا الى ثلاثة مساجد ، وهذا أمر لا نزاع فيه لعدم الفرق من حيث المكان في اداء الصلوات بين المساجد في المعمورة الاسلامية الا المساجد الثلاثة ، ومعلوم ان من يشد الرحال للزيارة خارج عن موضوع القضية وانتهت المشكلة .

كيفية زيارته صلى الله عليه وسلم

يستحب للزائر ان ينوي مع زيارته صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بالمشافة الى مسجد صلى الله عليه وسلم والصلاة فيه . ويستحب ان يكثّر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه ، فاذا وقع بصره على أشجار المدينة المنورة وحرمتها وما يعرف بها زاد من الصلاة والسلام عليه، ويسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته ويتقبلها منه . ويستحب أن يفتسل قبل دخوله ويلبس انظف ثيابه ، ويستحضر في قلبه شرف المدينة المنورة ، وانها أفضل الدنيا بعد مكة عند العلماء ، وعند بعضهم أفضلها على الإطلاق وان الذي شرفت به خير الخلائق أجمعين . وليكن من أول قدومه الى ان يرجع مستشعرا لتعظيمه معتلي القلب من هيئته صلى الله عليه وسلم كأنه يراه .

وهناك آداب للزائرين مذكورة في محلها . ومن المهم أن يدخل المسجد الشريف فيقصد الروضة الكريمة وهي ما بين المنبر والقبر المبارك ، فيصلّي تحية المسجد بجانب المنبر ، ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ، ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه ، فذلك موقف رسول الله عليه وسلم الذي كان يصلي فيه حتى توفي أربع عشر ذراعا وشبر وان ذرع ما بين المنبر والقبر المنور ثلاث وخمسون ذراعا وشبر .

واذا صلى التحية في الروضة أو غيرها من المسجد شكر الله تعالى على هذه النعمة ، ويسأله اتعام ما قصده وقبول زيارته • ثم يأتي القبر الكريم فيستدير القبلة ، ويستقبل جدار القبر ، ويبعد من رأس القبر الشريف نحو أربعة أذرع ، ويقف خاشعا متأدبا ، ثم يسلم ولا يرفع صوته ، بل يقتصد فيقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا خير خلق الله ، ثم يقرأ الاوراد والادعية الماثورة ، ثم يتأخر الى صوب يمينه قدر ذراع فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه لان رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : السلام عليك يا أبا بكر صفي رسول الله ، وثانيه في الفار جزاك الله عن أمة نبيه صلى الله عليه وسلم خيرا ، ثم يتأخر الى صوب يمينه قدر ذراع للسلام على عمر رضي الله عنه فيقول : السلام عليك يا عمر أعز الله بك الاسلام جزاك الله عن أمة محمد خيرا ، ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوسل به في حق نفسه ، ويستشفع به الى ربه سبحانه وتعالى في حق نفسه ومن شاء من آبائه وأمهاتسه وأولاده وحواشيه وغيرهم من المسلمين •

(التوسل والوسيلة)

وأعلم ان التوسل بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم من أهم المهمات ، لاجابة الدعوات ، وقضاء الحاجات ، وغفران الذنوب ، وكشف الكرب ، وحصول الآمال الخيرية ، وكل ما يدخل في مطالب الانسان المسلم ، من أوثق ما يعتبر مفتاحا لاهــواب الخيرات ولا تسمع قول من أنكر التوسل به صلى الله عليه وسلم ، واعتباره خروجاً من أدب الدين ، بل اعتقد ان انكاره ذلك انكار لما يستفاد من ظاهر القرآن الكريم ، وسنة الرسول العظيم ، واجماع المسلمين قبل ظهور البدع والاهــواء ، وليس قول المبتدعة الاشبهة تافهة تنطفي نارها بأدنى نفحة قدسية ، واليك ما يلي :

نحن معشر أهل السنة والجماعة نستدل على جـواز التوسل بكل وسيلة مشروعة ، بالكتاب ، والسنة ، واجماع الامة قبل ظهور البدع والاهــواء ، أما الكتاب فمـنه قوله سبحانه وتعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)^(١) . نزلت في بني قريظة وبني النضير ، كانوا يستفتحون على الاوس والخــزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبـعثه ، كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة ، والمعنى يطلبون من الله تعالى ان ينصرهم على المشركين ، كما روى السدي أنهم

كانوا اذا اشتدت الحرب بينهم وبين المشركين اخرجوا التوراة ، ووضعوا ايديهم على موضع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : اللهم انا نألك بحق نبيك الذي وعدتنا ان تبعثه في آخر الزمان ان تنصرنا اليوم على عدونا فينصرون . وهنو قريظة والنضير اهل كتاب ، والافوس والخزرج من المشركين ، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ .

ومنه قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة)^(٢) . والوسيلة بظاهرها تشمل التوسل بالاشخاص احياء وامواتا ، والتوسل بالاعمال الصالحة للمتوسل ولغيره ، كما يشمل التوسل بغيرهما من الوسائل المشروعة ، وذلك لانه ان كان الوسيلة بمعنى الوسطة فيشمل التوسط بكل واسطة مشروعة ، وان كانت بمعنى المنزلة والقربة من الله ، فحذف المفعول غير الصريح لقوله (وابتغوا) يشمل كل ما يبتغى به القرب من الله سبحانه وتعالى ، ومن بلاغة القرآن الكريم حذف المتعلقات ، لافادة الموم كما في قوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)^(٣) اي أي معلوم كان (والله يدعوا الى دار السلام)^(٤) أي جميع عباد ، وكذلك (وابتغوا اليه الوسيلة) ، أي بأي وجه مشروع غير منهي عنه .

٢ - سورة المائدة الآية ٢٥

٣ - سورة الزمر الآية ٩

٤ - سورة يونس الآية ٢٥

ولذلك قال سيدنا عمر رضي الله عنه بعدما استسقى
أي توسل بالعباس رضي الله عنه (هذا والله الوسيلة إلى
الله) كما في الاستيعاب لابن عبد البر (٥) .

وأما السنة فمنها حديث عثمان بن حنيف (بالتصغير)
وفيه أن رجلاً ضريراً البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال : أدع الله تعالى أن يعافيني فقال صلى الله عليه وسلم :
إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك ، قال : فادع ،
فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ فيحسن الوضوء ،
ويصلي ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء :

« اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك صلى الله عليه
وسلم نبي الرحمة ، يا رسول الله اني توجهت بك إلى ربي
في حاجتي هذه لتتقضى اللهم فشفعه في » (٦) . قال ابن حنيف
فوالله ما تفارقنا وطال بنا الحديث ، حتى دخل علينا الرجل
كأنه لم يكن به ضرر قط . رواه الترمذي ، وقال حديث
حسن صحيح ، ورواه أيضاً ابن ماجه ، والحاكم عن عثمان

٥ - حديث توسل عمر بالعباس رواه البخاري في رقم ١٠١٠ وكسره
٣٧١٠ ، ورواه الاسماعيلي ، وابن حبان في صحيحه والطبراني في
الكبير رقم ٨٤ وذكر الحافظ ابن حجر تفصيل ذلك في الفتح
(٢٩٧/٢) .

٦ - حديث الضرير أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٢٦/١) وقال : صحيح
على شرط البخاري . والترمذي رقم الحديث ٣٥٩٥ طبعة القاهرة ،
وابن ماجه رقم الحديث ١٢٨٥ .

بن حنيف وصححه الحاكم . فان الظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع للرجل كما طلب ، وانما اقتصر على ما أمر به وعلمه ، وحيث يكون متوسلا في دعائه بذات النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون أمره بهذا الدعاء دليلا واضحا على جواز التوسل بالذات ، وانما علمه صلى الله عليه وسلم ذلك ولم يدع له لعموم فائدة هذا الدعاء ، ولذلك استعمله السلف وتبعهم الخلف لقضاء حوائجهم بعد وفاته ، ولأنه أراد ان يحصل منه التوجه الى الله تعالى ، واظهار الاضطراب اليه عز وجل مستعينا به صلى الله عليه وسلم ليحصل له كمال مقصوده ، وليتميز في نفسه نوع التوجه الى الفاعل المختار عن نوع التوجه الى الاسباب ، فان الاسباب انما يتوجه بها ولا يتوجه اليها مع التوجه الى الله عز وجل وحده ، وهذا المعنى حاصل في حياته وبعد مماته صلى الله عليه وسلم .

والحاصل ان في هذا الحديث الشريف التوسل بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصرفه عن ظاهره تحريف الكلم عن مواضعها بالهوى ، وأما كون استجابة دعاء الضرير بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو غير مذكور في الرواية ، أو بدعاء الضرير نفسه ، فلا شأن لنا بذلك ، بل العجة هي نص الدعاء المأثور عن الرسول عليه السلام ، وقد نص على صحة هذا الحديث جماعة من الحفاظ .

وقد ورد أيضا في حديث فاطمة بنت أسد رضي الله تعالى عنها قوله صلى الله عليه وسلم (بحق نبيك والانبياء

الذين من قبلي) (٧) ورجال هذا الحديث ثقات سوى روح بن صلاح ، وعنه يقول الحاكم (ثقة مأمون) وذكره ابن حبان في الثقات ، وهو نص على أنه لا فرق بين الأحياء والأموات في باب التوسل . وهذا توسل بهاء الأنبياء صريح . وفي حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه : اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك (٨) وهذا توسل بالمسلمين عامة أحياء وأمواتا ، وابن الموفق في سنده لم ينسرد عن ابن مرزوق ، وابن مرزوق من رجال مسلم ، وعطية حسن له الترمذي عدة أحاديث .

وعلى التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتا جرت الأمة طبقة طبقة بحيث يظهر منه انعقاد الإجماع الصحيح ، بمعنى أنا لم نجد في القضية خلافا ممن يعتمد به ومضت عليه الإزمنة قبل ظهور البدع والاهواء .

ثم نقول ان التوسل وقع ويقع بأوجه كثيرة ، ويرجع كلها الى حقيقة واحدة هي الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى من المتوسل ، والتشفع بما يؤيد اجابة دعائه وطلبه في قضاء حاجته ، وباب التشفع باب واسع على ما هو واضح للمسلمين .

٧ - الحديث يأتي بطوله وتخرجه في ص ١٢٠ .

٨ - الحديث يأتي في ص ١١٨ .

الوجه الاول من التوسل هو التوسل

باسماء الله تعالى وكلماته وانبيائه

وهذا الوجه وجيه وواقع ، وليس فيه من المنصفين
منازع ، فقد أخرجه ابن ماجه عن عائشة رضى الله تعالى
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اني أسألك
باسمك الطاهر الطيب المبارك الاحب اليك الذي اذا دعيت
به احببت واذا سئلت به اعطيت واذا استرحمت به رحمت
واذا استفرجت به أفرجت ، (١) .

وفي حديث الصديق رضى الله تعالى عنه ، الذي أخرجه
عبد الملك : وأسألك باسمك الذي بثت به ارزاق العباد ،
وأسألك باسمك الذي وضعت على الارض فاستقرت ، وأسألك
باسمك الذي وضعت على السموات فاستقلت ، وأسألك
باسمك الذي وضعت على الجبال فرست ، وأسألك باسمك
الذي استقل به عرشك ، وأسألك باسمك الطاهر الطاهر
الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور
المبين ، وأسألك باسمك الذي وضعت على النهار فاستنار ،
وعلى الليل فأظلم ، وبِعَظَمَتِكَ وكِبَرِيَّاتِكَ ، وبِنُورِ وَجْهِكَ
الكَرِيم ، ان ترزقني القرآن والعلم به ، وتغلبه بلحمي
ودمي ، وسمعي وبصري ، وتستعمل به جسدي بعولك

١ - أخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء عن عائشة رقم الحديث ٣٨٥٩

وقوتك ، فإنه لا حول ولا قوة الا بك ، يا أرحم
الراحمين ، (٢) .

وفي مشكاة المصابيح عن المهلب ان رسول صلى الله عليه
وسلم قال : « ان بينكم العدو فليكن شعاركم حم لا
ينصرون » (٣) أي اذا ذكرت هذا الاسم المفتوح به سبع سور
من القرآن الكريم لا ينصرون اي لا يظفرون بكم ، وذلك
لما وضعه الله تعالى في الاسماء والحروف من الاسرار الخفية
والآثار العجيبة ، ومن هنا تعبدنا الشارع بالذكر وتلاوة
القرآن بفهم وبغير فهم .

ولاسماء النبي صلى الله عليه وسلم من اسماء الحسنی
النصيب اللائق بذاته الشريفة ، فقد أخرج ابن السني في
كتاب عمل اليوم والليلة في باب ما يقول الرجل اذا خدرت
رجله ، عن ابن عباس انه علم رجلا خدرت رجله ان يتبرك
باسم محمد صلى الله عليه وسلم ففعل الرجل فذهب خدره .

وأخرج ايضا باسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما انه
خدرت رجله فقال : يا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال :
فقام فكانما تشط من عقاله الى غير ذلك من الاحاديث

٢ - قال الحافظ العراقي : من رواية عبد الملك بن هارون وهما ضعيفان
انظر تخريج احاديث الاحياء (٣١٧/١)

٣ - رواه الترمذي في كتاب الجهاد - وایر داود في كتاب الجهاد باب في
الرجل ينادي بالشعار - انظر السنن ٣١/٢ . وانظر مشكاة
المصابيح رقم الحديث ٣٩٤٨ (٢٩٠/٢٨٦) .

الواردة في هذا الباب • وإذا صح التوسل الى الله تعالى
باسمه صلى الله عليه وسلم وكانت له عند الله هذه المنزلة ،
فالتوسل بذاته وجاهه وحقه وحرمته من باب أولى •

وظاهر ان ما خص به اسمه الشريف من المزايا انما جاء
له من ذاته الشريفة ، وحقيقته الممتازة عن سائر الحقائق
البشرية بما لا يعرف قدر كما لها الا واهب المنن •

وكما وهب عز وجل ذاته الشريفة مواهب لا تحصى ،
كذلك وهب أسماء منها ، وجعله تعالى أول مظهر من مظاهر
أسمائه وصفاته العلى ، فكان لا سمه الشريف من أسماء الله
الحسنى ما يتناسب مع ما لذاته الشريفة من تلك المواهب ،
وفي هذا المعنى يقول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :
وشق له من اسمه ليجله

فدو العرش محمود وهذا محمد

كما قرن اسمه باسمه في الاذان وغيره • وروى عن
عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« يقول سبحانه وتعالى انا الرحمن وهي الرحم اشتقت اسمها

من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» (٤) فهذا
 ونحوه يدل على أن للاسم حظا والحرا من مسمياتها التي
 وضع الله بها من الاسرار ما شاء أن يضع . واسرار الاسماء
 والحروف والكلمات القرآنية وأوراد الصالحين لا تنكر .
 من الصواعق الإلهية ص ١٥٦

٤ - تمامه ومن ثبتها ثبتته أن رحمتي سبقت غضبي روى البخاري في
 الأدب المفرد واحد في المسند وأبو داود والترمذي . انظر شرح
 الاتحاف السننية بالإحاديث القدسية ص ٦٠ .

الوجه الثاني التوسل بطلب الدعاء من المتوسل به

تستفاد مشروعية دعاء المسلمين بعضهم لبعض مواجهة أو غياباً في الحياة أو بعد الممات سواء طلب الدعاء منه أو لا ، من الكتاب والسنة ، والاجماع : أما الكتاب فهو دعاء الرسل الكرام لامتهم كدعاء سيدنا نوح عليه السلام لامته ، ودعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام لامته ، واستغفار المسلمين لآخواتهم السابقين عليهم بالايمان قال تعالى (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواتنا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم)^(١) وقوله سبحانه وتعالى (وتعاونوا على البر والتقوى)^(٢) الشامل بظاهره لكل تعاون مادي او معنوي ، ومنه الدعاء للمكروب والمريض والمذنب والمحتاج ، برفع الكرب والمرض وغفر الذنب ودفع الفقر والحاجة ، وكذلك الدعاء بالتوفيق وتكثير المال والولد والجاه ، وقد تحقق هذا النوع من العون ، وطلبه الرسول صلى الله عليه وسلم في كثير من الناس كما هو واضح على علماء السيرة النبوية ، وكذلك المسلمون من الصحابة ومن بعدهم الى يومنا هذا .

واما السنة فقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما استأذنه في العمرة لا تنسنا

يا أخي من دعائك ،^(٣) فقال عمر : كلمة ما يسرنى أن لي بها الدنيا . وفي شكاة المصائب للخطيب التبريزي عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له . قد كان به بياض (برص) فدعا الله فذهب إلا موضع الدينار أو الدرهم . فمن لقيه منكم فليستغفر لكم ، وفي رواية فمروا فليستغفر لكم ،^(٤) انتهى ، فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه باستغفار أويس لهم ، وفيه حث على طلب الدعاء من الصالحين ، وإن الفاضل يستحب له أن يطلب الدعاء ولو من المنضول ، فإن الصحابة أفضل من التابعين . وأويس رضى الله تعالى عنه كان من خيار التابعين . كما روى الحاكم عن علي مرفوعا (خير التابعين أويس)^(٥) وروى عن ابن عباس : سيكون في أمتي رجل يقال له أويس بن عبدالله القرني وإن شفاعته في أمتي مثل ربيعة ومضر ،^(٦) .

-
- ٣ - أخرجه الترمذي في المعونات . وأبو داود في كتاب الصلاة بسأب الدعاء السخن (٣٤٤/١) . وانظر دليل الفالحين (٣١٨/٣) .
- ٤ - أخرجه مسلم في كتاب الفضائل عن عمر . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٤٢٩/٩) .
- ٥ - وأخرجه أيضا عن عمر في حديث طويل بلفظ : أن خير التابعين رجل يقال له أويس ، النووي في هامش القسطلاني (٤٢٩/٩) .
- ٦ - أخرجه ابن عدي في الكامل . انظر الجامع الصغير (٥٩/٢) .

وصح انه صلى الله عليه وسلم أمر أمته بطلب الصلاة عليه ، وطلب الوسيلة له ، فقال : قولوا اللهم صل على محمد ^(٧) . وقال : فاسألوا لي الوسيلة ^(٨) . كما صح انه صلى الله عليه وسلم عندما كان قد طلب منه أحد اصحابه ان يستسقي للناس فدعا صلى الله عليه وسلم وسقاهم الله تعالى .

وروي عن انس رضى الله تعالى عنه انه قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قعطوا استسقى بالعباس رضى الله عنه فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم فتستقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاستقنا ^(٩) . وقد بين زهير بن بكار ما دعا به العباس في هذه الواقعة فقال : اللهم انه لم ينزل بلام الا بذنب ، ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه التوم بي اليك لمكاني من نبيك وهذه اهدنا اليك بالذنوب وتواصينا اليك بالتوبة ، فاستقنا الغيث فارغت السماء مثل الجبال حتى اخصبت الارض وعاش الناس .

وهذا ظاهر في الوسيلة في قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) شاملة للنبي صلى الله عليه وسلم وللعباس ولكل من يستسقي به بعدهما .

٧ - سبق تخريجه في حجة الرسول ص ٨١ .

(٨) سبق تخريجه ص ١٠٠ .

٨ - أخرجه الترمذي بلفظ (سلوا الله لي الوسيلة) رقم الحديث ٣٦١٦ طبعة حمص .

ولا يتوهم أحد أن استسقاء عمر بالعباس يدل على أنه لا يستسقي بجاه الاموات ، فإنه وهم فاسد ، ووجه استسقاؤه به دون أن يذهب بهم الى روضة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو أن يستسقي بجاهه صلى الله عليه في خارجها أمور : الاول ارشاد المسلمين الى انه كما كان يستسقي بالرسول صلى الله عليه وسلم لمكانته عند الله كذلك يستسقي ويتوسل في المهمات بالصالحين من أمته لا سيما من كانت له علاقة قرابة منه صلى الله عليه وسلم . الثاني ان استسقاؤه به كالاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال عمر : وانا نتوسل اليك بعمر نبيك ولم يقل بالعباس بن عبد المطلب ففوة التشريف من اضافته الى النبي صلى الله عليه وسلم فهذه الاضافة المعنوية قد اكسبت المضاف التشريف كالتعريف ، ولا يخفى هذا على علماء البلاغة :

الثالث انه خاف عمر رضى الله عنه على ضمفاء المسلمين حيث ان الله تعالى غني عن العالمين ، ويحتمل انهم اذا ذهبوا الى الروضة وتوسلوا به صلى الله عليه وسلم ان لا يسقوا ، فيقع الضعيف في قلق نفسي .

الرابع انه اراد ان يفهم الناس معنى الوسيلة في قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) وانها لا تنحصر في الاعمال الصالحة بل يشملها وباقي وجوه التوسل ، فان عمر كان ملهما كما ورد في بعض الاحاديث وقد وافق رأيه الكتاب العزيز في مواضع عديدة مذكورة في محلها .

الخامس اعلان شرف ذوي العلاقة بالرسول صلى الله عليه وسلم من آل الكرام لا سيما وان العباس كان بمنزلة الوالد منه صلى الله عليه وسلم .

والسادس اراد عمر ان يدعو العباس فيؤمن على دعائه الحاضرون من المسلمين ، فانه لا تخفى مظاهرة الدعوات بالتأمينات . وكل ما ذكرنا مؤيد بما يأتي من دعائه صلى الله عليه وسلم واستشفاعه بالانبياء الكرام الذين لحقوا برهبهم كما سيأتي بعد ان شام الله تعالى .

السابع ان في الاستسقاء بالعباس ورعاية احترامه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، حيث جاء في رواية فخطب الناس عمر فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد ، فاقتدوا ايها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتخذوه وسيلة الى الله تعالى .

وسر طلب الدعاء من الغير مع ان الله سبحانه وتعالى سميع قريب مجيب يسمع دعاء كل داع وسجيب دعاءه اذا شام كما قال تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي) (٩) هو امور تذكرها ان شام الله تعالى :

الاول تواضع من العبد الداعي وتناس لنفسه فكانه ابتعد عن ساحة الدعاء لكثرة ذنوبه وحججه امام ربه ، وهذه

الثاني استئصال للآيات والاحاديث الدالة على استحباب دعاء الجماعة وتعاونهم بينهم في اللجوء الى الله سبحانه وتعالى فان الله مع الجماعة والجماعة رحمة •

الثالث اعتراف من الداعي بما يستفاد من الكتاب والسنة من اختصاص بعض الناس بمزيد فضيلة لا توجد في غيره • فقال سبحانه وتعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)^(١٠) وقال تعالى (ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)^(١١) فانها تدل بظاهرها على ان الصالحين مختصون بفضائل ودرجات هالية عند الله • فالمسلم المضطر يتحسر ان يكون طلبه مقرونا بالاجابة ببركة اضافة دعاء الوسيلة الى دعائه ، الا ترى قوله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا)^(١٢) . اضاف استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم الى استغفارهم للتأكد من القبول ببركة استغفار الرسول لهم مع ان الله سبحانه وتعالى قال (واني لغفار لمن تاب)^(١٣) وقال (قل

١٠- سورة البقرة الآية ٢٥٣

١١- سورة الجاثية الآية ٢١

١٢- سورة النساء الآية ٦٤

١٣- سورة طه الآية ٥٣

يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا (١٤) .

وقال سبحانه وتعالى في ما روى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم من احاديثه القدسية : لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وان سألني اعطيتة ، وان استعاذني لاعينته ، (١٥) رواء البخاري ، فاذا ظن واعتقد الداعي برجل صالح انه من اولئك الناس المحبوبين التجأ اليه وطلب منه الدعاء ، لعله يدعو له فيجيب الله تعالى دعاءه .

وقال عليه الصلاة والسلام : رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لأبره ، (١٦) فالتجاء الناس الى اولئك الصالحين تأكيد لرجاء القبول من الله سبحانه وتعالى . وقال صلى الله عليه وسلم : ارجى الدعوات دعاء الاخ لاخيه بظهر الغيب ، (١٧) فيطلب الملتجئ من أخيه الدعاء ، فيدعو

١٤- سورة الزمر الآية ٥٣

١٥- أخرجه البخاري في الرقائق باب التواضع . انظر القسطلاني (٢٨٩/٩)

١٦- أخرجه مسلم عن أبي هريرة في كتاب البر باب فضل الضعفاء . انظر

شرح النووي في حاشي القسطلاني (٥٤/١٠) . وكرره في كتاب

الجنة شرح النووي في حاشي القسطلاني (٣٠٥/١٠) .

١٧- أخرجه مسلم بلفظ : دعوة المرء المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة ،

انظر شرح النووي في حاشي القسطلاني (١٦٠/١٠) .

وعند أبي داود بلفظ : ان اسرع الدعاء اجابة دعاء غائب لغائب ،

السنن الصلاة باب الدعاء (٣٥٢/١) .

له غياها باخلاص ويفوز بالقبول من الله وهو الجواد
الكريم .

ولم يزل المسلمون يطلب بعضهم من بعض الدعاء
ويدهو بعضهم لبعض بالخصوص كما يدعون للمسلمين
عامة .

الوجه الثالث التوسل بنفس الذوات

وهذا الوجه من التوسل هو أصل في باب التوسل ، لأن
كل فضل وكرامة وعمل صالح وشرف ينبع من الذات وجوهر
شخصيته المختارة ، وهو المستفاد من قوله تعالى (قل الحمد
لله وسلام على عباده الذين اصطفى)^(١) ومن قوله (وانهم
عندنا لمن المصطفين الاخيار)^(٢) وقوله (وكان عند الله
وجيها)^(٣) ومن قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم واننت
فيهم)^(٤) . والمائل ينظر الى اصطفاء الذوات قبل النظر
الى محاسن الصفات ، والبسيط ينظر الى الصفات ويستدل
بها على رفعة الذات ، فالذات أصل والوصف فرع .
وصورة هذا التوسل ان يقول الداعي : اللهم اني اتوسل
اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أو بعبدك الفلاني
ان تقضي لي حاجتي ، وهذا أيضا واقع في قضية الشخص

(١) سورة النحل ، الآية ٥٩

(٢) سورة ص ، الآية ٤٧

(٣) سورة الاحزاب ، الآية ٦٩

(٤) سورة الانفال ، الآية ٣٣

المكشوف فان ظاهرهما انه قال : اللهم اني اتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم^(٥) . وفي استسقاء عمر بالعباس في قوله : انا نتوسل اليك بهم نبيك فاستقنا^(٦) ولم يطلب منه دعاء ، ولكنه عبر عن بيان المقصود بقوله وبدعائه الذي سبق ذكره ، وكذلك في قضية توسل سيدنا معاوية يزيد بن الاسود رضى الله عنهما حيث قال : اللهم انا نستسقي بخيرنا وافضلنا اللهم انا نستسقي يزيد بن الاسود ، واما دعاؤه فكدعاء سيدنا العباس في طلب مراد الناس .

ولا مانع من التوسل بالذات اذا كان من الاموات كالاحياء ، لانه يتوسل بيمينه وقلبيته ، والكرام اذا ماتوا باتوا في حلية النعيم والكرم المقيم وصفاء ارواحهم ازيد وأنوار قلوبهم أوسع ، ولا يتوسل باللحم والدم والعصب والمظلم بل يتوسل بذوات لا ينقص مقدارهم ديناً وشرعاً عن مقادير الشهداء الذين قال سبحانه وتعالى في شأنهم (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)^(٧) فاذا كان الشهداء على تلك المنزلة من الحياة لخدمتهم وجهادهم في الدين فكيف بصاحب الدين وسيد المرسلين وصحابته الاكرمين .

(٥) سبق تخریج الحديث ص ١٠٠

(٦) سبق تخریجه ص ١٠٠

(٧) سورة آل عمران ، الآية ١٦٩ - ١٧٠

الوجه الرابع التوسل بالأعمال الصالحة وذكرها

وصح التوسل بذكر الاعمال الصالحة كما روى في الصحيحين عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة اصحاب الغار الثلاثة الذين أوتوا الى غار فاطبقت عليهم صخرة ، فتوسل كل واحد منهم بمصالح عمله بعد ذكره قائلا : اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه ،^(١) فأزال الله عنهم بسؤال كل واحد ثلثا من الصخرة وخرجوا مطمئنون ، فكل هذا يدل على جواز التوسل بالخير وبأهل الخير ، لان مغزى ذلك التوسل ان اطاعة الله بالأعمال الصالحة محبوبة مرغوبة عند الله ، والعاملون لها مظاهروا تلك الطاعات والخيرات فيكون لهم قدم صدق عند مليك مقتدر ووجاهة عند الله الرؤوف الرحيم . والتوسل بهم يكون مرضا لتلك الرغبة والرجاء عند الله ، ألا ترى أن الله سبحانه أمر العبد الذي أتاه من لدنه علما بأقامة جدار اليتيمين اللذين كان أبوهما صالحا ، أليس ذلك لطفامه ومع ذريته المساكين؟ أليس ذلك مندرجا في لطائف قوله الكريم (وهو يعصو الصالحين)^(٢) ؟

ثم اذا ثبت ان للأعمال الصالحة الناشئة من المسلم بركة وقيمة ، ظهر ان المتوسل اذا قال : اللهم اقض حاجتي ببركة اخلاص النبي الكريم ، أو ببركة تضحية هذا الشهيد

(١) الحديث يأتي بطوله وتخرجه في كرامات اولياء الله

(٢) سورة الاحزاب ، الآية ١٩٦

المستشهد في سبيل الله ، أو ببركة مساعي القراء والحفاظ
 لكتاب الله أو بيمين حملة أحاديث رسول الله ، أو باجتهاد
 المجتهدين لاستنباط أحكام الله ، أو بسداقة الصادقين الذين
 صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، كان لتوسله ذلك قيمة واحتراما
 ويميز عليه سبحانه وتعالى ان يرد المتوسل خائبا • بل بالعكس
 يتجلى عليه بالرحمة وقضاء حاجته ، وهذا هو الواقع
 المعلوم من سنته في عبادته وأهل ذمته ، حشرنا الله تعالى معهم
 وعفا عنا ببركات أعمالهم وقوة نياتهم •

الوجه الخامس

التوسل الى الله تعالى بحق عبادته المكرمين من

الانبياء والمرسلين ومن الأئمة العارفين

وهذا النوع من التوسل يشمل التوسل بحقهم أحياء
 وأمواتا ، وهو استشفاع بحقهم ، وليس معنى حقهم الحق
 المرعي الواجب على الله تعالى ، فإنه لا يجب عنه ، ولا يجب
 عليه شيء ، وهو الفاعل المختار ، بل المراد حقيق الاحترام
 والاكترام المرعى منه تعالى فضلا ورحمة واحسانا ، كما في
 قوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة)^(١) وكما في قوله
 تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)^(٢) - والحق بهذا
 المعنى يرجع الى معنى الجاء والشأن والقدر عند الله تعالى •

(١) سورة الانعام ، الآية ٥٤

(٢) سورة الروم ، الآية ٤٧

وهذا التوسل وقع منه صلى الله عليه وآله وأمر أصحابه به ،
فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم : اللهم اني أسألك بحق
السائلين عليك ، وروى ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم اني
أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشي هذا
اليك ، فاني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ،
خرجت اتقاه سخطك ، وابتغاه مرضاتك ، فأسألك ان
تعيذني من النار ، وان تغفر لي ذنوبي ، فانه لا يغفر
الذنوب الا أنت ، أقبل الله بوجهه عليه واستغفر له سبعون
الف ملك ، (٢) - وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير -
وروى الحديث المذكور ايضا ابن السني بإسناد صحيح
عن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه
ولفظه كان رسول الله اذا خرج الى الصلاة قال : بسم الله ،
أمنت بالله ، وتوكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ،
اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق مخرجي هذا
فاني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت
ابتغاه مرضاتك ، واتقاه سخطك أسألك ان تعيذني من النار
وان تدخلني الجنة ، (١) .

(٢) أخرجه الامام احمد في المسند (١٢١/٣) وابن ماجه في باب
المضي الى الصلاة (٢٥٦/١) ورواه ٧٧٨ قال في الزوائد هذا إسناد
مسلسل بالضعف .. لكن رواه خزيمه في صحيحه من طريق ابن مردود
فهو صحيح عند .

(١) أخرجه النووي في الاذكار وضعفه ص ٣٢ ، وابن السني في
صل اليوم والليلة رقم الحديث (٨٤)

ورواه الحافظ أبو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث
أبي سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج
إلى الصلاة قال : اللهم ، إلى آخر الحديث .

ورواه البيهقي في كتاب الدعوات من حديث أبي سعيد
أيضا .

ومحل الاستدلال بقوله صلى الله عليه وسلم : بحق
السائلين عليك ، النص في التوسل بحق العباد الداعين
السائلين ، ومنهم الأحياء والأموات ، كما أن في الحديث
الشريف دلالة على جواز التوسل بحق نفس المتوسل وأعماله
الصالحة كما يظهر من قوله : وأسألك بحق ممشي هذا
اليك . ولما كان الحق بمعنى القدر والجزاء كان فيه
الاستشهاد للتوسل بالجزاء أيضا . فالحديث المذكور برواياته
وطرقه الكثيرة يكون دليلا على جواز التوسل بالحق والجزاء
للأحياء والأموات من العباد المكرمين ، وبمعمل النفس أيضا ،
كما هو منصوص بقوله صلى الله عليه وسلم : «ممشي» ولم
يزل السلف من التابعين وأتباعهم ومن بعدهم يستعملون
هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة بأمره صلى الله عليه
وسلم .

ويدل على هذا النوع من التوسل أيضا ما رواه الطبراني
في الكبير والأوسط ، وابن حبان والحاكم وصححه عن
أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لما ماتت فاطمة بنت
أسد رضي الله عنها ، وكانت ربهت النبي صلى الله عليه وسلم

وتعهدته وخدمته وهي أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه
دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها
وقال : رحمتك الله يا أمي بعد أمي ، وذكر ثناءه عليها
وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد
حضره النبي صلى الله عليه وسلم عليه بيده ، فلما فرغ دخل صلى
الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال : الله الذي يحي ويميت
وهو حي لا يموت أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها
مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإني أرحم
الراحمين ، (٥) .

وروى ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك ،
وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما
ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه ذكر ذلك
الحافظ السيوطي في الجامع الكبير .

وروى البيهقي بأسناد صحيح في كتابه (دلائل النبوة)
الذي قال فيه الحافظ الذهبي عليك به فإنه كله هدى ونور
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : لما اقترن آدم الخطيئة ، قال يارب أسألك
بحق محمد ألا ما غفرت لي ، فقال الله تعالى : يا آدم كيف
عرفت محمدا ولم أخلقك ، قال يارب أنك لما خلقتني رفعت

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في حديث طويل ، وفي
رواه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم ، قال الحافظ الهيثمي : روح
فيه ضعف ، وبقي رجاله رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد (٢٥٦/٩-٢٥٧)
وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٢١/٣)

والتي فرأيت على قوائم المراض مكتوبا لا آله الا الله محمد رسول الله . فعلمت انك لم تضاف الى اسمك الا أحب الخلق اليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم ، انه لأحب الخلق اليّ ، واذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولو لا محمد ما خلقتك (٦) . ورواه ايضا الحاكم وصححه الطبراني وزاد فيه « وهو آخر الأنبياء من ذريتك » .

والى هذا التوسل اشار الامام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس ، وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين ، وذلك انه لما حج المنصور المذكور وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكا وهو بالمسجد النبوي ، وقال له : يا ابا عبدالله استقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم الى الله تعالى ، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك ، قال تعالى (ولو انهم اذا ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) (٧) .

ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه باسناد صحيح ، وذكره الامام السبكي في شفاء السقام في زيارة خير الانام ،

(٦) واخرجه الحاكم في المستدرک (٦١٥/٢) واخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق من طريقه وصححه الحاكم فتعقبه الذهبي بقوله : قلت بل موضوع وعبد الرحمن راء .

والسيد السهمودي في خلاصة الوفاء ، والعلامة التسطلاني في المواهب اللدنية ، والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجمهور المنتظم بالمنتظم ، وذكره كثير من ارباب المناسك في آداب زيارته النبي صلى الله عليه وسلم .

قال العلامة ابن حجر في الجمهور المنتظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه ، وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفاء باسناد صحيح رجاله ثقات ليس في اسنادها وخماخ ولا كذاب ، ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الامام مالك ، ونسب له كراهية استقبال القبر فنسبة الكراهة الى الامام مالك مردودة .

الوجه السادس

التوسل الى الله بالتبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم

وهذا أمر ثابت في عهد صلى الله عليه وسلم بمراى منه ، وقد قرره صلى الله عليه وسلم وجرى الامر عليه بعد وفاته أيضا ، لان الله سبحانه وتعالى خص آثاره وما لمسه أو باخره بمزايا وخصائص يتبرك بها ويتنفع بآثارها .

ففي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها أنها أخرجت جبة طيالة وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نفضلها للمرضى يستشفون بها ، وكانوا يفعلون ذلك فيشفون .

وكان لعبد القاسم بن المأمون قصة من قصص النبي صلى الله عليه وسلم يجهلون الماء فيها للمرضى فيشفون به . وكان صلى الله عليه وسلم إذا توضأ ابتدروا وضوءه وكانوا يقتتلون عليه ، وكان لا تسقط منه شفرة إلا ابتدروها وتبركوا بها . وقد أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بل كان يأمر أبا طلحة أن يفرق شعره عند حلق رأسه بين أصحابه ليتبركوا به كما في صحيح البخاري^(*) . وفيه عن أبي جحيفة قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والمصر ركعتين وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم قال فأخذت يده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك »^(١) رواه أحمد والبخاري وقوله (يمسحون بها وجوههم) فيه مشروعية التبرك بملاسة أهل الفضل والصلاح .

(*) لمزيد تفصيل ذلك راجع فتح الباري كتاب الوضوء باب الماء الذي يفسل فيه شعر الإنسان (١/ ٢٢٨ - ٢٢٩) .

(١) البخاري باب المنائب . انظر القسطلاني (٦/ ٢٩)

وفي صحيح مسلم عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يداوي من به قرحة أو جرح بأن يضع أصبعه السبابة بالأرض ثم يرفعها قائلاً : بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا ، (٢) - أي هذه تربة أرضنا معجونة بريقة بعضنا ، قال النووي - ومعنى الحديث ان يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب ليعلق بها شيء منه فيمسح به على الموضع العليل والجرح ويقول هذا الكلام في حال المسح متبركاً باسمه تعالى - أنظر شرح المشكاة -

والسنة معلومة بذكر التبرك والرقية بآثاره صلى الله عليه وسلم عرقه ودمعه ولعابه ووثابه ومشاهده التي شرفها صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا أخذ التبرك بآثار الصالحين - وقد حوِّف على عدد من شعرات لحية الرسول صلى الله عليه وسلم عند ملوك المسلمين ، ووقع منها عدد في خزائن السلاطين العثمانيين رحمهم الله تعالى ، ووصلت منها عدد إلى ديار كردستان العراق كما هي موجودة الآن في تكية (بيارة) المباركة إحدى نواحي قضاء (حليجة) التابعة لمحافظة السليمانية وقد توسل ببركتها على مرأى منا في مناسبات

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطب - أنظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٢٦/٩) ، وأبو داود في سننه كتاب الطب (٣٣٩/٢)

خاصة في زمن الجذب وقلة الامطار ، فأخرجت من صندوقها الخاص واجتمعتنا واقفين وصلينا على الرسول صلى الله عليه وسلم مرات وتوسلنا بها فنزلت الامطار الغزيرة ، وفي اوقات الخوف من هجوم الاعداء على بعض اقطار المسلمين من مجاورين فحصلت صيانة لها عنهم ، وذلك معلوم ومعروف عند المسلمين الموجودين في تلك الربوع بحيث لم يبق مجال للشك فيه ، واقرأوا قوله تعالى (اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا) (٣) .

الوجه السابع التوسل بالرفي والتعائم

وثبت ان التوسل بقراءتها وكتابتها نافع وسبب من الاسباب العادية التي يخلق الله المسبب عندها ، قال ابن رسلان كما في نيل الاوطار ان هذا جائز لا أعرف الآن من يمتعه في الشرع^(٤) .

واحاديث البخاري وغيره من الرقية بالفاتحة والمعوذتين تدل على جواز الرقية بغيرهما من سائر آيات الله ، وكذلك الرقية بكل ما هو مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب من الأدعية والتعوذات ، ويلحق به ما ورد عن الصالحين من الأقوال والأعمال التي لا تشتمل على باطل . فان الرقية منها ما هو مشروع ومنها ما هو غير مشروع كما يشير اليه حديث خارجة بن الصلت عن عمه انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم ثم أقبل راجعا من عنده فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد فقال أهله انا قد حدثنا ان صاحبكم (يعنون النبي صلى الله عليه وسلم) قد جاء بخير فهل عندك شيء تداوى به قال فرقيته بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام كل يوم مرتين فبرئ فاعطوني مائتي شاة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : خذها فلمعري من أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حق^(٥) رواه احمد وابو داود ولفظ

(٤) انظر نيل الاوطار (٢٣٩/٨) .

(٥) أخرجه ابو داود في كتاب الطب، انظر السنن (٢ص٣٣٩و٣٤١)

أبي داود ، ثلاثة أيام غدوة وعشية كلما غتتها جمع بريقه
ثم نقل ، قال ابن أبي جمرة ومحل التغل يكون بعد القراءة
لتحصل بركة القراءة في الجوارح التي يمر عليها الريح .
وفي قوله صلى الله عليه وسلم « بريقة باطل » أي بريقة كلام
باطل إشارة إلى أن الرقية منها حق ومنها باطل وهي التي
اشتمل كلامها على محرم أو مكروه .

ويبدل على المقصود أيضا خبر أبي سعيد الخدري رضى
الله عنه وذلك أنه كان مع جماعة من الصعابة في السفر
فمروا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم ،
فباتوا بالوادي فلدغ رئيس ذلك الحي فأتوا له بكل دواء فلم
ينجع ، أي لم ينفع بشيء ، فقال بعضهم لبعض : سلوا ذلك
الحي الذي نزل عندكم فسألوه فقالوا هل فيكم من راق فإن
سيد الحي لدغ فقالوا : نعم ، ولكن لا يكون ذلك إلا بجمل
لكونهم لم يضيفوهم فجملوا لهم قطيما من الغنم وكان ثلاثين
رأسا وكانت الصعابة كذلك ، فقرأ عليه أبو سعيد الفاتحة
ثلاث مرات فكانما نشط من عقال ، وإنما رقاء بالفاتحة دون
غيرها لأنه صلى الله عليه وسلم قال « فاتحة الكتاب شفاء
من كل داء »^(٢) ثم توقفوا في ذلك فقالوا كيف تأخذ أجرا على
كتاب الله تعالى ؟ فلما قدموا المدينة أتوا النبي صلى الله عليه

(٢) رواه بهذا اللفظ البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الملك مرسلا

وسلم وسألوه عن ذلك فقال : « أن أحق وفي رواية أن أحسن ،
ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله تعالى » (٢) .

وقد رقى صلى الله عليه وسلم سهل بن حنيف من نظرة
عامر بن ربيع حيث أمره بفصل وجهه ويديه ومرفقيه
وركبتيه وما تحت أزاره ، ثم بصب الماء على رأسه فبرئ
لوقت . وكان صلى الله عليه وسلم يأمر العائن بذلك وكم
وكم له صلى الله عليه وسلم ولغيره ممن ورث حاله في هذا
الباب ، وإن كان بين رقاء صلى الله عليه وسلم ورقى غيره
من التفاوت ما بين مقامه ومقامهم ، ولا شك أن هذه الرقى
منه صلى الله عليه وسلم ومن غيره من العمل الصالح الذي
يتوسل به إلى حصول المطلوب ويتقرب به إلى الله تعالى لنيل
ثوابه المعروف .

واحاديث النهي عن الرقى والتعائم محمولة على قوم
كانوا يمتقدون نفعها وتأثيرها بطبيعتها ، كما كانت الجاهلية
يزعمون في أشياء كثيرة أنها تؤثر بطبيعتها ، أو على رقى
أشتمل كلامها على محرم أو مكروه ، والا فريقيه صلى الله
عليه وسلم متواترة لا شك ولا شبهة فيها .

الوجه الثامن

التوسل بطلب الفعل من الرسول صلى الله عليه وسلم
أو من غيره من الأنبياء أو الأولياء

كان يقول يا رسول الله أو يا سيدي فلان خلّصني من
هذه المشكلة المادية ، كابتلائه بالامداد ، أو المعنوية كابتلائه
بوساوس نفسية وغيرها ، فهذا الوجه من التوسل ان كان على
رعاية المعنى المجازي كان يريد المتوسل : يا رسول الله ادع
لي أو اشفع لي كي اخلص من هذه المشكلة فانه جائز ،
وحصول المتوسل اليه واقع ، فكم شفى مريض بتوجهاتهم ،
وكم قضيت حاجات بارشاداتهم ، ومن انكر ذلك فقد انكر
محسوسا وقد صح انه صلى الله عليه وسلم رد عين قتادة
بعد ان سالت على وجنته ، (*) وشفى ابن (ملاعب الاسفة) من
مرض استسقاؤه بتفاله على حثوة من التراب بعد اعياء
حيلته ، الا انه لا يجوز دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم
ولا طلبه منه بمثل هذه الصيغة التي من شأنها ان تستند الى
الله تعالى لا الى غيره ، لان الداعي وان اراد المعنى المجازي
الصحيح لكن صيغته موهمة للفساد فيجب تركها .
ونحن ما سمعنا الدعاء من مسلم فاهم للدين بتلك الصيغة .

(*) قصة رد الرسول صلى الله عليه وسلم رد عين قتادة الى مكانها
جاءت في روايات كثيرة ، ذكر البغوي وابو يعلى ان القصة كانت في بدر ، وفي
رواية ان الرسول وضع راحته على حدة قتادة ثم لمزها فكان لا يدري اين
ذهبت عينه ، وفي رواية انه ردها الى مكانها ، وعند الدارقطني وابن شاذان
ان القصة كانت في غزوة احد وقد فصل الكلام فيها ابن حجر في الاصابة

وأما المسلم الجاهل أو البدوي البعيد عن معرفة الأحكام فإن صدرت منه تلك الصيغ وجب تنبيهه وإعلامه أن تلك الصيغة غير سليمة ، وأن الصحيح هو أن تقول صيغة تدل على جعله صلى الله عليه وسلم داعيا ووسيلة لوصول المتوصل إلى مراده .

ويجب أن يعلم أنه ليس من قبيل تلك الصيغة الركيكة قول المسلم المتوصل : اشفع لي يا رسول الله ، أو أسألك الشفاعة لي يوم القيامة على معنى سل الله تعالى أن يفسر لي ويدخلني الجنة ، أو أن يقول : يا رسول الله كن وسيلة النجاة لي من تلك المحنة ، أو ادع الله تعالى أن يشفيني أو يعينني على حصول مقصودي ، فإن كل تلك العبارات في المال دعاء إلى الله ، وطلب من الله ، والتجاء إليه في الواقع ، وجعل الرسول وسيلة وشفيعا وذلك أمر صحيح سليم وشفاعته صلى الله عليه وسلم ثابتة لا تنكسر .

فإن قوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه)^(١) مما يقرر ثبوت الشفاعة للأنبياء وغيرهم بأذنه سبحانه وتعالى ، وكذلك قوله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)^(٢) وقوله تعالى (لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا)^(٣) من الأدلة الجلية على ثبوت الشفاعة - وإنكارها

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٢٨

(٣) سورة طه ، الآية ١٠٩

إنكار البديهيات ، وحديث شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة كاد أن يكون متواترا .

وكذلك ليس من المحذور الاستعانة برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعنى المعروف حسب اللغة العربية المستعملة وحسب العرف العام ، وهو إمداده وإساعته للمستفيث بالوسائل الاعتيادية والأسباب المتداولة المعروفة . وكذا ليس من المحذور الاستعانة برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعنى المعروف ، وهو عونه للمستفيث بما في وسعه وطاقته الاكتسابية بمباشرة أسباب الخلاص والفرج عن المستفيث المكروب ، فإن الله سبحانه وتعالى بحكمته العالية جعل لكل شيء سببا إلا ترى قوله تعالى في قصة ذي القرنين (وأتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا)^(١) فالأسباب الاكتسابية كثيرة لا يحصيها إلا الله ، فمن الأسباب توجه المستفيث والمستفيث إلى من يغيثه ويعينه ، ومن الأسباب أيضا إمداد المستفتات والمستعاذ بما في وسعه لإزالة الكرب عن السائل .

ومما هو نص في الاستغاثة بالمعنى الاكتسابي المعروف قوله سبحانه وتعالى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من أعدوه فوكلوه موسى فقضى عليه)^(٢) ومما هو نص في الاستعانة بالمعنى الاكتسابي المعلوم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين)^(٣) ، وقوله

(١) سورة الكهف ، الآية ٨٤ - ٨٥

(٢) سورة القصص ، الآية ٦٥

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٥٣

صلى الله عليه وسلم « استمعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان »^(٧) وينادي على صحة ذلك قوله سبحانه وتعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)^(٨) فان التعاون مصدر باب التفاعل ، والباب للمشاركة على ما هو معلوم عند علماء العربية ، وعونك لشخص كثيرا ما يكون بعد استعانتك بك ، وكذلك عونه لك يكون بعد استعانتك به .

وأما حصر الاستعانة في الاستعانة بالله العظيم في قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)^(٩) ، وكذا حصر السؤال والاستعانة به تعالى في قوله صلى الله عليه وسلم لا ين عباس رضى الله تعالى عنهما « واذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله »^(١٠) ، فهو حصر لها على معنى خلق المسؤول والمستعان فيه وايجاده في ذات الله سبحانه ، كيف وقد قال (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل)^(١١) .

فالاستعانة بمعنى خلق المونة حصر في الله سبحانه وتعالى ، وبمعنى الاستعانة وطلب المونة الممكنة المتيسرة

(٧) تنبيه : فان كل ذي نعمة محسود ، اخرجه البيهقي في شعب الايمان ، وابو نعيم في الحلية ، والطبراني ، كما ذكره الزركشي في اللآلئ المنتشرة في الاحاديث المشتهرة ، واورده السيوطي ورمز لضعفه في الجامع الصغير (٦٤/١) .

(٨) سورة المائدة ، الآية ٢

(٩) سورة الفاتحة ، الآية ٥

(١٠) هذه قطعة من حديث طويل أخرجه الترمذي عن ابن عباس في كتاب صفحة القيامة من سننه ، وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه احمد انظر المسند (٢٦٩-٢٣٣/٤) ، وذكره النووي في الايعين .

(١١) سورة الزمر ، الآية ٦٢

من الناس يستعمل مع كل من يمكن منه ذلك . وذلك نظير الهداية ، فانها بمعنى خلق الاهتداء ونور البصيرة حصر في الله سبحانه وتعالى ، ومسلوب عن كل ما سواه كما قال تعالى (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)^(١٢) وبمعنى اراءة الطريق وارشاد الناس يستعمل في القرآن كما في قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقشوم)^(١٣) ويستعمل للانبياء والمرشدين الهداء الى الحق وحماته كما في قوله تعالى (وانك لتهدي الى صراط مستقيم)^(١٤) . فيجب رعاية هذه الامور والتنبيه لمعرفة معاني الفاظ القرآن الكريم واحاديث الرسول العظيم ، حتى نستعين بهما على السلوك في الصراط المستقيم (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب)^(١٥) ألا ترون قوله تعالى خطاياها لحبيبه الامين (يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)^(١٦) فان كفاية الله له بخلقه النجاح وترتيبه المسببات على الاسباب ، وكفاية المؤمنين له بخدمتهم للدين والجهاد لاعلام كلمة الحق واليقين ، ومباشرة اسباب النجاح الاعتيادي الواجب رعايته على سنة الله في الكسوف (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)^(١٧) .

(١٢) سورة القصص ، الآية ٥٦

(١٣) سورة الاسراء ، الآية ٩

(١٤) سورة الشورى ، الآية ٥٢

(١٥) سورة آل عمران ، الآية ٨

(١٦) سورة الانفال ، الآية ٦٤

(١٧) سورة الفتح ، الآية ٢٣

والناجح هو الموفق الذي يوفق بين الاعتماد على الله والتوكل عليه في خلق النجاح والسعادة ، وبين مباشرة الاسباب الشروعة التي خلقها الله تعالى للعباد في دنياهم لرفيقهم وظفرهم باعدائهم ، فان الحكمة هي الجمع بين هذين الامرين (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) (١٨) ، ويا أسفا على المسلمين الذين تناسوا جهاده صلى الله عليه وسلم مادة ومعنى حيث كان يحارب الاعداء ، ويمدّ العدة ، ويستنجد ، ويعاهد ، ويأمر بالهجرة الى البلاد ، وفي كل أحواله يرجع الى ربه ويتوكل عليه ويقول (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١٩) .

والحاصل ان مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازها بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين ، كما دلت الاحاديث السابقة ، لانا لا نعتقد تأثرا ، ولا خلقا ، ولا ايجادا ، ولا اعداما ، ولا نفعا ، ولا ضرا ، الا لله وحده لا شريك له ، فلا نعتقد تأثرا ولا نفعا ولا ضرا للنبي صلى الله عليه وسلم ، باعتبار الخلق والايجاد والتأثير ، ولا لغيره من الاحياء والاموات ، فلا فرق في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وعليهم أجمعين ، وكذا بالاولياء والصالحين ، لا فرق بين كونهم احياءا أو أمواتا ، لانهم لا يخلقون شيئا ، وليس لهم

(١٨) سورة البقرة ، الآية ٢٦٩

(١٩) سورة يونس ، الآية ٦٢

تأثير في شيء ، وإنما يشترك بهم لكونهم أحياء الله تعالى ،
والخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له .
وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات حيث جوزوا
بعض التوسلات بالاحياء لا للاموات ، فهم القريبون من الزلل ،
لأنهم اعتبروا ان الاحياء لهم التأثير دون الاموات ، مع انه
لا تأثير ايجاديا لغير الله سبحانه وتعالى على الاطلاق . وأما
الافادة وفيض البركات والاستفادة من ارواحهم استفادة
اعتيادية ، وتوجه ارواحهم الى الله سبحانه وتعالى طالبين
فيض الرحمة على ذلك المتوسل ، فهو شيء جائز وواقع وخال
عن كل خلل ، بدون الفرق بين الاحياء والاموات .
فشبهة المانعين ان كانت من جهة ان الاموات أجساد
هامة جامدة ، ولا روح ولا ادراك ولا مجال للخطاب منهم ،
فتلك ساقطة من الاعتبار ، بأن أجساد الانبياء والرسل لا
تبلى ، وان الله حرم على الارض أن تأكل لحومهم ، وأن
أرواحهم باقية ثابتة ، ولها ادراك باذن الله تعالى ، وهو
تعالى يعلمها بصلوات المسلمين وبتوسلات المتوسلين ، وحسبك
في الموضوع خطاب النبي صلى الله عليه وسلم في كل صلاة عند
التشهد بقولك : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته(*)
، ولا ينافي ذلك قوله تعالى (انك لا تسمع الموتى) (٢٠)
لقوله تعالى (ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في
القبور) (٢١) ، فانه لولا خلق الله للاسماع لم يكن اسماع

(*) راجع فتح الباري (٢/٢٦٠) لمزيد من البحث .

(٢٠) سورة النمل ، الآية ٨٠ ، وسورة الروم ، الآية ٥٢ .

(٢١) سورة فاطر ، الآية ٢٢ .

لأي شخص من أي شخص حتى في الدنيا وفي حال اليقظة ، ولكن الله يسمعهم ، والا فكيف كان يتكلم صلى الله عليه وسلم مع قتلى بدر الواقفين في القلب ، وكيف يقول صلى الله عليه وسلم ان الموتى يسمعون قرع نعال المشيعين لهم ، وكيف كان مجال لتلقي الموتى بعد الدفن ؟ •

وان كانت شبهتهم من جهة أن تأثير لما سوى الله تعالى ، فهي مدفوعة بأن المتوسلين لا يريدون منهم التأثير والايجاد ، معاذ الله أن يتصور المسلم صحة شيء مخالف لقواعد الايمان والاسلام والتوحيد • وان كانت الشبهة وقوع بعض الفاظ غير سليمة من الخل ، فهي مدفوعة بتداركها بأدنى عنابة حول تربية المسلمين لترك الالفاظ غير السليمة ، واستعمال ما يناسب مقام العبودية •

وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته في الاحاديث الصحيحة ، ومع صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وسلف الامة وخلفها ، وجعل التوسل شركا وكفرا معارضة صريحة لقواعد الاسلام ، فان من قواعد عدم تكفير أي مسلم الا بعد ثبوت مكفر منه لا يقبل التأويل ، واضلال للامة المصنوعة من الخطأ فضلا عن الكفر بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع أمتي على ضلالة » (٢٢) ، الحديث المعروف المشهور الجلي الذي ادعى بعض المحدثين انه متواتر ومخاصمة مع قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) (٢٣) اذ كيف

(٢٢) الحديث يأتي تخريجه في محبة الصحابة

(٢٣) سورة آل عمران ، الآية ١١٠

تجتمع كلها أو أكثرها على صلاة ؟ وهي خير أمة أخرجت للناس .

فإذا وفقنا وتوجهنا الى الضريح الانور وخطبنا صلى الله عليه وسلم ، فخطابنا معه له أصل في الدين ، وهو الخطاب معه في تشهدنا لكل صلاة ، ومعنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم له روح عالية الدرجات موهوبة منه سبحانه بفضائل لا يعلمها الا هو ، وأنه تعالى يخبره ويعلمه بصلاة المصلين وخطاب الحاضرين والغائبين .

وإذا توسلنا به صلى الله عليه وسلم على معنى طلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم ، فطلب الدعاء مشروع ، وروحانيته المنورة لا فرق بين عالم علاقتها المادية الدنيوية وعلاقتها البرزخية ، بل والارواح في البرزخ أصفى منها في عالم الدنيا .

وإذا توسلنا بذاته الشريفة ، أو بجاهه العظيم ، أو بحقه الجسيم ، أي حق رعايته للعبودية الخالصة عند الله تعالى ببعض احسانه ولطفه ، أو فضل طاعته واعماله وجهاده في تبليغ الدين المبين ، فكل ذلك واقع في الروايات الصحيحة كما سمعت منا في أوجه التوسل به صلى الله عليه وسلم .

وإذا كان القصد الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم ، فلا شك انه الشفيع الأكرم المشفع ، وشفاعته ثابتة لا شك فيها ، وقبول شفاعته ثابت بفضل الله وهو من خالص كرمه ورحمته تعالى ، لا حق لأحد في منعه وحجره أو انكاره .

وما توهم الناس به من انه اشراك ، فهو توهم من تماشى عن حقيقة معنى الاشراك ، فانه عبارة عن ان يجعل العبد احدا سوى الله تعالى شريكا له في الألوهية والربوبية والخلق ، أي ان ذلك الشريك له نصيب من الصفات المذكورة ، وأين ذلك من التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم ، بصفة أنه عبد الله ونبيه ورسوله أكرمه بفضله ، وجعل له الشفاعة والوسيلة والمقام المحمود ؟

وقياس المسلمين المتوسلين على عباد الأصنام في ما حكاها الله تعالى عنهم من قولهم (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى)^(٢٤) ونحوه ناشيء عن اغماض عن الحق وانحراف عن الواقع ، وتسوية بين الامة الوثنية الجاهلة الضالة العمياء وبين الامة المسلمة المؤمنة بالله وحده لا شريك له ، الناشئة على الملة الاسلامية الحنيفة المهتدية البيضاء ، التي تمرنت على الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى رب العالمين وخالق كل شيء ومعبود المكلفين • وكيف يتصور بمن أسلم وقرأ القرآن وفهم تعاليمه أن يظن تلك الظنون الفاسدة التي ظنها عباد الأصنام الجاهليون ؟ وكيف يتصور ذلك من العلماء الاعلام الدارسين لمعنى قوله تعالى (قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انما ألهكم آله واحد)^(٢٥) ولأنذارات الرسول الكريم لعشيرته بعد نزول قوله تعالى (وانذر عشيرتك الأقربين)^(٢٦) ؟

(٢٤) سورة الزمر ، الآية ٣

(٢٥) سورة الكهف ، الآية ١١١

(٢٦) سورة النجم ، الآية ٢١٤

تسأل الله سبحانه وتعالى ان يهدي المسلمين بنور العلم السليم
الى الصراط المستقيم بمنه وفضله انه ارحم الراحمين .

وقلوبنا معلومة بأمل أن ينتبه المسلم الركي الذكي
المنصف للملاحظة الحقائق ، وتنوير الامة على ضوئها ، وإرشاد
العامه وتأييد الخواص ، فالدين نصيحة لله ولرسوله وبكتابه
ولأئمة المسلمين وعامتهم (٢٦) ، وليس من النصيحة اشارة
الشكوك والالوهام وتضليل المسلمين من لدن القرون الاولى
الى يومنا ، فانه قد مضت قرون والمسلمون والرشد في قرن
كما انه لا ينبغي ولا يجوز بل يحرم الاقتداء بالعروضية
المكفرين فان رأينا نحن المسلمين ان لا نكفر أحدا من أهل
القبلة ، الا بحجة قاطعة على كفره ، كما يجب الاجتناب كل
الاجتناب عن الانحراف ، ويجب علينا الاعتدال والوقوف في
وسط الطريق بلا انحراف وتضييع ، وإتباع كل ذي حق حقه ،
وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من
الرسول وصحابته واتباعه واتباع التابعين صلى الله عليه
وسلم ورضي الله عنهم وعنا ببركاتهم اجمعين .

(٢٧) هذا اشارة الى الحديث الشريف « الدين النصيحة » وهو
حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب الايمان (١/٧٤) . والترمذي في كتاب
البر والصلة . انظر السنن (٤/٣٢٤)

محبة الرسول

ومن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم الاقتداء به
والاقتداء به صلى الله عليه وسلم هو الجهد في الاتصاف
بمقيدته واعماله واخلاقه صلى الله عليه وسلم قال تعالى
(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^(١) وقال
تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو
الله واليوم الآخر)^(٢) وقال تعالى (وانك لعل خلق عظيم)^(٣)
وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت لا تم مكارم الاخلاق »^(٤)
فالؤمن انما يكون مؤمنا بالمعنى الكامل باقتدائه به في كافة
شؤونه ، سوى ما اختص به صلى الله عليه من خصائصه
الشخصية الكريمة . ومن هذا الاقتداء تنشأ محبة الكتاب
والسنة بالجهد في تعلمهما والعمل بهما ، وتعليمهما للناس ،
والدفاع عنهما ويجب اكرام حملتهما من القراء والحفاظ
والمحدثين ، وعلمائهما القائمين بخدتهما من الائمة المجتهدين
والعلماء العاملين ، وكل من له قدم راسخ ثابت في تأييدهم
لبقاء هذا الدين المبين .

ومنع اللعب بالمحرمات والضنط للاصوات عند قراءة
القرآن سواء من الراديو أو غيرها فان ذلك احتقار للقرآن
وتحقيره تمعدا وكفر والعياذ بالله تعالى .

(١) سورة آل عمران ، الآية ٣١

(٢) سورة الاحزاب ، الآية ٢١

(٣) سورة الفلم ، الآية ٤

(٤) روى الامام احمد والبيهقي من حديث ابي هريرة .

انظر تلخيص احاديث الاحياء للحافظ العراقي (٤٨/٣)

احترام آله وأزواجه

ومن محبته صلى الله عليه وسلم احترام آله من أزواجه
أمهات المؤمنين ، وذريته ، وخدمتهم المستقيمين على الآداب
الرفيع من ذريته صلى الله عليه وسلم . أما أزواجه
الطاهرات فلقوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
وأزواجه أمهاتهم)^(١) .

فلا شبهة في أن النبي صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين
من أنفسهم ، لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك وهو يدعوهم
إلى النجاة ، فإذا أمر صلى الله عليه وسلم بشيء ودعت النفس
إلى غيره ، كان الواجب اتباع أمره صلى الله عليه وسلم ، وإذا
نهى عن شيء ودعت النفس إلى فعله ، كان الواجب الانتهاص
عن ذلك والوقوف عند حد النهي ، فإنه صلى الله عليه وسلم
مبلغ من الله تعالى وداع إلى الهدى ، وخير الكتاب كتاب الله
وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وما خالف ذلك
وتناقاه فهو الهوى ، ويجب اجتنابه لنيل الأجر عند الله ، قال
(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي
المأوى)^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى
يكون هواه تبعا لما جئت به »^(٣) وهذا هو الإيمان الكامل .

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٦

(٢) سورة التازعات ، الآية ٤٠

(٣) رواه البخاري في شرح السنة ، والحسن بن سفيان في الأربعين ،
وابن عساکر في أربعينته ، وصححه النووي ، وتعبه الحافظ ابن رجب في
الأربعين ، ورواه التبريزي في المسكاة (١/٥٩)

ومعنى انه جعل الله تعالى أزواجه صلى الله عليه وسلم
 أمهات المؤمنين ، انه شرفهن الله تعالى ، وأوجب على المؤمنين
 تعظيمهن ، والمبرة لهن ، واجلالهن ، ورعاية حقوقهن ،
 والاعتقاد بأنهن متميزات ومختارات من الله سبحانه وتعالى
 لصحبة خير خلقه ومصطفاه ، كما قال : والطيبات للطيبين
 والطيبون للطيبات ^(٤) فلا يساوِيهن في تلك الدرجة أحد من
 النساء ، قال تعالى (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) ^(٥)
 وأمرهن بكل الادب مع الله ومع رسوله وخدمة الاسلام والدين
 وقال لهن : (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة
 ان الله كان لطيفاً خبيراً) ^(٦) وأمرهن الله سبحانه بالتزام
 الخير من كل جهة وقال (وقرن في بيوتكن ولا تتبرجن تبرج
 الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة ، وآتين الزكاة ، وأطعن الله
 ورسوله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
 ويطهركم تطهيرا) ^(٧) فقد نصت الآية الشريفة على ان الله تعالى
 أراد بهن الخير وزوال كل مكروه عنهن ، وهذه الالفاظ تعطى
 ان أهل البيت نساء وقد روى عن عطاء وعكرمة وابن عباس
 رضي الله تعالى عنهم أن أهل البيت زوجاته خاصة ، ولكن الذي
 يظهر من أول الآيات الى آخرها انها عامة في جميع أهل البيت
 من الأزواج وغيرهم ، وانما قال ويطهركم لان رسول الله صلى

(٤) سورة النور ، الآية ٢٦

(٥) سورة الاحزاب ، الآية ٣٢

(٦) سورة الاحزاب ، الآية ٣٤

(٧) سورة الاحزاب ، الآية ٣٣

الله عليه وسلم وعلياً وحسناً والحسين كان فيهم ، وإذا اجتمع الرجال والنساء غلب الرجال •

وبالجملة ان من اختارهن الله سبحانه وتعالى لصحبته ودوام العشرة معه صلى الله عليه من خيار المسلمين المؤمنات القانتات العابدات ، وان الايمان بأديهن وعلو مقامهن وعفتن ، وأصطفائهن لصحبة المصطفى صلى الله عليه وسلم من واجبات المؤمنين والمؤمنات •

ومن محبته صلى الله عليه وسلم محبة آلله صلى الله عليه وسلم وتوحيدهم

قد يستعمل الآل ويراد به جميع أمة الاجابة ^(١) ومنهم الصالح والطالح ، وهذا المعنى لا تسانده اللغة ولا العرف العام الا في بعض استعمالات مقرونة بقرائن تدل على ذلك المعنى ، وقد يستعمل ويراد به كل تقي ونقي أي كل صاحب تقوى من أمة الاجابة ونظيف من الكبائر ، وهذا المعنى اخص من الاول ، ولا تسانده أيضا اللغة ولا العرف العام الا بقرائن ، وقد يستعمل ويراد به مؤمنو بني هاشم والمطلب ابني عبد مناف ، وهذا المعنى يسانده الحديث الصحيح روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم قسم سهم ذوي القربى وهو خمس الخمس بينهم تاركاً منه غيرهم من بني عميهم بني نوفل وعبد شمس مع سؤالهم له . . وقال صلى الله عليه وسلم : ان هذه الصدقات إنما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا ل محمد ، ^(٢) وقد يستعمل بمعنى نسله ورهطه الاقربين . وقد يفسر هذا المعنى على وجه يكون اخص من المعنى السابق ، ويؤيده ما رواه زيد بن ارقم رضى الله عنه قال : قال رسول

(١) أمة الاجابة يعني جميع أولئك الذين استجابوا دعوة الاسلام وآمنوا به ، وتقابلها أمة الدعوة : أي أولئك الذين دعوا الى الاسلام سواء استجابوا أم لا .

(٢) الحديث أخرجه مسلم عن عبد الله بن حارث بن نوفل . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٤٢/٥) . وأخرجه النسائي في كتاب الزكاة سنن النسائي (١٠٦/٥)

الله صلى الله عليه وسلم ، انشدكم الله أهل بيتي ، (٣) ثلاث مرات ، قلنا لزيد من أهل بيته ؟ قال آل علي وآل جعفر وآل عقیل وآل العباس ، ومعلوم انهم من أولاد هاشم بن عبد مناف ، وليس فيهم من آل أخيه المطلب أحد .

وعلى كل فقد وردت في الصحاح أحاديث شريفة ترهب المسلمين في احترام آل الله صلى الله عليه وسلم ، وكل ذلك ينادي على ان المؤمن المخلص لدين الله لا شك انه يحب الله ورسوله ، ويحب من له علاقة بالرسول صلى الله عليه بصورة عامة ، ويحب علاقته من ذوي قرابته الاقربين بصورة خاصة ، ومن واجب المؤمن رعاية هذه السلسلة الذهبية المباركة التي أثمرت ثمارا طيبة في خدمة الكتاب والسنة ونشر الاسلام بين المسلمين ، ويحترمهم وينظر اليهم نظرة اجلال وتقدير ، مع العلم ان كل أفراد المسلمين على حد سواء في وجوب رعاية احكام الله وحدودها، وان اكرم العباد على الله أتقاهم فهذا معنى والنظر الى آل الرسول بنظر الاعتبار احتراماً للعلاقة النبوية معنسى آخر .

وكل من قال أو يقول ان آل الرسول صلى الله عليه وسلم ليسوا من أولاده صلى الله عليه وسلم ، لانه لم يخلف ولدا من الذكور ، وانما هم حواشييه أو اولاد بنته الطيبة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها ، فانما تكلم بما يتألم به قلب

(٣) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ بَلَفَظَ : اَلْاَكْرَمُ اللّٰهُ فِيْ اَهْلِ بَيْتِيْ وَتِلَاثًا - اَنْظُرِ الْمُسْنَدَ (٣٦٧/٤)
وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بَلَفَظَ : اَحْبَبُوا اَهْلَ بَيْتِيْ ، رَقْمُ ٣٧٨٩ - ٣٨٧٢ ، طَبْعَةُ حَمِصَ

المؤمن الصادق ، لان المقام ليس مقام الارث والانتساب على القاعدة المعروفة ، بل المقام مقام الارتباط التناسلي بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم ، ولو من جهة بنته الطاهرة الزهراء أو الارتباط بأبائه صلى الله عليه وسلم كما تحقق في اولاد عبدالمطلب ومن فوقه حسب ما حدده أهل العلم^(*) ، وهذه العلاقة علاقة لا تدانيها علاقة ، فعلى المؤمن الوفي بحقوق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤدي لواجب الشكر ازاء نعمة هدايته صلى الله عليه وسلم وارشاده لأمته ، الهداية التي كانت وسيلة لخروج الناس من الظلمات الى النور ، ومن الكفر الى الايمان ، ومن الجهل الى العلم ، ومن الفراغ القلبي الى التحلي بالفضائل العلمية والعملية ، ان ينظر الى من له علاقة به صلى الله عليه وسلم بحيث يحس في احداق نظره القلبي بنور متصل بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو أدب المسلمين جيلا بعد جيل وتسال الله التوفيق لادامته الى يوم الدين .

(*) وعلى هذا المعنى كثير من العلماء ، كما بنى عليه العباسيون أحقيتهم بالخلافة من العلويين .

ومن محبته صلى الله عليه وسلم محبة اصحابه ثم التابعين

ومحبتهم : أن يعرف المسلم حقهم ، ويقتدي بهم ، ويحسن
الثناء عليهم ، ويترضى عنهم ، ويدافع عن منزلتهم وكرامتهم ،
بالامساك عما شجر بينهم والاعراض عن اخبار المؤرخين وجهلة
الرواة القادحين لهم .

ذلك ان لكل أمة مسلمة ديناً ولهم مبدأ يرجعون اليه في
مهماتهم وعقائدهم وأحكامهم ، وان مرجع الامة المحمدية هو
الكتاب والسنة ، والسنة منها متواترة ومنها غيرها ، ومن بعد
المتواتر الاحاديث المشهورة وغيرها من الصحاح والحسان ،
والمسلم يجب ان يقف موقف الانقياد والاعتبار أمام نصوص
الكتاب والسنة المتواترة والاحاديث الصحيحة ، والا فلا يبقى
معنى للانتساب الى المبدأ واذا كان هنا مجال كلام في رواية
حديث من الاحاديث الشريفة الضعيفة ، فلا مجال لاي جدال
في مقابل القرآن والسنة المتواترة وما أطبق الاكثرية على
صحته أو حسنه ، واذا علمت ذلك فاعلم انه ورد في النصوص
الثناء على الموجودين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ،
منها قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر)^(١) ، ولا شك ان المخاطب بهذا القول الجليل
بالدرجة الاولى أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ورضى
الله عنهم ، وهم الحاضرون أمام الرسول المتورون بنور لقائه

المهتدون يهديه ، والمقتدون به في أعماله وأحواله وأخلاقه ، ومنها قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) (٢) ، وفي هذه الآية الكريمة حسن الثناء عليهم بجملة صفات ونعوت عظيمة ، كصحبتهم ومعيتهم له صلى الله عليه وسلم الظاهرة في الصحة والمعية المادية والمعنوية ، وكشدتهم وقوة قريحتهم وبطولتهم في لقاء الكفار ، وكرحتهم وعطفهم ومواساتهم ببعضهم لبعض ، المواساة التي بها يمتاز الصادق من غيره ، ثم الثناء عليهم بملازمتهم لأفضل الطاعات المعبر عن ذلك بأهم أركانها من الركوع والسجود لذات الباري جل شأنه ، وتعتهم بأن عبادتهم لم تكن إلا ابتغاء فضل الله ورضوانه ، وتميزهم بأخذهم وسام الشرف في وجوههم من سيماء القدسية المتلألأة عليها من أثر انقيادهم وسجودهم لرب العالمين .

وعقب الله سبحانه وتعالى ذلك بأنهم هم الموصوفون في الكتب السابقة المقدسة النازلة على موسى وعيسى ، والمحتوية على تشبيههم بزرع أخرج شطاء وفروعه وقواها واستوى على سوقه بحيث يعجب الزراع ، وذلك ليتايد بهم الدين وأهله وينغضب بهم الكفار ، ثم يأتي بانه تعالى وعد أولئك الاصحاب الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة مغفرة جسيمة وأجر عظيم ،

وفي حين وفي اليمامة وفي غير تلك الاقطار من الديار و (اذا
وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة) (٢٠) ، فقد صدق الله ووقعت
المعاملة والمبادلة ، المراد بهما وقوع التضحية بالنفس
والاموال ، وتحققت الدرجات من الله ذي الجلال .

وكل عاقل مثقف منصف مهتم بالكتاب الكريم النازل
بلسان عربي مبين ، اذا لاحظ هذه الآيات البينات ، والادلة
القاطعة ، والحجج الدامغة بذلك الاسلوب الواضح المعلوم ،
تبين ان اولئك الاصحاب الكرام الذين آمنوا واقتدوا بالرسول
الكريم واهتدوا بالكتاب العظيم وخلقوا الكريم هم الامة
المرحومة الخيرة المباركة بالدرجة الاولى ، وهم الذين رضى الله
عنهم ، وهم الذين باعوا انفسهم وامالهم واموالهم واحوالهم
بالجنة ، بجنة الكرامة ولقاء الله تعالى ،

ويعلم ان شهادة الله فوق الشهادات ، وان سعادتهم فوق
السعادة ، فباي قيل وقال وبأي رواية من اي طبقة من الرجال
يعارض قول الله سبحانه المتعال .

واذا نظرنا الى سنة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم
واحاديثه الشريفة ، وجدنا انه قد بين مدلول الكتاب بتلك
السنة ، واظهر منزى تفسير الآيات الكريمة ، لانه هو الذي
حول سلطة البيان وقال تعالى له : وانزلنا اليك الذكر لتبين
للناس ما نزل اليهم (٢١) ، فنطق بأحاديث شريفة في تشریف
اصحابه عموما وخصوصا ، وفي تشریف أمته المرحومة الغالدة

(٢٠) سورة الواقعة الآية ١ - ٢

(٢١) سورة النحل ، الآية ٤٤

المهتدية التي لا تجتمع على ضلالة ، ويمدها الله تعالى في رأس كل قرن بمن يجدد لها نور دينها واشعاعه وتأيدده .

فمن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير أمتي قرني ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم » (قال عمران فلا ادري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا) الحديث^(٦) وعن عبدالله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير الناس قرني ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته »^(٧) رواهما الأربعة ، وقوله صلى الله عليه وسلم « ثم يجيء قوم ... الحديث » معناه يتسابقون للشهادة قبل طلبها ويتسارعون لليمين قبل طلبها ، وهذا كناية عن عدم تورعهم .

وعن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يأتي على الناس زمان فيفزو فثام من الناس فيقولون فيكم من صاحب رسول الله فيقولون نعم فيفتح لهم به ثم يأتي على الناس زمان فيفزو فثام من الناس فيقال

(٦) أخرجه البخاري في الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا . انظر القسطلاني (٢٤٦/٩-٢٤٧) ، وسلم في فضائل الأصحاب . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٤١٨/٩)

(٧) أخرجه البخاري في الرقاق . انظر القسطلاني (٢٤٧/٩) ، وانظر التاج (٢٧/٣) . سلم في باب فضل الصحابة ، انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٤١٩/٩)

هل فيكم من صاحب اصحاب رسول الله فيقولون نعم فيفتح لهم به » (٨) رواء الشيخان .

وقال صلى الله عليه وسلم لعمرك وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » (٩) رواء الشيخان .

وعن جابر رضى الله تعالى عنه ان عبدا لحاطب جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا فقال : يا رسول الله ليندخلن حاطب النار فقال « كذبت لا يدخلها فانه شهد بدرا والحديبية » (١٠) .

وعن جابر ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تمس النار مسلما رأيي أو رأى من رأيي » (١١) وعن بريدة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما من احد من اصحابي يموت بارض الا بعث قائدا ولورا لهم يوم القيامة » رواهما الترمذي (١٢) .

وعن انس رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله لا يجمع امتي أو قال أمة محمد صلى الله

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب من استعان بالضعفاء . القسطلاني (٩٢/٥) ، وكرره في علامات النبوة ، فضائل الصحابة ، ومسلم في فضائل الاصحاب شرح النووي في هامش القسطلاني (٤١٧/٩)

(٩) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، غزوة فتح . انظر القسطلاني (٣٨٣/٦) ومسلم في الفضائل ، انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٣٩٠/٩)

(١٠) أخرجه الترمذي في السنن رقم ٣٩٥٦ طبعة القاهرة ، والتاج كتاب الفضائل (٢٧٢/٣)

(١١) رواء الترمذي في سننه ٣٩٥٧ طبعة القاهرة

(١٢) رواء الترمذي في سننه رقم ٣٩٤٩ طبعة القاهرة

عليه وسلم على ضلالة ويد الله مع الجماعة» (١٢) .

هذه كلها في المناقب العامة وهناك احاديث اخرى تشي
عليهم بصورة عامة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم» (١٤) وكما روي عن عبدالله
بن مسفل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد

(١٣) هذا الحديث أخرجه الترمذي بهذا اللفظ وقال هذا الحديث
غريب من هذا الوجه . انظر طبعة الطهارة . الحديث رقم ٢٢٥٦ . والترمذي
بشرح ابن العربي (١١/٩) . لكن الجزء الاول من هذا الحديث وهو « لا
يجمع الله امتي على ضلالة » قال الحافظ العراقي : رواه البيهقي في المسجل
من حديث ابن عباس بلفظ « لا تجتمع امتي على ضلالة » . وابن ماجه من
حديث انس بلفظ « ان امتي لا تجتمع على ضلالة » رقم ٣٩٥٠ . وروي من
حديث أبي ذر . وابي مالك الاشعري . وابن عمر . وابي نضرة . وقدامة وفي
كلها نظر وحسنه الترمذي . انظر تخريج احاديث منهاج البيضاوي للحافظ
العراقي مخطوط .

واما جملة « يد الله مع الجماعة » فقد رواه الترمذي
عن ابن عباس . وقال : حسن رقم الحديث ٢٢٥٥ . ورواه الطبراني في
الكبير بلفظ « يد الله على الجماعة » وعلى كل فللهديث طرق .

(١٤) قال الحافظ العراقي في تخريج احاديث منهاج البيضاوي :
رواه الدارقطني في الفضائل . وابن عبد البر في العلم من طريقه من حديث
جابر . وقال : هذا الاسناد لا تقوم به حجة . لان الحارث بن حصين مجهول .
ورواه عبد بن حميد في مسنده . وابن عدي في الكامل من رواية حمزة بن حمزة
عن نافع عن ابن عمر بلفظ « بايهم اخذتم » بدل « بايهم اقتديتم »
واسناده ضعيف من اجل حمزة . فقد اتهم بالكذب . ورواه البيهقي في المسجل
من حديث عمر . ومن حديث ابن عباس بنحوه من وجه آخر مرسل . وقال :
مثله مشهور واسانيده ضعيفة ولم يثبت في اسناد . ورواه البزار من رواية
عبد الرحمن بن زيد العمي عن أبيه عن ابن السائب عن ابن عمر . وقال :
منكر لا يصح . وقال ابن حزم مكتوب موقوف باطل . وقال البيهقي : وقد
روى بعض معناه . انظر تخريج احاديث منهاج . مخطوط .

أذاني ومن أذاني فقد أذى الله ومن أذى الله فيوشك أن يأخذه ، (١٥) .

بله الاحاديث الواردة في مناقب العشرة المبشرة ، وفي مناقب فرد فرد من الخلفاء الراشدين بخصوصهم ، والسبطين ، والممين ، وبعض أفراد آخرين ، فاصحاب كهؤلاء يجب ان يكونوا مطيعين منقادين لاوامر الله ورسوله ، ومهتدين بهدى الكتاب ، ومتخلقين بأخلاق الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، ومن هدى الكتاب ان يكون لهم مشاورة في الامور الهامة ، كنصب الخليفة ، وحرب أهل الردة ، وجمع القرآن وغيرها ، وقد قال تعالى (وامرهم شورى بينهم) (١٦) فاذا شاوروا وتقرروا اي الجميع على شيء ، أو وافق عليه الاكثرية ، وعملوا بذلك الشيء ، فقد أطاعوا الله ورسوله في ذلك الامر ، ويكون ذلك الامر هو الحقيق بالقبول الواجب اتباعه الى يوم الدين .

ونتيجة تلك المقدمات ان ما درج عليه الخلفاء الراشدون وجمهور الصحابة الكرام ، هو الدين المبين الواجب اتباعه ، فلا مجال للوم أحد عليهم أبدا ، ولا معيد الا الالتزام لما قرروه ، بل ويجب الترضي عنهم فرضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

(١٥) رواه الترمذي في سننه رقم ٣٦٥٤ طبعة القاهرة

(١٦) سورة الشورى ، الآية ٣٨

ومن محبته صلى الله عليه وسلم محبة علماء دينه

الداومين على نشره والقائمين بنصره بالمعنى الشامل
للقرآن والحفاظ والمحدثين والائمة المجتهدين وباقي العلماء
العاملين رضى الله تعالى عنهم أجمعين ،

سواء كان ذلك العلم من صميم الدين كعلم قراءات القرآن
الكريم وتجويدها ، وعلم السنة النبوية رواية ودراية ، وفقه
الاحكام ، أو ما يتوقف عليه فهمه كعلم اللغة ، والنحو ،
والصرف ، ووضع المفردات والمركبات ، والبلاغة ، وأصول
الدين ، وأصول الفقه ، أو ما يتوقف عليه وضوح الحق في
التعاريف والادلة كعلم المنطق ، وآداب البحث والمناظرة
وغيرها مما هو مدون ومدرس في المدارس الدينية •

ومعنى محبتهم النظر اليهم بالاحترام والاجلال ،
و تأييدهم في حياتهم لانجاز مهمتهم ، والدعاء لهم بعد وفاتهم ،
ذلك لان تلك العلوم مما يتوقف عليها فهم الدين الواجب ،
وما يتوقف عليه الواجب واجب ، وحسبك في الموضوع الآيات
البيّنات ، والاحاديث الصحاح الواردة في تشریف العلم وأهله ،
وذلك كله معلوم لا حاجة لنا الى الاطالة به ، وانما المهم هنا
الفات نظر المسلمين الى الاجتهاد والمجتهدين ، واتباعهم في
احكام الدين •

واليكم نبذة في الموضوع ، وهي أمور : تعريف الاجتهاد
والمجتهد ، وما يتوقف عليه الاجتهاد ، ووجوب الاقتداء
بالمجتهد ممن لم يبلغ درجة الاجتهاد •

فنقول : الاجتهاد لغة : بذل الجهد والسعي الحثيث في الأمر ، وعرفا : استفراغ ما في الوسع لفهم الاحكام الشرعية واستنباطها من الادلة كالكتاب والسنة والاجماع .

ومما يجب علمه ان الاجتهاد في احكام الدين واجب على الكفاية ، اذا كان هناك جمع ممن يتأتى منهم ذلك ، وواجب عيني اذا تعين شخص له .

والدليل عليه أمور : الاول ، ان الدين احكام كثيرة لا تحد ولا تستقي ، فلو لا الاجتهاد لتمطلت الاحكام وذلك ممتنع شرعا .

فان قال قائل : ان الدين احكام محدودة منصوصة بالكتاب والسنة فلا حاجة الى الاجتهاد والمجتهد . قلنا : ان مدة خالدة موزدة ، جاء بها خاتم الانبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين لكافة الشعوب والقبائل ، وامة كهذه الأمة الغالدة تتطور كسائر الامم بحسب الضروريات والحاجيات والتحسينيات ، وتصادف وقائع ليست احكامها منصوصة في الكتاب ، ولا ظاهرة بسهولة منه ، ولا من السنة ، ووجود هذه الوقائع ، ووجوب معالجتها معلوم عند كل عاقل له خبرة بالامور ، فاصبح الاجتهاد لاستنباط الاحكام غير المنصوصة فرض كفاية ، اذا كان هناك جماعة يمكنهم القيام به ، وفرض عين اذا انحصر العلم في واحد .

الثاني ، ان أدلة الاحكام : اما من الكتاب ، أو من السنة النبوية قولاً أو فعلاً أو تقريراً ، والدليل اللفظي اذا كان

قطعي الثبوت كالكتاب والسنة المتواترة ، فيحتاج الى تحقيق ان اللفظ خاص يراد به خاص ، أو عام يراد به عام ، أو خاص يراد به عام ، أو عام يراد به الخاص ، والى تحقيق أنه كما له منطوق فهل له مفهوم أو لا ، وهل يحتاج بذلك المفهوم أو لا ؟ وكل ذلك يحتاج الى الاجتهاد .

وقد يكون في الفاظ الكتاب والسنة اشتراك لفظي ، وذلك اما في المفرد كالقرم المشترك بين الحيض والطمهر ، وصيغة الامر المشتركة بين الوجوب والندب ، والنهي المشترك بين التحريم والكراهة ، واما في المركب كاستثناء الواقع بعد جمل محتمل لرجوعه الى جميعها أو الى بعضها .

وقد يحتمل اللفظ لان يكون حقيقة أو مجاز ، والمجاز له أنواع كثيرة ، وقد يكون اللفظ مطلقا ، وقد يكون مقيدا ، كالرقبة في الكفارة ، وقد يقع تعارض بين دليلين في الالفاظ التي يتلقى منها الاحكام ، وفهم الحكم المشروع القسوي يحتاج الى مزيد علم وبصيرة لا يوجدان الا في المجتهد ، هذا كله في المتواتر واما غيره ففيه ما سبق ومشاكل اخرى من حيث السند وغيره . واذا كان الدليل فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد ينازع الخصم بأن ذلك الفعل من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، أو انه يحتمل الوجوب أو الندب ، وقد يعارضه فعل آخر صدر منه صلى الله عليه وسلم ، أو قياس جلي ، والخروج من هذه المشاكل لا يمكن من غير المجتهد .

واذا كان الدليل تقريراً من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك أيضاً يحتمل وجوهاً وملاحظات لا يتعين المقصود منها الا برجال الاجتهاد .

ومن انصف علم ان كل عربي لا يفهم كل الآيات بكافة احتمالاتها ومحتوياتها ولو كان مثقفاً ، بل يحتاج الى درس وعلم ومرونة . فمن هنا تتبين حاجة المسلمين الى الاجتهاد ورجال الاجتهاد ، ولذلك استمر الاجتهاد من الصدر الاول الى قرون متتالية .

الرابع ، ما دل على وجوبه من الكتاب فمنه قوله تعالى (واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذا اعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)^(١) فان في الآية الشريفة اسناد العلم بخفايا الامور ومعالجة المشاكل الى اهل الاستنباط ، وكشف الغفايا والدقائق من اولى الامر العلماء والقادة من المسلمين .

ويدخل في ذلك الاجتهاد واستنباط الاحكام الشرعية الخفية من طيات الكتاب والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام .

ومنه قوله تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة - فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)^(٢) ومعلوم عند اهل العلم ان

(١) سورة النساء ، الآية ٨٣

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢١

التفقه مصدر باب التفضل ، ويدل على الاعتماد والاكتساب بقوة وصرف الهمة الى كشف المهمة ، ويشمل ذلك فهم كل حكم من أحكام الله تعالى مأخوذ من كتاب الله أو سنة رسوله ، بطريق الوضوح أو الغفام ، منطوقا أو مفهوما ، دلالة أو إشارة أو اقتضاء ، وفيه الاجتهاد واستفراغ الوسع لفهم الاحكام وهو الاجتهاد ، كما ان في الآية دليلا على ان المتعلم والاجتهاد من فروض الكفاية ، وانه يجب ان يكون غرض المتعلم الواصل الى مقام العلم والافادة نشر الدين ونصيره لا الاستملاء على بني عصره وأمره .

ومنه قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) ^(٣) وفي الآية دليل على وجوب سؤال الناس أهل العلم فيما لا يعلمونه ، سواء متن النصوص ، أو معناها ، أو ما استنبط منها لأن المشتقات في الآية مطلقة ، وهذه الآية من أوجز الآيات ، وفيها دليل على ان الله لم يبعث ولم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة فان صدرها (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) . . وان سؤال أهل العلم واجب للاسترشاد ، وان الحكم كلما كان أخفى كان أجر السؤال أعظم وأجر الجواب أوفى ، وان الاجتهاد هو غاية ما يصل اليه العباد .

ومنه قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم

وساوت مصيرا) (٤) والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع ،
لانه سبحانه وتعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع
غير سبيل المؤمنين ، وذلك اما لحرمة كل واحد منهما ، او حرمة
احدهما ، او حرمة الجمع بينهما ، والثاني باطل اذ يقبح ان
يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد ، وكذا
الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم ، واذا
كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا ، لان
ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم ،
ومعلوم ان سبيل المؤمنين هو الاجتهاد واستنباط الاحكام في
ما لم يكن عليه نص من لدن عصر الرسول صلى الله عليه
وسلم الى يومنا هذا ، عند من يقول باستمرار الاجتهاد ، او
الى انقطاعه عند من يقول بخلافه . فان قيل : ان الآية
الكريمة لا تدل على حجية الاجماع لانا لا نسلم ان الجمع
المعرف باللام للاستفراق والعموم ، لجواز كونه للجنس ، ولو
سلمنا انه للعموم ، فلا نسلم ان اضافة السبيل اليه للعموم ،
لجواز كون الاضافة للعهد ، بان يراد منه سبيل معهود وهو
الايمان . قلنا : ان الظاهر المتبادر الى الازهان من استعمال
الجمع المعرف ، ومن اضافة ما اضيف اليه العموم ، والتبادر
علامة الحقيقة ، فيكون خلافه مجازا محتاجا الى القرينة المانعة
عنه ، والاصل عدمها ، على ان حمل الجمع المعرف او اضافة
السبيل اليه على الجنس ، يقتضي ان يكون مصير من خالف
سبيل اي فرد من المؤمنين الى جهنم ، وذلك باطل قطعا ، فظهر

حملهما على العموم والاستغراق ، فيكون المعنى ، ومن سلك غير السبيل الذي سلكه كافة المؤمنين (نوله ما تولى ونصله جهنم) وذلك واضح لا شبهة فيه .

وخلاصة المعنى ، ان سلوك سبيل عموم المؤمنين مرغوب ، والانحراف عن سبيلهم كافة متوعد عليه ، ومعلوم انه لم يزل المؤمنون يجتهدون في استنباط الاحكام غير المنصوصة من لدن العصر الاول الى ما شاء الله .

ولما كان سلوك سبيلهم خيرا ، والانحراف عنه شرا ، وجب أن يكون المراد بالمؤمنين العلماء لا الجهلاء ، والعلماء العدول لا الفساق ، والمتكاملين في العلم لا الناقصين ، فقرر أهل البصرة للاجتهاد ان يكون صاحبه : بالغا عاقلا ، فقيه النفس أي شديد الفهم ، حائزا للدرجة الوسطى لغة وعربية واصولا وبلاغة ، عالما بادلة الاحكام من الكتاب والسنة ، خبيرا بمواقع الاجماع ، والناسخ والمنسوخ ، واسباب النزول ، وشروط الخبر المتواتر والاحاد ، والحديث الصحيح والعسن والضعيف . ويكفي في زماننا الرجوع الى ائمة ذلك بملاحظة الكتب المصنفة . ويمتبر للثقة باحكامه ان يكون عادلا غير مبتدع داع الى فئة معينة ، لان الدعاة متحيزون غالبا فلا يؤمن الدس منهم ، وهذا هو المجتهد المطلق . واما المجتهد المقيد فهو المقلد لامام من الائمة قد عرف أصول مذهبه واحاط بها ، فاذا سئل عن حادثة نظر في نصوص امامه كتنظر المجتهد في أصول الشرع ، فان لم يجد لامامه في المسألة نصا قاس على أصوله ، وخرج عليها ، كبعض اصحاب الائمة

الاربعة ، ولا يتعدى نصوص امامه الى نصوص غيره .

وهذا المجتهد المقيد قسمان : مجتهد مذهب ، وهو المتبحر المذكور المتمكن من استنباط الاحكام من الكتاب والسنة لكن يتقيد في استنباطه منهما ، بالتزام طريق امامه في الاستدلال ومراعاة قواعده وشروطه ، وبهذا يفارق المجتهد المطلق ، فانه لا يتقيد الا بما رآه هو نفسه . والثاني مجتهد الفتيا (بضم الفاء) او الفتوى (بفتحها) وهو المتبحر في مذهب امامه المتمكن من ترجيح قول له على آخر اطلقهما امامه ، او المتمكن من ترجيح قول اصحاب ذلك الامام على قول آخر اطلقوهما . والاول اعلى رتبة من الثاني وهو ظاهر .

وهنا مسائل : الاولى - اختلف الاصوليون في جواز تجزؤ الاجتهاد ، والصحيح الذي عليه الاكثر اجواز تجزؤ الاجتهاد بأنواعه الثلاثة في فن من الفنون أو في قضية من القضايا ، فيبلغ رتبة الاجتهاد في الانكحة دون البيوع وبالعكس ، فمن عرف الفرائض لم يضره جهله بعلم النحو مثلاً .

وكذا يجوز ان يبلغ رتبة الاجتهاد في قضية دون غيرها ، ووقع لابن القاسم وغيره في مسائل معدودة خالفوا فيها امام مالكا رحمه الله تعالى ، وقيل لا يجوز تجزؤ الاجتهاد لارتباط العلوم والمسائل بعضها ببعض ، لاحتمال ان يكون في ما لم يبلغ رتبة الاجتهاد فيه معارض لما بلغها فيه ، بخلاف من احاط بالكل .

المسألة الثانية - اختلف الاصوليون في جواز اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في ما لا نص فيه وعدم جوازه ، وعلى جوازه اختلف ايضا هل وقع منه أم لا .

اما الجواز ففيه مذاهب : الاول ، الجواز وبه قال الجمهور وصححه ابن الحاجب والسبكي والقرافي . والثاني ، المنع وبه قال بعض الشافعية . الثالث ، له ذلك في الاراء والحروب . والرابع ، الوقف .

واما الوقوع ففيه مذاهب : احدها ، وهو مختار الامدي وابن الحاجب وابن السبكي انه وقع منه الاجتهاد .

المسألة الثالثة - هي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فالصواب انه لا يخطيء تنزيها لمنصب النبوة عن الخطأ في الاجتهاد على ما هو الحق والمختار ومذهب المحققين من الاصوليين .

المسألة الرابعة - في جواز الاجتهاد من غيره في عصره صلى الله عليه وسلم ، فذهب الاكثرون الى جوازه ، فمنهم من جوزه مطلقا ، ومنهم من جوزه للفائض مطلقا ، ومنهم من جوزه مطلقا اذا لم يوجد منه منع ، ومنهم من جوزه للفائض الى مسافة يصعب الرجوع منها الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي وقوعه مذاهب : اوله ، انه واقع في حضوره وغيبته وهو الصحيح ، والاحايث الواردة في جوازه ووقوعه كثيرة جدا يفيد مجموعها التواتر المعنوي المفيد للقطع ، فمن الاحاديث الواردة في وقوعه بحضرته صلى الله عليه وسلم

ما رواه البخاري عن أبي قتادة الأنصاري أنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين ، فاستدرت له حتى أتته من ورائه ، فضربته على حبل عاتقه ضربة قطعت الدرع ، قال : واقبل عليّ فضعني ضمة وجدت منها ريح الموت فأدركه الموت ، فأرسلني فلحقته عمر بن الخطاب فقلت له : ما بال الناس ؟ قال : أمر الله عز وجل ، ثم إن الناس قد رجعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلًا عليه بيعة فله سلبه ، قال أبو قتادة : فقلت فقلت من يشهد لي ثم جلست ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ، فقلت فقلت من يشهد لي إلى المرة الثالثة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مالك يا أبا قتادة فأخبرته فقال رجل من القوم صدق يا رسول الله وسلب ذلك القتل عندي فأرضه منسي فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه (لا ها الله ذا لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله فيعطيك سلبه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق فاعطه قال أبو قتادة فاعطانيه (٥) الحديث . . ومعنى تصديقه لأبي بكر تصويبه للحكم الصادر منه بعضرتة صلى الله عليه وسلم ومعنى (لا ها الله ذا) الهام مكان الواو ومعناه لا والله لا يكون ذا وفي رواية لا ها الله إذا لا يعمد .

ومنها ما أخرجه البخاري أيضا من قوله صلى الله عليه

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي وفيه بدل « صدق فاعطه » فقام رسول الله فاداه الي . انظر القسطلاني (١٠٦/٦-١٠٧/١)

وسلم ، لا يصلين أحد العصر الا في بني قريظة ،^(٦) فصلى بعضهم في الطريق حين دخل عليه الوقت وبعضهم في بني قريظة ، فنظر بعضهم الى أن مراده عليه الصلاة والسلام السرعة ، ولا حاجة في تأخير الوقت ، وبعضهم راعى اللفظ ، ولم يعنف واحدا منهم . ومنها ما أخرجه مسلم وأحمد عن أبي هريرة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاني تعليه وقال : اذهب بتعلي هاتين فمن لقيته من وراء الحائط يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة ، فكان أول من لقيت عمر فقال : ما هاتان التعلان يا أبا هريرة ، فقلت : هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني بهما من لقيته يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة ، فضرب بيده بين ثديي فخررت لأستي ، فقال : ارجع يا أبا هريرة ، فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجهشت بالبكاء ، وركبني عمر ، واذا هو على أثري ، فقلت : لقيت عمر وأخبرته بالذي بعثني به ، فضرب بين ثديي ضربة خردت لأستي ، وقال : ارجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمر ما حملك على ما صنعت ، فقال : يا رسول الله أبعثت أبا هريرة بتعليك من لقي يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة ؟ قال : نعم ، قال : فلا تفعل فاني أخاف ان يتكل الناس عليها فخلهم يعملون ، فقال صلى الله عليه

(٦) أخرجه البخاري في كتاب المغازي عن ابن عمر . انظر

وسلم ، فخلهم ،^(٧) فإقراره صلى الله عليه وسلم لعمر دليل على تصويب رايه واجتهاده ، اذ لا يقر على باطل .

ومنها ما أخرجه ابو داود في باب الرجل يتطوع في مكانه الذي صلى فيه المكتوبة عن ابي رمثة قال : صليت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان معه رجل قد شهد التكبيرة الاولى من الصلاة ، فصل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقام الرجل الذي ادرك التكبيرة الاولى يثقع ، فذهب عمر اليه : فأخذ بمنكبيه فهزه ثم قال : اجلس فانه لم يهلك أهل الكتاب الا انه لم يكن بين صلواتهم فصل فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يصره وقال : اصأب الله بك يا ابن الخطاب ،^(٨) .

ومنها ما رواه البخاري عن عائشة رضى الله تعالى عنها دخل عليّ قائف والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد ، واسامة بن زيد وأبوه زيد مضطجعا ، فقال : ان هذه الاقدام بعضها من بعض ، فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأعجبه ، فقد سر النبي صلى الله عليه وسلم حتى برقت أسارير جبهته من صحة هذا القياس^(٩) وموافقته للشرع ، وكان زيد أبيض

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب الدليل على ان من مات على التوحيد دخل الجنة . انظر شرح النووي في هامش القسطلانسي (٣٠١/١ - ٣٠٦)

(٨) رواه ابو داود في سننه كتاب الصلاة (٢٤١/١)

(٩) أخرجه البخاري في كتاب الغرائض . انظر القسطلانسي (٤٤٦ / ٩ - ٤٤٧)

وابنه اسامة أسود ، فالحق هذا القائل الفرع بنظيره وأصله ،
والنبي وصف السواد والبياض الذي لا تأثير له في الحكم ،
ومن ذلك موافقات عمر رضى الله عنه الكثيرة .

فمنها ما رواه الشيخان عن انس وابن عمر ، ان عمر
قال وافقني ربي في ثلاث : قلت : يا رسول الله لو اتخذنا
من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى) (١٠) .

وقلت : يا رسول الله يدخل على نساءك البر والفاجر ،
فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب .

واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في النسيرة ،
فقلت : عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت
كذلك (١١) ، الى آخر موافقات عمر الكثيرة التي خصها بعض
العلماء بالتأليف وبعضهم انهاها الى خمسة عشر .

وأخرج احمد وابو حاتم والترمذي وصححه عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله جعل
الحق على لسان عمر وقلبه ، (١٢) وفي رواية : ان الله جعل
الحق على قلب عمر ولسان عمر ، فهذا دليل على انه مجتهد

(١٠) سورة البقرة ، الآية ١٢٥

(١١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب ما جاء في القبلة . انظر
القسطلاني (٤١٧/١) وكرره في (١٣/٧-١٤)

(١٢) انظر الترمذي رقم ٣٦٨٣ طبعة حمص
وعند ابن ماجه بلفظ : ان الله وضع الحق على لسان عمر ، ورسوم ١٠٨
(٤٠/١) . وانظر التاج في فضائل عمر (٢٧٩/٢)

مصيب في اجتهاده ، اذ لا معنى لجعل الحق على لسان عمر
وقلبه ، الا بالاجتهاد اذ لا سبيل للوحي ، ولم يبق الا الاجتهاد .

واخرج الشيخان عن ابي هريرة قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « لقد كان فيما قبلكم من الامة محدثون
فان يكن في امتي أحد فانه عمر » (١٣) قال التوربشتي : المحدث
في كلامهم هو الرجل الصادق الظن ، وهو في الحقيقة من القى
في روعه شيء من قبل الملأ الاعلى فيكون كالذي حدث ، فدل
الحديث على ان عمر له اجتهاد ، وانه مصيب فيه .

ومما وقع فيه اجتهاد الصحابة في زمنه في غيبتهم عنه ،
وهو حجة لقول القائل بجوازه ووقوعه في غيبتهم ما روى
البخاري بعضه معلقا ، ورواه بتمامه موصولا أبو داود
والحاكم عن عمرو بن العاص قال : احتلمت في ليلة باردة في
غزوة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسل فأهلك ، فتيمنت ثم
صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم فقال « يا عمرو صليت بأصحابك وانت جنب » فأخبرته
بالحديث معني من الاغتسال ، وقلت اني سمعت الله تعالى
يقول (ولا تقاتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيمًا) فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا (١٤) . وفي
رواية لم يمتعه على اجتهاده فكان ذلك تقريراً منه صلى الله عليه
وسلم له على اجتهاده .

(١٣) أخرجه البخاري في الفضائل ، انظر التسطواني (١٥/٥)

(١٤) أخرجه البخاري في كتاب التيمم . انظر التسطواني (٣٧٨/١)

ومسند الإمام أحمد (٤٨١/٣) ، وسنن أبي داود في كتاب الطهارة (٨١/١)

ومن ذلك أيضا ما رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه
عن علي بن أبي طالب قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اليمن قاضيا ، فقلت : يا رسول الله ترسلني ، وأنا
حديث السن ، ولا علم لي بالقضاء . فقال : ان الله سيهدي
قلبك ويثبت لسانك ، اذا تقاضى اليك رجلان ، فلا تقض
للاول حتى تسمع كلام الآخر ، فإنه أحسرى ان يتبين لك
القضاء . قال فما شككت في قضاء بعد (١٥) . قال في المرقاة
ولا شك انه رضى الله تعالى عنه حين بعثه قاضيا على اليمن ،
كان عالما بالكتاب والسنة كعماذ رضى الله عنه ، وقوله : وأنا
حديث السن ، اعتذار من استعمال الفكر واجتهاد الرأي من
قلة تجاربه ، ولذلك ، أجابه بقوله سيهدي قلبك ، أي يرشدك
الى طريق استنباط القياس بالرأي الذي محله قلبك ، فيشرح
صدرك ويثبت لسانك فلا تقض الا بالحق .

ومن ذلك ما رواه احمد بن حنبل في المناقب عن زيد بن
ارقم قال : اتى علي بثلاثة نفر وقعوا على جارية في طهر
واحد ، فولدت ولدا فادعوه ، فقال علي لاحدهم : (تطيب به
نفسا لهذا) قال لا . قال اراكم شركاء متشاكسين ، اني مقرع
بينكم فمن اجابته القرعة ، أغرمته ثلثي القيمة والزمته
الولد ، فتذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما
أجد فيها الا ما قال علي .

(١٥) رواه الترمذي رقم ١٣٣١ طبعة حصى . ورواه ابن ماجه في

سننه رقم ٢٢١٠ (ج٢/٧٧٤) . وأبو داود في سننه (٢٧٠/٢)

وفيه في المناقب أيضا عن جميل بن عبد الله بن يزيد المدني قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم قضاء قضي به علي فاعجبه وقال : الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت .

وفيه في المناقب أيضا عن علي ابن ابي طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى اليمن فوجد أربعة وقعوا في حفرة حفرت ليصطاد فيها الاسد سقط أولا رجل ، فتملق بأخر ، وتملق الآخر بأخر حتى تساقط أربعة ، فجرهم الاسد ، وماتوا من جراحاته ، فتنازع أولياءهم حتى كادوا يقتتلون ، فقال علي : أنا اقضي بينكم فان رضىتم فهو القضاء ، والا حجت بعضكم عن بعض ، حتى تأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقض بينكم . اجتمعوا من القبائل الذين حفروا البئر ربع الدية ، وثلاثها ، ونصفها ، ودية كاملة : فللأول ربع الدية لانه أهلك من فوقه ، وللذي يليه ثلثها ، لانه أهلك من فوقه ، وللثالث النصف ، لانه أهلك من فوقه ، وللرابع الدية كاملة . فأبوا ان يرضوا ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقوه عند مقام ابراهيم ، فقصوا عليه القصة . فقال انا اقض بينكم واحتبى ببرده فقال رجل من القوم : ان عليا قضى بيننا فلما قصوا عليه القصة أجازاه صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك ما رواه ابو داود والترمذي والدارمي عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبعثه الى اليمن قال له : كيف تقضى ؟ قال اقضى بكتاب الله ،

قال : فان لم تجد ، قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قال : فان لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله ، قال
أجتهد برأيي ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضاه
الله ، (١٦) .

وتكلم الجوزقاني في هذا الحديث وقال انه باطل . رواه
جماعة من شعبة وسألت من لقيته ، من أهل العلم بالنقل عنه
فلم أجد له طريقا غير هذا . والحرث بن عمرو هذا مجهول ،
وأصحاب معاذ من أهل حمص لا يعرفون ، لأن الحديث رواه
شعبة عن أبي عون عن الحرث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن
شعبة عن أناس من أهل حمص ، أصحاب معاذ بن جبل أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد . . . الحديث . ومثل
هذا الاسناد لا يعتمد عليه في أصل من أصول الشريعة .

وقد تكلم عليه ابن القيم في أعلام الموقعين عن رب العالمين ،
بما فيه كفاية فقال : هذا الحديث وإن كان عن غير مُسَمَّين ،
فهم أصحاب معاذ ، فلا يضره ذلك لأنه يدل على شهرة الحديث :
وإن الذي حدث به الحرث بن عمرو عن جماعة من أصحاب
معاذ لا عن واحد منهم ، وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون
واحد منهم لو سمي ، كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين
والفضل والصدق بالمعل الذي لا يخفى ؟ ولا يعرف في أصحابه
متهم ولا كذاب ولا مجروح ، بل أصحابه من أفاضل المسلمين

وغيرهم ، لا يشك أحد من أهل العلم بالنقل في ذلك ، كيف
وشعبة حامل لواء هذا الحديث ؟ وقد قال بعض أئمة الحديث
إذا رأيت شعبة في اسناد حديث فاشدد يدك عليه آه .
قال ابو بكر الخطيب : وقد قيل ان عبادة بن السني رواه عن
عبد الرحمن بن غنم عن معاذ وهذا اسناد متصل ورجالهم
معروفون بالثقة وله شواهد موقوفة عن عمر بن الخطاب وابن
مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وقد اخرجها البيهقي في
سننه عقب تخريجه لهذا الحديث تقوية له كذا في مرقاة المسعود ،
على ان أهل العلم قد نقلوه واحتجوا به ، فوقفنا بذلك على
صحته عندهم ، وفي تدريب الراوي للسيوطي يحكم للحديث
بالصحة اذا تلقاه الناس بالقبول ، وان لم يكن له اسناد
صحيح ، وقال ابو الحسن الحضار في تدريب المداير على
مرحط مالك : قد يعلم الفقيه صحة الحديث اذا لم يكن في سنده
كذاب بموافقة آية من كتاب الله أو بعض اصول الشريعة
فيحصله ذلك على قبوله والعمل به .

وقال ابو اسحاق الاسفراني : تعرف صحة الحديث اذا
اشتهر عند أئمة الحديث من غير تكبر منهم ونحوه ، لابن فورك ،
وزاد الى ان قال وايضا حديث معاذ هذا أخرجه أبو داود في
سننه كما مر ولم يتكلم فيه بضعف ، وقد قال انه ذكر في
كتابه (الصحيح وما يشبهه ويقاربه) وما كان من حديثه
فيه وهن شديد يبينه ، واذا لم يبينه فهو صالح للاحتجاج به

وبعضه أصبح من بعض ، وما سكت أبو داود عليه ، فهو حسن
عند ابن الصلاح وقال : ان ذلك لا يلزم بل قد يكون صحيحا
عنده هو ، وان لم يبلغ الصحة عند غيره ، فالحكم له بالحسن
لا بالصحة تحكم أه * وله من الشواهد الموصلة له الى رتبة
الصحة شيء لا ينتهي ، فمنها ما مر من اجتهادات الصحابة
بحضرتة صلى الله عليه وسلم وامضائه لذلك ، ومنها غيرها مما
سنذكره ان شاء الله تعالى *

وجوب الاجتهاد على من كانت له اهليته

واذ قد علمت ما تلونا عليك ، فاعلم انه قال القراني في التنقيح ، مذهب مالك وجمهور العلماء رضى الله عنهم وجوب الاجتهاد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحكمه الوجوب الكفائي ، وقد يتعين ، وذلك لقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم)^(١) أي غاية جهدكم ، ومن التقوى العمل على البصيرة فيه ومعرفة دليله ، وذلك متعين في من جاد حفظه ، وحسن ادراكه ، وطابت سجيته وسريته ، ومن لا ، فلا . وخلاصته ان من حاز على الشروط السابقة ، وجب عليه الاجتهاد وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بحصول الاجر للمجتهد أصاب أو أخطأ .

فقد روي الشيخان وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عبدالله بن عمرو بن العاص وابي هريرة قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله اجران ، واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله اجر واحد ،^(٢) قال الخطابي : انما يؤجر المخطئ على اجتهاده

(١) سورة التغابن ، الآية ١٦

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام . انظر القسطلاني (٣٤٣/١٠) ومسلم في كتاب الاقضية عن عمرو بن العاص . شرح النووي في هامش القسطلاني (٢٦٩/٧) ، والترمذي السنن رقم ١٢٢٦ طبعة حصي والنسائي عن ابي هريرة في كتاب آداب القضاء (٢٢٢-٢٢٤/٨) وابن ماجه في كتاب الاحكام رقم ٢٢٦٤ . وابو داود السنن (٢٦٨/٢) .

في طلب الحق ، لان اجتهاده عبادة ولا يؤجر على الخطأ ، بل يوضع عنه الاثم فقط . وهذا في من كان جامعاً لآلة الاجتهاد عارفاً بالاصول عالماً بوجوه القياس . فاما من لم يكن محلاً للاجتهاد فهو متكلف ، ولا يعذر بالخطأ بل يخاف عليه الوزر .

ويدل عليه ما رواه الاربعة والحاكم عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القضاء ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار ، فاما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ف قضى به ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار (٣) .

ويدل على وجوب الاجتهاد قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتُم في شيء فردوه الى الله والى الرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (٤) فان معنى اطاعة الله تعالى العمل بتصوص كتابه ، واطاعة الرسول العمل بتصوص كلامه ، واطاعة أولي الأمر اذا كانوا من الامراء للمسلمين العمل بأوامرهم ونواهيهم الصادرة اذا كانت موافقة للكتاب والسنة واذا كان المراد بهم الائمة والعلماء فالعمل بما وجهوه اليها من تصوص الكتاب والسنة ، واحكامهم الاجتهادية . ومعنى الرد الى الله والى الرسول عند التنازع استعمال الرأي من أصحاب العلوم والادراكات في قياس محل النزاع على ما علم من

(٣) أخرجه ابو داود في السنن كتاب الاتضية (٢/٢٦٨) .
والترمذي في السنن رقم ١٣٢٢ طبعة حمص

(٤) سورة النساء الآية ٥٩

الدين ، والاخذ بالاشياء والنظائر ، كما جرت عليه المسلمون من السابق الى اللاحق ، فان اجتهادات الخلفاء الراشدين وعلماء الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ، قد وفقت باحكام الاسلام للعالمين ، فتوروا واستناروا ، وافسادوا واجادوا ، وجعلوا المسلمين في انوار تلمع بين ايديهم وأيمانهم ، وأطمأنت القلوب واستقرت النفوس الطاهرة المستضيئة بانوار الاسلام والدين ، وذلك بمصدق قوله سبحانه وتعالى (قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة اننا ومن اتبعني وسبحان الله وما اتنا من المشركين) (٥) .

وجوب التقليد على من لم تكن له رتبة الاجتهاد

والتقليد وهو الاخذ بقول امام من ائمة الدين بدون معرفة دليله استقلالاً ، وهذا واجب على العامي للعالم بدليل الكتاب والسنة والاجماع من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم من الصادق المصدوق بالخيرية ، واجماع من بعدهم الا ما شذ من شواذ الناس .

فمن الكتاب قوله سبحانه وتعالى (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)^(١) ، أمر الله سبحانه وتعالى بالتفقه في الدين ، وهو العلم الراسخ المفيد للمسلمين في القساء النصوص وتفسيرها ، وتفهم المستنبطات وكفاية المسلمين بها وبانذار المتفقهين الناس الذين يرجعون اليهم ، أي وتبشيرهم ، ولكن اقتصر على الانذار ، لانه على منية المعاصي ودفع المفسدة أهم من جلب المنفعة ، كما ترجى بعد الامرين من المسلمين ان يحذروا من عقابه سبحانه وتعالى وكفى به زاجراً عن المخالفة للمجتهدين وداعياً لهم الى اطاعتهم لمن كان له معرفة بأسلوب الكتاب المبين .

ومنه قوله سبحانه (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم)^(٢) فان اولي الامر هم الائمة الاعلام ، على أكثر اقوال المفسرين واطاعتهم واتباعهم في ما يلقونه اليهم من نصوص الكلام ومن مستنبطات الاحكام .

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٢

(٢) سورة النساء ، الآية ٥٩

ومنه قوله سبحانه (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)^(٣) فان الآية بظاهرها يشمل سؤال الجاهل للعالم من متن الذكر الى معناه ومفهومه ومستنبطاته وكل ما يستفاد منه الى يوم الدين ، لأن الأمر المقتيد بالعملة يتكرر بتكررها كما لا يخفى على العاقلين .

ومن السنة السننية كثيرة فعنما قوله صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن ماجه واحمد وابو داود والترمذي - الا ان في رواية احمد وابي داود (صلى بنا) وليس في ابن ماجه والترمذي لفظ (صلى بنا) - بسند صحيح عن العرياض بن سارية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب ، وفرفت منها العيون ، فقليل : يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع ، فاعهد اليها بعهد ، فقال : عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا وسترون من بمدي اختلافا شديدا فعليكم بهستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة^(٤) . وفي رواية عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقلنا : يا رسول الله ان هذه لموعظة مودع ، فما تعهد اليها . قال قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بمدي الا هالك ، من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي

(٣) سورة النحل ، الآية ٤٣

(٤) رواه الترمذي في سننه رقم الحديث ٢٦٧٨ طبعة حمص .

وابن ماجه في سننه رقم ٤٢ (ج ١/١٦١٥) - وابو داود في سننه (٢/٥٠٦)

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالتواجد، وعليكم بالطاعة وان عبدا حبشيا فانما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد^(٥) .

والمراد بالخلفاء الراشدين قيل الاربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، لقوله « الخلافة بعدي ثلاثون سنة »^(٦) وقد انتهت بخلافة علي كرم الله وجهه والاشهر الستة التي مكثها الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما ، لانهم أفضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين .

وقيل هم ومن على سيرتهم من أئمة الاسلام المجتهدين في الاحكام ، فانهم خلفاء الرسول في احياء الحق ، وارشاد الخلق ، واعلام الدين ، وكلمة الاسلام .

ووصف الراشدين بالمهديين ، لانه اذا لم يكن مهتديا في نفسه ، لم يصلح ان يكون هاديا لغيره ، لانه يوقع الخلق في الضلالة من حيث لا يشعرون . وذكر سنتهم في مقابل سنته لانه علم انهم لا يخطئون فيما يستخرجون من سنته ، أو ان بعضها ما اشتهر الا في زمانهم . وقد علمت ان سنة الخلفاء الراشدين ، هي المشاورة في مهمات الامور ، والعمل بما اتفق عليه أهل الشورى والاقتداء بنصوص الكتاب والسنة في ما وجدوها منها ، والاجتهاد واستنباط الاحكام في ما لم يكن

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم ٢٢ (ج١/١٦)

(٦) رواه الترمذي بلفظ « الخلافة في امتي ثلاثون سنة » السنن رقم ٢٢٢٧ طبعة حمص - ورواه ابو داود بلفظ « خلافة النبوة ثلاثون سنة » السنن (٥١٥/٢)

فيه نص • وقد سمعت منا سابقا مواد اجتهد الخلفاء وغيرهم
واقتراد المسلمين بهم • فالاجتهاد اجتهد من الأئمة العظام ،
والاقتداء تقليد لهم واتباع والتزام وعمل بالاحكام ، ومضت
على ذلك قرون الاسلام ، وعقب الخلفاء الراشدين دور
التابعين الاعلام والمجتهدين العظام الذين ملؤوا الاقطار من
مستنبطات الاحكام وتقرير قواعد تكفي لحفظ نظام
الاسلام •

والمراد بالمحدثات في الحديث الشريف ما ليس له اصل
في الدين • وأما الامور الموافقة لاصول الدين فغير داخلية
فيها وان احدثت بعده صلى الله عليه وسلم ، ويدل على هذا
اضافة السنة الى الخلفاء ، ومعلوم ان في سنتهم ما هو محدث
بعده صلى الله عليه وسلم كجمع المصحف وغيره وقد سمي
صلى الله عليه وسلم جميع أمورهم سنة ، ولذا قال النووي :
قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث (كل بدعة ضلالة)^(٧)
عام مخصوص • قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في آخر
كتاب القواعد : البدعة اما واجبة كتعلم النحو لفهم كلام
الله تعالى ورسوله ، وكتدوين اصول الفقه ، والكلام في الجرح
والتعديل ، واما محرمة كمذهب الجبرية ، والقدرية ،
والمرجئة ، والمجسمة ، ولكن الرد على هؤلاء من البسود
الواجبة ، لان حفظ الشريعة من هذه البدع فرض كفاية ،
واما مندوبة كاحداث الربط والمدارس ، وكل احسان لم
يمهد في الصدر الاول ، وكالتراويح بالجماعة المائنة •

واما مكروهة كزخرفة المساجد ، وتزويق المصاحف عند الشافعية ، واما عند الحنفية فمباح . واما مباحة كالتوسع في لذائد المآكل والمشارب والمساكن وتوسيع الاكعام ، وقد اختلف في كراهة بعض ذلك .

قال الشافعي رضى الله عنه ما أحدث مما يخالف الكتاب ، والسنة ، أو الأثر ، أو الاجماع ، فهو ضلالة ، وما أحدث من الخير مما لا يخالف شيئا من ذلك فليس بمذموم ، وقد قال عمر رضى الله عنه في قيام رمضان (نعت البدعة) .

وانت قد علمت ما ألقيناه عليك ، وأقول : ان الله سبحانه اعلن في آيات كثيرة من كتابه الكريم ، ان الخطاب مع أهل العقل ، وان الارشاد لا ينزع الا (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)^(٨) وان العقل يهتدي بنور الآيات والسنة النبوية الى كل خير يستفاد ويستنبط منهما ، ويحذر عن كل شر وضلالة تكون في طرف النقيض والمخالفة والمنافرة مع الاسلام .

وعلى ضوء هذا تعلم ان كل ما يتوقف عليه بقاء كيان الاسلام واعلام كلمة الله ، فهو من الواجبات ، وان كل ما يخدم ذلك ولم يكن من المهمات فهو من المندوبات ، وكل ما يضاد ذلك ويناقض محتواه ، فهو من المحرمات ، وكل ما لا يناسبه ولم يكن ينافره ، فهو من المكروهات ، وكل ما يسيئ الأمرين ، فهو من المباحات .

واذا شاكك احد من المسلمين وادعى خلاف ذلك فقل له :
اذا يكون تأليف استاذك وجمعه لفتاواه ونشر رسائله
في العالم وبث الامور التي لم تكن في عهد الرسول بدعة
وخلالة ، فأولى بك ان تترك أنت أولا ما تستمر عليه وترجع
اليه ، وبعد ذلك تهدينا الى ما تميل اليه .

ونرجو من اخواننا وساداتنا وأبنائنا ان ينصفوا
ويعتدوا ويرجعوا الى أعمال الصحابة في أسفارهم وفي غياب
الرسول ، وفي أعمال الخلفاء الراشدين بعده ، وفي ما استمر
عليه اعلام الأئمة والعلماء ، وان يقتصدوا بجمهورتهم ،
فالإنسان من حقه ان لا يعدو عن حقائق ثابتة لا ينكرها المؤمن
العالم المعتدل المنصف :

اولا اتباع القرآن الكريم ، ثانيا سنة الرسول العظيم ،
ثالثا التزام اجماع المسلمين ، رابعا ان لم يجد الاجماع
فالاتحاد بالاكثارية الساحقة من المسلمين ، فان الدين واضح
مستبين ولا غموض فيه ، ويرشدك الى هذا قوله تعالى
(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)^(٩) وقوله صلى
الله عليه وسلم : لا تجتمع امتي على ضلالة ،^(١٠) - نسأل الله
سبحانه وتعالى ان يشملنا برحمته ، ويفيض علينا من نعمته ،
وان يرزقنا الاستقامة على اتباع دينه وشريعته برحمته انه
أرحم الراحمين .

(٩) سورة آل عمران الآية ١٠٣

(١٠) سبق تخريجه في ص ١٥٥

محبة أمته

ومن محبته صلى الله عليه وسلم محبة أمته ، والنصيحة لهم ، وإعانتهم ، وخدمتهم بقدر المستطاع الأهم فالأهم ، لا سيما تأييد قادة الأمة وأعيانها المختصين بمزيد النفع لحوزة المسلمين ، ولا سيما الأعيان المختصين بالفضائل العلمية ، والأنوار البهية التي تبدو أثارها عليهم ، من اتباع الكتاب والسنة السنية ، وفوائدهم للأمة المحمدية ، ودعوتها إلى ترك السيئات ، وفعل الحسنات ، ورفع آثار الشقاق والتفاق ، وتوجيهها إلى محاسن الآداب والأخلاق . وقد عرفوا من سالف الزمان (بالاولياء) ، وقد جاهدوا في الله واجتهدوا ونصحوا وأرشدوا ، وهم قوم لا يشقى جليسهم ، ويسعد أنيسهم ، وتظهر آثار صحبتهم مع محبتهم في كل من جاورهم ، وأخذ الأدب منهم ، بالتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل ، والاستقامة على الكتاب وهدى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وأولئك هم الصادقون المقصودون في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (١) .

فإن قال قائل : لا مزية لقوم من الأمة ولا اختصاص ، فالؤمنون كلهم مؤمنون والناس ناس فإين هذا المقام والاختصاص ؟

قلنا : حقا ان المؤمنين كلهم مؤمنون ، ولكنك ان انصفت علمت ان المؤمنين ، وان كانوا كلهم اصحاب الاعتقاد والعمل الصالح والتقوى ولكنهم مختلفون في درجاته ، ولذلك قال سبحانه وتعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم)^(٢) فانه لو كان التقوى على درجة واحدة ، ما كان يأتي في القرآن الكريم بصفة التفضيل ، وكما انهم اختلفوا في التقوى ، اختلفوا في الاعمال قال تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عموما مالحا وآخر سيئا)^(٣) وقال (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدين)^(٤) وقال تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين آمنوا من بعد وقاتلوا)^(٥) الى آيات أخرى كثيرة .

فانها تعلن على رؤوس الاشهاد ان بين المؤمنين فروقا كثيرة في قوة الايمان واستقامة الاعمال ، وحسن الاخلاق والاحوال .

فالامر الواضح الجلي ، هو ان المؤمنين كلهم مؤمنون ومن أفراد أمة الاجابة لسيد المرسلين ، ولكن هناك تفاوتاً كثيراً ، ولذلك يقول تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٢

(٤) سورة النساء الآية ٩٥

(٥) سورة الحديد الآية ١٠

عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر)^(٦)
ويقول (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون)^(٧)
ويميز المستقيمين بميزات عالية فيقول (ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا
واهبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة
الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما
تدعون)^(٨) ، أي أنهم تنزل عليهم ملائكة الرحمة لتطمين
قلوبهم بأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وانهم أولياؤهم
وانصارهم واحباؤهم ، نتيجة استقامة أولئك الناس على
الايمان .

(٦) سورة الاحزاب الآية ٢٣

(٧) سورة الزمر الآية ٢٣

(٨) سورة فصلت الآية ٣٠

وقدر الله سبحانه ان من المؤمنين أولياء لله ، وقال
(ان أولياؤه الا المتقون)^(٩) فجعلهم منحصرين في المتقين
وجعل التقوى ميزة وشعارا لهم .

وينبغي هنا ان نعلم ما هي التقوى وما المراد بالمتقين ؟
ومعلوم ان التقوى من الوقاية : وهو الحذر والخشية وفرض
السياسة ، ويهدل على ذلك آيات ، قال تعالى (يا ايها الناس اتقوا
ربكم)^(١٠) اي اخشوه ، وقال تعالى (اذ قال لهم اخوهم نوح
الا تتقون)^(١١) يعني الا تخشون الله ، وكذلك قال سادتنا :

(٩) سورة الانفال الآية ٣٤

(١٠) سورة النساء الآية ١

(١١) سورة الشعراء الآية ١٠٦

هود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب لقومهم . وجاء في القرآن الكريم قول ابراهيم عليه السلام لقومه (و ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه)^(١٢) يعني اخشوه وكذا قوله تعالى (واتقوا الله حق تقاته)^(١٣) وقوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزي عن نفس عن نفس شيئا)^(١٤) .

وحقيقة التقوى وان كانت ما ذكرنا ، الا انها جاءت في القرآن بمعنى الايمان كقوله تعالى (والزمهم كلمة التقوى)^(١٥) اي التوحيد والايمان ، وقوله تعالى (أولئك الذين استحن الله قلوبهم للتقوى)^(١٦) اي للايمان ، وجاءت بمعنى الطاعة كقوله تعالى (ان اندروا انه لا آله الا انا فاتقون)^(١٧) اي فاطيعون ، وفيها (اغفر الله تتقون)^(١٨) اي تطيعون ، (وانا ربكم فاتقون)^(١٩) اي فاطيعون ، وجاءت بمعنى ترك المعصية ، كقوله تعالى (وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله)^(٢٠) اي فلا تعصوه ، وجاءت بمعنى التوبة ، كقوله تعالى (ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا)^(٢١) اي آمنوا وتابوا ، وجاءت بمعنى الاخلاص ، كقوله تعالى في سورة

(١٢) سورة العنكبوت الآية ١٦

(١٣) سورة آل عمران الآية ١٠٢

(١٤) سورة البقرة الآية ٤٨

(١٥) سورة الفتح الآية ٢٦

(١٦) سورة الحجرات الآية ٣

(١٧) سورة النحل الآية ٢

(١٨) سورة النحل الآية ٥٢

(١٩) المؤمنون الآية ٥٢

(٢٠) سورة البقرة الآية ١٨٩

(٢١) سورة المائدة الآية ٦٥

الحج (فانها من تقوى القلوب) (٢٢) اي ان تعظيم شعائرها لله ناتج عن الاخلاص ، وكذا قوله تعالى (واياي فاتقون) (٢٣) اي فاخلصوا لي .

وحاصل الكلام ان صفوة التقوى الحذر والوقاية عما يخالف رضاء رب العالمين ، وذلك بالتقوى والحذر عن الكفر حتى يكون المتقي من المؤمنين ، والوقاية عن فعل المحرمات وترك الواجبات ، ليكون مواظبا عادلا من المؤمنين ، فتليق بان يدخل في الذين وصفهم الله تعالى بانهم شهداء على الناس يوم الدين . والوقاية عن الاتهماك في حب الدنيا والدنيا ، لان الله يحب معالي الامور ويكره سفاسفها ، وبذلك تتعلق بذاته وصفاته في حب الله رب العالمين ، وبذلك ظهر ان ملاك التقوى ثلاث : تقوى عن الكفر ، وتقوى عن المخالفات ، وتقوى عن الدنيا والشهوات .

ومن هنا يتبين معنى التقوى ويظهر قول ابن عباس رضي الله عنه : ان المتقين هم الذين يحذرون من الله المعقوبة في ترك ما يعيل الهوى اليه ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه ، حتى قالوا ان اصحاب الصفائر لا يدخلون في المتقين لانه روى عنه صلى عليه وسلم انه قال « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا عما به البأس » (٢٤) .

(٢٢) سورة الحج الآية ٢٢

(٢٣) سورة البقرة الآية ١٧٩

(٢٤) رواه الترمذي في صفة القيامة عن عطية السعدي بروايين ولم الحديث ٢٤٥٣ . ورواه ابن ماجه في الزهد عن عطية ايضا بلفظ « لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين » ولم الحديث ٤٢١٥

وإذا علمت انحصار الأولياء في المتقين ، وإن المتقين هم
الموصفون بالأوصاف المذكورة ، علمت أن أولياء الله قوم من
المؤمنين قائمون على قدم العبودية الخالصة لله ، وأنهم هم
الذين قال سبحانه وتعالى في حقهم (ألا إن أولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون) (٢٥) .

وهم الذين جعلهم الله تعالى في كنف حمايته ورعايته
يحبههم ويحبونه ، رضاهم في رضاه ، وهواهم تابع لدينه وهداه ،
فيعادي من عاداهم ، ويوالي من وآلهم ، وعليه ما ورد من
حديث البخاري الصحيح ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قال
« من عادى لي ولياً فقد اذنته بالحرب ، وما تقرب اليّ عبدي
بشي أحب اليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب
اليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع
به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله
التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ،
وما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن نفس عبدي المؤمن
يكره الموت وأنا أكره مساءته » (٢٦) .

وزاد عبد الواحد بن ميمون عن عروة عن عائشة عند أحمد
والبيهقي في الزهد « وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم

(٢٥) سورة يونس الآية ٦٢

(٢٦) أخرجه البخاري في الرقائق باب التواضع . انظر القسطلاني

به ، (٢٧) وفي حديث انس ، ومن احببته كنت له سمعا وبصرا
و يدا ، وهو مجاز وكناية عن نصره العبد وتأيسده
واعانته ، حتى كانه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة
الحواس التي يستعين بها .

وهذا الحديث الشريف القدسي فسر العلماء بأن العبد
يتقرب الى ربه بمزيد النوافل ، حيث انها ما اوجبها الله
عليه ، ولكنه يريد التقرب منه تعالى بمزيد طاعته ، حتى
تحصل رابطة لطف وعناية خاصة الهية بالنسبة اليه ، وعند
ذلك لا يسمع الا ذكره ، ولا يلتذ الا بتلاوة كلامه ، وقراءة
كتابه ، ولا يأنس الا بمناجاته ، ولا ينظر الا في عجائب
ملكوته ، ولا يمد يده الا في ما فيه رضاء ، ورجله كذلك .
ولما حصلت هذه العلاقة باللطف دخل العبد في حظيرة القدس ،
فصار بحيث كل من مد يد الارتباط اليه امد الله باحسانه ،
وكل من مد يد العداء اليه قطع الله يده .

فانظر ايها المؤمن المثقف المتصف ان الاحكام التكليفية
العامية تعم كل مكلف ، وبأدائها يكونون ناجين داخلين في
جنات النعيم ، وان فوق تلك الدرجة درجات يختصها برحمته
من تجرد عن العلاقات المباشرة لكمال العبودية ، وتزود
بعلاقات الانس بحضرة القدس ، فيترقون الى حظيرة
الاختصاص ، والله ذو الفضل العظيم ، فثبت من هذه الأدلة

(٢٧) هذه الزيادة أخرجه الطبراني وابو يعلى وابو نعيم . انظر
شرح الاتحاف السنية بالأحاديث القدسية ص ١٦٦

الجلية من الكتاب والحديث القدسي ان للمؤمنين درجات ،
مع تحقق القدر المشترك بينهم * .

ولذلك يشهد عليه الصلاة والسلام بغيرية القسرون
الثلاثة قرن الصحابة فالتابعين فتابع التابعين رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين ، وتنتهي شهادته هنالك ، ولكنه يعلن
« ان مثل امته مثل المطر لا يدري اوله خير أم آخره » (٢٨)
حتى يعلم ان باب الرحمة مفتوح وكل من اراد الدخول فيه
على اساس عمله بما أتى به الرسول الاكرام فلا مانع من
دخوله والله الموفق * .

وكشف سر ذلك هو ان الله سبحانه قد اعلن انه غني
عن العالمين ، وانه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه ، أي
ليعرفوه فيعبدوه لتوقف العبادة على المعرفة * ومنذ خلق
الانس والجن ما تركهم مهملين ، فجعل من رحمته رسالته
وسيلة المعرفة والعبادة والوصول اليه ، كما قال (وان من
أمة الا خلا فيها نذير) (٢٩) وقال (لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل) (٣٠) وقال (وما كنا معذبين حتى نبعث

(٢٨) ذكره النووي في الفتاوى من رواية ابي يعلى وضعفه . وقال
الزركشي : هذا عجب فان الترمذي أخرجه عن قتيبة بن حماد ... قال
فيه يحيى بن معين : ثقة ... وقد روى من حديث انس ... اللآلي المنتشرة
في الاحاديث المشتهرة . مخطوط . وذكره الحافظ الهيثمي وقال : حديث
حسن له طرق . مجمع الزوائد (٢/١٩٧-١٩٨)

(٢٩) سورة فاطر الآية ٢٤

(٣٠) سورة النساء الآية ١٦٥

رسولا) (٣١) وقال (ثم ارسلنا رسلنا تنزيها) (٣٢) اي متعاقبين واحدا بعد واحد ووترا بعد وتر ، والمتعاقبون المتتابع والتعاقب فيهم .

واما كيفية البعث والارسال هو انه اصطفى بفضله ورحمته الواسعة وموهبته المطلقة عبادا ممتازين لحمل رسالته (الله اعلم حيث يجعل رسالته) (٣٣) ، فجعلهم مظاهر للفيضات الربانية ، ومهايط للوحي الالهي ، وموارد للانوار والبركات . حتى ختمهم بحضرة خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، فكانوا حلقة الارتباط بين المعبود والعباد ، يستفيدون ويفيدون ، يسترشدون ويرشدون ، ويستفيضون من انوار القدس ويفيضون ، فكان صدر الرسول مشروحا بانوار الله ولسانه وجوارحه وحواصيه ، بل ذرات وجوده منسورة بالمواهب القدسية ، وصار ينبوعا للخيرات اعتقادا وعملا واخلاقا وانوارا ،

فانفاض على جميع العباد تعاليم الله سبحانه وتعالى بأقواله وأفعاله وتقريره وتنويره ، وعم ذلك جميع المكلفين .

وماذا كان موقف المكلفين من ذلك ؟ فمنهم من عاند ودخل في الكافرين ، ومنهم من اجاب ودخل في المؤمنين .

(٣١) سورة الاسراء الآية ١٥

(٣٢) سورة المؤمنون الآية ٤٤

(٣٣) سورة الانعام الآية ١٢٤

ومن المجيبين من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فعسى أن يشملهم الله برحمته وعقوبه ومغفرته ، ومنهم من أطاع حق الاطاعة وما قصر بقدر ما لديه من الاستطاعة فدخل في المؤمنين الملازمين لبيوت (إذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالندو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة واهتام الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) (٣٤) .

ومنهم من ربي بنفسه وعلا بها الى جانب قدسه باستمرار اتباع الرسول الكريم واقتدائه في كل نسيم وجسيم ، وكسب محبته من حيث انه المبعوث رحمة للعالمين ، فأحبه الرسول وتشربت روحه وقلبه وقاله من زلال صفاء صفاته ، وتنورت ذرات وجوده من جمال سناء سماته ، فصار قبساً من نور الرسالة ، ومستضيئاً من ضياء صدره ، ومتفانياً في تلبية حقيقة أمره وكان وجوده مرآة لوجود الرسول وصحبته مرقاً للوصول ، كل ذلك من صحبته صلى الله عليه وسلم ومحبته ، فوقر في صدورهم وقر من الانوار واستقر في قلوبهم لمعات من الاسرار ، فساقتهم الى سلوك سبيل مجاهداته صلى الله عليه وسلم ، سواء من طريق الرياضة النفسية والصلاة والصيام والتهجد والقيام ، أو من طريق الجهاد بالنفس والتفكير لاعلام شأن الاسلام ، أو من طريق الدعوة الى حضرة القدس بتعليم الدين ونشر

الاحكام ، او من طريق التفكير الروحي والنظر في الالهي
تعالى وكبريائه وفيضه على الانام بأنواع الاحسان والاكرام ،
فوصلوا الى درجة وهبهم الله تعالى بها رتبة خلافة مسيد
الانام صلى الله عليه وسلم ، لانهم صاروا مظاهر لوصاف
الرسول لا بطريق العلم والارتسام ، بل بطريق التحقق
والاتصاف ، الامرتبة النبوة والرسالة ، حيث كانتا من
الموهبة لا من المكتسبة ، مع انهم اقتبسوا منها بالخلافة عنه
صلى الله عليه وسلم وراثته التبليغ الى الانام وارشادهم الى
دين الاسلام أيضا .

ولا يخفى على المسلمين العارفين بمناقب الصدر الاول
من المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم واحوال الخلفاء
الراشدين والسابقين من الانصار والمهاجرين ، وينكشف
عندهم حال ابي بكر رضى الله تعالى عنه في الاسرار
بالاذكار ، والتفدية بالمال والعمال والنفس في خدمة دين
الرسول المختار ، وانه مختار من سائر اخوانه بما وقر في
صدره من المهابة والانوار .

وحال عمر رضى الله تعالى عنه في الجهر بالاذكار
ومراقبة الحق في الليل والنهار ، وصفاء قلبه واصابة رأيه
وموافقاته مع وحي الله في عدة مواضع معروفة عند العلماء
الابرار ، وانه صلى الله عليه وسلم مبرز عن غيره بانه من
المهمين ، وان الحق معه ، وان الشيطان يخاف منه ويسلك غير
مسلكه الى آخر صفاته وخدماته للحق والدين .

وحال عثمان في التدفدية بماله واشترائه الجنة مرتين ،
أي استحقاقه للفوز بالجنة جزاء لخدماته ، وأنه كان يستحي
منه ملائكة الرحمن .

كما لا يخفى حال علي كرم الله وجهه في صفاته وذكائه
وعلمه وقضائه ، وفي علاقته بربه ورضاءه ، وملازمة مراقبته
ربه وتقواه . والحاصل أنه كان لكل منهم ومن حاذي حذوهم
دأب خاص ومنهج مخصوص في التقرب إلى الله واتباع
الكتاب وسنة الرسول ودعوة الناس إلى الله .

وعلى المنهج السابق مضى المسلمون قرنا فقرنا ، وكان
في كل قرن بجانب المؤمنين العاديين قوم منهم مخصوص بأحوال
خاصة ، ومحنة نفسية لرجال المحبة والولاية في الصدر
السابق ، وخلفوهم في ما استخلفوهم فيه ، فلم يقصروا بقدر
الامكان ، وخدموا الدين بقدر المستطاع والمناسبة ، وكان
لكل منهم حسب مشرب من صحبه منهج خاص في تربية المسلمين
بالطاعة والاذكار ، وتنوير قلوبهم عن غبار محبة الشهوات
والاقتدار ، وربطهم بالسلف الصالح من حيث التنوير بالانوار ،
وذلك المنهج الخاص اشتهر في ما بعد القرون الثلاثة باسم
الطريقة فكان يقال : طريقة جنيد بن محمد في التربية ،
وطريقة فلان ، وطريقة فلان ، إلى آخره ، كما يقال طريقة
البخاري في رواية الاحاديث الشريفة وشرطه من المعاصرة
واللقاء ، وطريقة مسلم من المعاصرة وامكان اللقاء وطريقة
فلان من رواية الصحاح فقط .

وكما يقال : طريقة ابي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي
في استنباط الاحكام ، وطريقة مالك في استناده بعمل اهل
المدينة المنورة في نقل السنة النبوية ، وطريقة الشافعي ،
وطريقة أحمد بن حنبل .

أو كما يقال : طريقة حفص في قراءة القرآن الكريم ،
وطريقة ورش ، وغيرهم ، وهذه الاسامي والاصطلاحات وان لم
تكن مذكورة مشهورة في الصدر الاول ، لكنها كلها من صميم
الاسلام ، والخدمة النافعة لدين سيد الانام عليه الصلاة
والسلام . ومن اعتبر هذه الامور من البدع ، فان اراد
البدعة اللغوية فكلامه واضح ، ولكن الكلام ليس في اتباع
اللغة (وعلم آدم الاسماء كلها) (٣٥) .

وان اراد معنى انه بدعة وضلالة في الدين ، فيلزمه ان
جمع القرآن ، وكتابة المصاحف الستة وارسالها الى الاقطار
الاسلامية ، واعراب القرآن وتنقيطه ، وتدوين الاحاديث
الشرينة ، وفتح المدارس لتعلمها ، كل تلك الامور المهمة
المقررة لبقاء الاسلام من البدعة والضلالة ، وحاشا ان ينطق
مسلم فاهم مكلف بهذا الكلام .

كرامات اولياء الله تعالى

واذا علمت ما تلونا عليك من اختصاص جمع مسن المؤمنين بمزيد درجات من الله سبحانه وتعالى ، لايمانهم الراسخ ، واعمالهم الصالحة ، وتقواهم المستمر الذين قال الله سبحانه وتعالى في حقهم (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك الفوز العظيم)^(١) ، وفُسرَت البشري بما بشر الله به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما يريهم من الرؤيا الصالحة ، وما يمنح لهم من المكاشفات - وبشري الملائكة عند النزول ، وغير ذلك من المواهب - فليعلم انه استقرت عقيدة المسلمين على ثبوت الكرامة لهم ، والكرامة : أمر خارق للعادة تظهر على أيدي العباد المختصين باتباع الكتاب والسنة النبوية ، اكراما لهم ورعاية لقائهم .

والفرق بينها وبين المعجزة من وجوه :

الاول - ان المعجزة تظهر مع دعوى الرسالة مقرونة بالتحدي ، والكرامة لا تظهر الا على يد من يتبع الرسول ولا تقترن بالتحدي .

الثاني - ان المعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة ، والكرامة يجوز معارضتها بما يماثلها ، او يكون أعلى منها من جهة خرقها للعادة .

الثالث - ان الرسل الكرام مأمورون باظهار المعجزة ،
واسحاب الكرامة لا يؤمرون باظهارها ، بل ويحبون اخفاءها ،
الا اذا تعلق بها تأييد شأن الدين كتنشيت حكم شرعي ، او
تبكيث شخص من المخالفين ، الى غير ذلك .

ويدل على ثبوتها أدلة : من الكتاب، والسنة، والمعقول .
اما الكتاب فمنه قصة مريم عليها السلام قال تعالى (كلما
دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم
اننى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير
حساب) (٢٦) . وجه الاستدلال ان حصول ذلك الرزق عندها
كان أمرا خارقا للعادة ، وكل ما كان خارقا للعادة ظاهرا
على شخصية كذلك فهو كرامة لها .

فان قيل : ما الدليل على كون ذلك الرزق شيئا خارقا
للعادة . فالجواب امور :

الاول - ان حصول ذلك الرزق عندها ذكر في مقام اعلام
شأن مريم ورفعة قدرها عند الله ، وكل امر كذلك فظهوره
كرامة لصاحبه .

الثاني - دلالة غلبة الرجاء على سيدنا زكريا عند ذلك ،
ودعائه وطلبه من الله ان يرزقه (وهو شيخ هرم وأهله
عجوز) ولدا يخلفه ، فانه لو لم يكن ما عند مريم دالا على
مزيد احسانه تعالى واكرامه لها ما كان تتأكد داعية زكريا
عليه السلام لدعائه وتدائه ربه تعالى ذلك .

الثالث - دلالة تنكر الرزق في الآية على كونه شيئا بديها عجيبا مغالفا للمعتاد .

الرابع - ما دلت عليه الروايات من ان زكريا كان يجد عندها فاكهة الصيف بالشتاء ، وفاكهة الشتاء بالصيف .

فان قيل : ولم قلت ان كل امر كذلك يكون كرامة لها ، لم لا يجوز ان تكون معجزة لزكريا عليه السلام . قالجواب انه لو كان معجزة له لكان عالما به ، ولم يسألها عن كيفية حصوله عندها ، ولم يستغرب وجودها هنالك ، وسياق الآية يدل على ان زكريا لم يكن عالما به ، بل استغرب وتمعجب وأطمأن قلبه من جوابها ، ولذلك دعا هو بطلب ولد من احسانه تعالى اليه .

فان قيل : لعله : كان من خدمات بعض المسلمين لها اذ ذاك . قلنا : قد علمت ان زكريا استغرب حصوله عندها ، وتقديم بعض أهل الخير بعض الهدايا ليس بمستغرب .

ومن ادلته على الكرامة واختصاص بعض عباد بها فضلا ورحمة ، بقاء اصحاب الكهف مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين بدون عروض أي نقص وتفتت على أجسادهم الامر المستحيل عادة ، ولم يكن اذ ذاك رسول يتحدى بوضع كذلك ، وانما هو فضل واحسان اليهم ، واردة لظهور أمرهم في وقت ما ، ليكون عبرة لاولي الابصار ، ودليلا على قدرته لاهل الاعتبار .

ومن أدلته قضية صاحب سيدنا سليمان عليه السلام
ونقل عرش بلقيس مع كبر حجمه ، وبعد المسافة بالآلاف
الكيلو مترات في طريقة العين الى محضره عليه السلام ، وكانت
كرامة لذلك الشخص الذي كان عنده علم من الكتاب
ومعلوم انه لم يكن ذلك العلم من العلوم المادية المعروفة بعلم
جر الاثقال ونحوه ، لانها لم تصل قبل ذلك الوقت ، وفي ذلك
الوقت ، وبعده الى يومنا هذا الطور الذي تحصل به امثال
تلك المعجبة ، كما انه لم تكن معجزة صادرة من سيدنا
سليمان مباشرة ، لانه لم يكن هنا تعد ، ولو كان منه ما كان
داع الى طلب النقل من غيره ، وليس في سياق الآية الكريمة
دلالة على انه كان من أعماله ، فظهر انه كان كرامة لصاحبه
خصه الله بها اظهارا لفضله بما آتاه من علم الكتاب ، وأثرا
من الآثار الروحية الخالدة .

وأما الاخبار فكثيرة : منها ما اخرج في الصحيحين عن
ابي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
« لم يتكلم في المهد الا ثلاثة : عيسى بن مريم عليه السلام ،
وصبي في زمن جريج الناسك ، وصبي آخر ،

أما عيسى فقد عرفتموه ، وأما جريج فكان رجلا عابدا
ببني اسرائيل ، وكانت له أم فكان يوما يصلي اذا اشتاقت
اليه أمه ، فقالت : يا جريج ، فقال : يا رب الصلاة خير أم
رؤيتها ، ثم صلى ، فدعته ثانيا ، فقال : مثل ذلك ، حتى قال
ثلاث مرات ، وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على أمه ،
قالت : اللهم لا تمته حتى تربيه المومسات . وكانت ذاتية

هناك فقالت لهم : انا افتن جريجا حتى يزني ، فأتته فلم تقدر على شيء ، وكان هناك راع يأوي بالليل إلى أصل صومعته ، فلما أهيأها ، راودت الراعي عن نفسها فأتاها ، فولدت ، ثم قالت : ولدي هذا من جريج ، فأتاه بنو إسرائيل ، وكبروا صومعته ، وشتموه ، فعلى ودعا ثم نخس الغلام .

قال أبو هريرة : كآني انظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده : يا غلام من أبوك ، فقال : الراعي ، فندم القوم على ما كان منهم ، واعتذروا إليه ، وقالوا : نبني صومعتك من ذهب أو فضة ، فأبى عليهم وبناها كما كانت .

وأما الصبي الآخر فإن امرأة كان معها صبي لها ترضعه اذ مر بها شاب جميل ذو شارة حسنة : فقالت : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فقال الصبي : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم مرت امرأة ذكروا أنها سرقت وزنت وعوقبت ، فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه ، فقال الصبي : اللهم اجعلني مثلها ، فقالت له أمه في ذلك ، فقال : ان الشاب كان جبارا من الجبابرة فكرهت ان أكون مثله ، وان هذه قيل أنها زنت ولم تزن ، وقيل أنها سرقت ولم تسرق ، وهي تقول حسبي الله . (٣) .

ومنها خبر الفار : وهو الخبر المشهور في الصحاح فمن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله

(٣) هذا الحديث أخرجه البخاري بطوله في باب خلق آدم وفريته القسطلاني ٤١١/٥ - ٤١٢ ، وأخرجه مسلم في كتاب البر انظر شرح النووي في حاشي القسطلاني (٤١١/٩) .

عليه وسلم ، انطلق ثلاثة رهط من كان قبلكم فأوامهم المبيت الى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل ، وسدت عليهم باب الغار ، فقالوا : والله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم ، فقال رجل منهم : كان لي ابوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق قبلهما ، فناما في ظل شجرة يوما فلم أهرج عنهما وحلبت لهما غبوقهما فجثتهما بهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت ان أوقظهما ، وكرهت ان أغبق قبلهما ، فكتمت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما ، حتى ظهر النجر ، فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه .

ثم قال الآخر : كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس اليّ ، فراودتها عن نفسها فامتنعت ، حتى ألت بها سنة من السنين فجاءتني وأعطيتها مالا عظيما على ان تخلي بيني وبين نفسها ، فلما قدرت عليها قالت : لا يجوز لك ان تفك الخاتم الا بحقه ، فخرجت من ذلك العمل وتركها وتركت المال معها ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث اللهم اني استأجرت أجرا فاعطيتهم أجورهم غير رجل واحد ترك الذي له ، وذهب ، فشمرت أجرته حتى كثرت منه الاموال ، فجاءني بعد حين ، وقال : يا عبد الله ادّ لي أجرتي ، فقلت له : كل

ما ترى من أجرتك من الأبل والغنم والبرقيق ، فقال : يا عبد الله أستهزئ بي ، فقلت : اني لا استهزئ بك فأخذ ذلك كله ، اللهم ان كنت فعلت ذلك اهتفاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون » وهذا حديث صحيح متفق عليه (٤) .

ومنها ما روى سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت اليه البقرة ، فقالت : اني لم أخلق لهذا ، وانما خلقت للحرث » ، فقال الناس : سبحان الله بقرة تتكلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « آمنت بهذا انا وابو بكر وعمر » (٥) .

ومنها ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم « لقد كان فيمن قبلكم ناس محدثون فان يك في أمتي أحد فانه عسر .. » الحديث (٦) . والمحدثون : سيفتح الدال المشددة - هم الملهمون كأنهم حدثوا بشيء فقالوه .

١ أخرجه البخاري في كتاب الادب . انظر القسطلاني (٥/٩) ، وفي كتاب بدأ الخلق . القسطلاني ٢٢٧/٥ ، ومسلم في كتاب العلم . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠٠\١٦٦) .

٥ أخرجه البخاري في كتاب بدأ الخلق . انظر القسطلاني (٢٣١/٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب فضل ابي بكر . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني ٢٥٨/٩ .

(٦) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي باب مناقب عمر . انظر القسطلاني (١٠٣\٦) .

ومنها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بيتما رجل يسمع رعدا او صوتا في السماء ان اسق حديقة فلان ، قال : ففدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها ، فقلت له : ما اسمك قال فلان بن فلان بن فلان ، قلت : فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها ، قال : ولم تسأل عن ذلك ؟ قلت : لاني سمعت صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان ، قال : اما اذا قلت فاني اجعلها اثلاثا فاجعل لنفسى واهلي ثلثا ، واجعل للمساكين وابن السبيل ثلثا ، وانفق عليها ثلثا ^(٦) .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » ^(٧) ولم يفرق بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله .

ومنها ما رواه البخاري في علامات النبوة عن انس رضي الله عنه « ان رجلين من الاصحاب خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى وصل أهله » ^(٨) . وهذا انما كان اكراما لهما ومعجزة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذان الرجلان هما أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله تعالى عنهما .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الزهد . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني ١٠/٢٢٢ .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب البر . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني ١٠/٥٤ .

(٨) أخرجه البخاري في المثالب باب منقبه أسيد بن حضير وعباد بن بشر . انظر القسطلاني (١٦٠-١٥٩) .

واما الدليل المقول فهو ان العبد ولي الله ، والله ولي العبد ، واذا ثبتت الموالاة بين الله وبين العباد ، فالمرجو هو ان يفعل الله سبحانه ما فيه اعلام شأن عبده بالكرامة في الدنيا والاحترام في الآخر .

اما ان العبد ولي الله فلقوله تعالى (الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون)^(٩) ، واما ان الله ولي العبد فلقوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا)^(١٠) وقوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)^(١١) وقوله (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا)^(١٢) وقوله تعالى تعليما لعباده ما يدعون به (انت مولانا)^(١٣) .

وايضا ان الله تعالى حبيب العبد، والعبد حبيب الرب، والمحب يعمل لحبيبه ما فيه الكرامة والعزة ، اما ان الله تعالى حبيب العبد فلقوله تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله)^(١٤) ، واما ان العبد حبيب الرب فلقوله تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)^(١٥) وكذلك يدل على المحبة في الجانبين قوله تعالى (يحبهم ويحبونه)^(١٦) .

-
- | | |
|------|-----------------------|
| (٩) | سورة يونس الآية ٦٢ |
| (١٠) | سورة البقرة الآية ٢٥٧ |
| (١١) | سورة المائدة الآية ٥٥ |
| ١٢ | سورة محمد الآية ١١ |
| (١٣) | سورة البقرة الآية ٢٨٦ |
| ١٤ | سورة البقرة الآية ١٦٥ |
| (١٥) | سورة البقرة الآية ٢٢٢ |
| ١٦ | سورة المائدة الآية ٥٤ |

وهنا دليل آخر هو انه تعالى (له مقاليد السموات والارض)^(١٧) فلا يمجزه شيء وهو على ما يشاء قدير والمعباد المخلصون اختصهم الله سبحانه بالتوفيق على الطاعة والاستقامة على اداء واجب العبودية ، وهذا التوفيق أصل لظهور كل احترام وكرامة للمعباد المطيعين ، فمن المناسب لتوفيقهم اعلاء شأنهم باظهار الكرامة لهم ، وتوليهم في كافة شؤونهم كما قال (وهو يتولى الصالحين)^(١٨) .

وهنا دليل آخر ، وهو ان المتولى للافعال هو الروح لا البدن ، ولا شك ان معرفة الله تكون كالروح للارواح ، أي انه كلما ، ترقى الارواح في مدارج معرفة الله ، ترقى في مدارج الطاعة والاخلاص ، وكلما ترقى في ذلك زادت المناسبة والارتباط وتهيأت لفيض انوار القدس عليها ، واذا صارت الروح مظهرا للفيضات ، فظهور الكرامات والامداد الغيبية لصاحب هذه الروح يصير نتيجة واقعية ، وسنة ثابتة من سنة الله التي خلت في عباده (ولن تجد لسنة الله تبديلا)^(١٩) .

ولا شك ان الروح خالدة ، ولا فناء لها بانتقالها الى عالم البرزخ ، ولذلك يرى أهل المعرفة آثار الارواح الطيبة ، ويدرك أهل الصفاء أنوار الارواح عند الزيارات بحيث يتدهش العقل من ادراك تلك الانوار والفيضات .

(١٧) سورة الصورى الآية ١٢

١٨ سورة الاحرف الآية ١٩٦

(١٩) سورة طاهر الآية ٦٢

ومن الكرامات التي ظهرت من الصحابة رضى الله تعالى عنهم جملة كثيرة : منها ما صحح من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه كان نعلها جاد عشرين وسقا * فلما حضرته الوفاة ، قال : والله يا بنية ما بين الناس أحد أحب اليّ حتى بعدي منك ، ولا اعز عليّ فقرا بعدي منك ، واني كنت نعلتك جاد عشرين وسقا ، فلو كنت جدته وخزنته كان لك ، وانما هو اليوم مال وارث ، وانما هما أخواك واختاك فاقسموه على كتاب الله قالت عائشة : يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته ، انما هي أسماء فمن الاخرى * فقال أبو بكر : فو بطن بنت اراها جارية فكان ذلك ..

(والجاد) بمعنى المجدود ، أي نخل يجد منه ما يبلغ عشرين وسقا ، وفي القصة كرامتان احدهما اخباره رضى الله تعالى عنه بأنه يموت في ذلك المرض حيث قال وانما هو اليوم مال وارث ، والثانية اخباره بمولود له وهو جارية * والسر في اظهار ذلك استعطابة قلب عائشة رضى الله عنها في استرجاع ما وهبه لها ولم تقبضه فأخبرها رضى الله عنه بأنه مال وارث وان معها اخوين واختين *

ومنها ما في البخاري (باب السر مع الضيف والاهل) من كتاب المناقب من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الصفة مرة * من كان عنده طعام اثنین فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام اربعة فليذهب بخامس * .

وفيه ان ابا بكر انطلق بثلاثة وغادرهم في بيته وتمشى
 عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ولبت حتى صلى العشاء مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء بعدما مضى من الليل
 ما شاء الله ، فقالت له امرأته : ما حبسك عن أضيافك ؟ قال :
 أو ما عشيتهم قالت أبوا حتى تجيء ، ثم قال كلوا : فقال
 قائلم وایم الله ما كنا نأخذ من لقمة الا ربا من أسفلها اكثر
 منها حتى شبعوا ، وصارت اكثر مما كانت قبل ، فنظر أبو
 بكر فاذا شيء أو اكثر فقال لامراته يا أخت بني فراس ما
 هذا ، قالت : لا وقرة عيني لهي الان اكثر مما كانت قبيل
 بثلاث مرات فأكل منها أبو بكر ^(٢٠) . . الحديث ،

وهذه كرامة أظهرها الله في بيت أبي بكر ، كرامة له ،
 حيث قصد اشباع أضيافه واستطابة قلوبهم حيث غاب عنهم .
 ومنها قصة عمر رضي الله عنه مع سارية بن زنيم الخلجي
 حيث أمره على جيش من جيوش المسلمين ، وجهزه الى بلاد
 فارس ، فاستد على عسكره الحال على باب (نهاوند) وهو
 يحاصرها ، وكثرت جموع الاعداء ، وكاد المسلمون ينهزمون ،
 وعمر رضي الله عنه بالمدينة ، فصعد المنبر وخطب ، ثم
 استغاث في اثناء خطبته بأعلى صوته : يا سارية الجبل يا سارية
 الجبل ، فاسمع الله عز وجل سارية وجيوشه أجمعين ، وهم
 على باب نهاوند صوت عمر فلجأوا الى الجبل ، وقالوا : هذا
 صوت أمير المؤمنين فنجوا وانتصروا .

٢٠ أخرجه البخاري في كتاب هوائيت الصلاة . انظر القسطلاني
 (١٨٨/١) وكرره في باب علامات النبوة . القسطلاني ٤٦/٦

وروي ان سيدنا عليا كرم الله وجهه كان حاضرا ، ولما سمع الحاضرون ، قالوا : ما هذا الذي يقوله أمير المؤمنين وأمين سارية منا الآن ؟ قال : دعوه فما دخل في أمر الا وخرج منه ، ثم تبين الحال بالآخرة .

ومنها ما ظهر على يد عثمان رضى الله عنه ، وذلك انه دخل اليه رجل كان قد لقي امرأة في الطريق فتأملها ، فقال له عثمان رضى الله عنه : يدخل أحدكم وفي عينيه أثر الزنا ، فقال الرجل : أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ، ولكنها فراسة .

وانما أظهر عثمان هذا تأديبا وزجرا لرجل عن هذه المعصية .

ومنها ما ظهر على يد علي المرتضى رضى الله تعالى عنه، روي ان عليا وولديه الحسن والحسين رضى الله عنهم سمعوا قائلا يقول في جوف الليل :

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهرا
وعين جودك يا قيوم لم تنم
هب لي بجودك فضل العفو عن زللي
يا من اليه رجاء الخلق في الحرم
ان كان عفوك لا يرجوه ذو خطأ
فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال علي رضي الله عنه لوئده : اطلب لي هذا القاتل ،
فأتاه فقال : اجب أمير المؤمنين ، فأقبل يجرشقه ، حتى وقف
بين يديه ، فقال : قد سمعت خطابك فما قصتك ، فقال : اني
كنت رجلا مشغولا بالطرب والعصيان ، وكان والدي يحظني
ويقول ان لله سطوات ونقمات ، وما هي من الظالمين ببعيد ،
فلما ألح في الموعظة ضربته ، فحلف ليدعون علي ، ويأتي مكة
يستغيثا الى الله ، ففعل ودعا فلم يتم دعاءه حتى جف شفتي
الايمن فندمت على ما كان مني ، وداريته وارضيته ، الى ان
ضمن لي انه يدعو لي ، حيث دعا علي ، فقدمت اليه ناقصة
فأركبته فنفرت الناقة ورمت به بين صخرتين فمات هناك .

فقال له علي رضي الله عنه : رضي الله عنك ان كان
أيوك رضي عنك ، فقال : تعالى رضييت عنم رضي عنه
ايوه كذلك ، فقام علي كرم الله وجهه ، وصلى ركعات ودعا
بدعوات اسرها الى الله عز وجل ، ثم قال يا مبارك قم فقام
ومشى ، وعاد الى الصحة كما كان ، ثم قال : لو انك عاحلفت
ان اباك رضي عنك ما دعوت لك .

والكلام هنا في قول علي كرم الله وجهه لذلك الرجل
المشلول (قم يا مبارك) فانه يتبين انه ظهر عليه كرم الله
وجهه بصلاته اشراق قلبي حصل له به اعتقاد ان الله تقبل
دعاءه فأمره بالقيام فقام وقد حقق الله ما اعتقده .

ومنها ما ظهر على سيدنا العباس رضي الله عنه عم النبي
صلى الله عليه وسلم في استسقاائه عام الرمادة في زمان عمر

رضي الله عنه وبرجائه ، وكانت السنة سنة جذب والريح تنوي العراب كالرماد وقد قبل الله تعالى دعاءه واستجاباه ، ولا شك ان مقارنة الاجابة بالدعاء في السنة التي كاد ان تهاش فيها من المطر كرامة باهرة •

ومنها ما ظهر لسعد بن ابي وقاص رضي تعالى عنه يوم القادسية ، وذلك انه كان به جرح لم يستطع القيام معه والركوب الى ساحة الحرب ، فبلغه من بعض الشعراء كلام تألم قلبه منه ، فدعا عليه ، وقال اللهم اكفنا لسانه ويسده فخرس لسانه وشلت يده •

وكان سعد مستجاب الدعاء لان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بذلك فقال : اللهم سدد سهمه واجيب دعوته ، (٢١) ، فكان لا يدعو بشيء الا اجاب الله دعوته ، وكان الصحابة يعرفون ذلك منه ،

ولما عزله عمر رضي الله عنه وولي مكانه عمار بن ياسر رضي الله عنهما بحث مع سعد من يسأل عنه اهل الكوفة ، فلم يدع مسجدا حتى سأل عنه ، فيثنون عليه خيرا ، حتى دخل مسجدا لبني عباس ، فقام رجل منهم ، يقال له اسامة بن قتادة ويكنى ابا سمدة ، فقال : اما اذا نشدتنا فان سعدا كان لا يسر بالسرية ، ولا يتسم بالسوية ، ولا يعدل في القضية ،

(٢١) أخرجه البخاري في كتاب الاذان • الفسطاني ٨٥-٨٣/٢ ، وأخرج مسلم بعض هذا الحديث في كتاب الصلاة • شرح النووي في حاشي الفسطاني ٩٦-٩٨/٣ ، والامام احمد في المسند (١٧٥/١) ، والنسائي (١٧٤/١) ، والطبراني رقم ٣٠٨ •

فقال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : اللهم ان كان عبدك هذا كاذبا قام بهاء وسعة ، فأطل عمره ، وأطل فقره ، وعرضه للفقن . قال عبدالمالك بن عيسى من رواية الحديث : فانا رأيت أنه قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وأنه ليعترض للجواري في الطريق ينمزن ، وكان بعد اذا سئل يقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد . واراد عمر رضى الله عنه ان يرد سعدا بعد ذلك الى الكوفة فامتنع .

والبل سعد يوما برجل يسب عليا وطلحة والزبير رضى الله عنهم ، فنهاء ، فكانما زاده اغرام ، فقال له : وبلك ما تريد الى اقوام خير منك ، لعنتهين أو لأدعون عليك ، فقال هاء فكانما تخوفني يعني نبيا من الانبياء ، فدخل سعد دارا فتوضأ ودخل مسجدا فقال : اللهم ان كان عبدك يسب اقواما قد سبقت لهم منك الحسنى حتى اسخطك بسبه اياهم فارنسي اليوم آية تكون آية للمؤمنين فخرجت بغتية ، من دار قسوم ، واقبلت لا يصدها شيء حتى انتهت اليه ، وتفرق الناس ، فجعلته بين قوائمه ، ووطئته حتى طفيء .

ومنها ما ظهر على يد ابن عمر رضى الله عنهما ، حيث قال للأسد الذي منع الناس الطريق : تنح فبصيص بذنبه وذهب .

ومنها ما ظهر على ايدي سلمان وأبي الدرداء فقد كانت بين يدهما قصعة ، فسبحت حتى سمع التسبيح .

ومنها ما ظهر على عمران بن حصين كان يسمع تسبيح الملائكة حتى يكتوى فأحتبس ذلك عنه ، ثم اعاده الله عليه .

ومنها ما ظهر لخالد بن الوليد رضى الله عنه ، وهو انه شرب السم ولم يضره ، الى غير ذلك من الكرامات التي ظهرت من سائر الصحابة ، ومن التابعين ، وتابى التابعين رضى الله تعالى عنهم ، ومن غيرهم من خيار المسلمين في القرون التي مضت عليهم ، بحيث وصل القدر المشترك منها مبلغ التواتر المفيد لليقين .

فان قيل : ما بال الكرامة في زمن الصحابة وان كثرت في نفسها قلت بالنسبة الى ما يروى من الكرامات الكائنة بعدهم على يد الاولياء .

فالجواب : ما اجاب به الامام الجليل احمد بن حنبل رضى الله عنه حيث سئل عن ذلك فقال : اولئك كان ايمانهم قويا فما احتاجوا الى زيادة يقوى بها ايمانهم ، وغيرهم ضعيف الايمان في عصره ، فاحتيج الى تقويته واظهار الكرامة .

ومما ينبغي علمه انه كما اختلفت المعجزة بالرسائل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، اختلفت الكرامة بالمؤمنين المتقين المستقيمين على اتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، كالصحابة الكرام ، وافراد التابعين ، وتابى التابعين ، وسائر المؤمنين الاخيار رضى الله تعالى عنهم اجمعين .

فلا تصدر الكرامة قطعا من الفساق الفجار والمفسدة الاشرار ، وما يتوهم من وقوع بعض الامور غير الاعتيادية

منهم فليست كرامة ، وانما هي نتيجة علوم خاصة اكتسابية كالسحر والشعوذة وخفة اليد ، او نتيجة تدريبات رياضية علاجية كشراب حبوب مسمومة في اليوم مرات ، والطفرة الى الاسفل من اعالي السطوح العاليات ، او نتيجة رياضات نفسية بالجوع والمطش والسهر كادراك بعض اسرار خفية من بعض الاشخاص ، على انها ظنون وأوهام تتخلف كثيرا ، كما علم بالتجارب القطعية ، او اثر دعاء صالح دعاء لبعض الناس لرعاية مصالح دينية مهمة في بعض الاوقات ، فاستمرار اثر ذلك فيهم كرامة لذلك الداعي ، ولكل صالح مطبق لتلك المصالح ، واستدراج لغيرهما من الناس غير المراعين لاحكام الدين المبين ، وذلك لان الكرامة فرع معجزة الرسول ، فهي من باب الامدادات الربانية والفيوضات الرحمانية ، والانوار الروحية الناشئة من صميم الاسلام والمتابعة لسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

واما صحبه الصالحين المتقين الصادقين

فعلينا ادلة قاطعة من الكتاب والسنة . اما الكتاب فكقوله تعالى (واسبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا) (١) .

في هذه الآية الشريفة امر الله سبحانه وتعالى حبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم ، بتثبيت نفسه الشريفة الكريمة مع المؤمنين الذين يدعون ربهم في طرقي النهار ابتغاء مرضاه ، وينهاه عن امالة عينه الى من سواهم من الذين يريدون الدنيا وشهواته ، ثم ينهاء عن مطاوعة الذين غفلوا عن ذكر الله واتبعوا هواهم وخالف امرهم وحالهم دين الله سبحانه وتعالى ، وذلك لان في المصاهرة والمجالسة معهم تعاوننا في الدين وتنورا للقلب لي مدارج علاه ، وان في المجالسة مع اهل الكفر والفسوق اعراضا عن عبادة الله وادام حقوقه ، فمجالسة الاولين عبادة وسعادة ، ومجالسة الآخرين بعد عن الله وشقاوة ، ولا يرضى احد باستبدال السعادة بالشقاوة ، والقرب من الله تعالى بالبعد عنه ، وقد ثبت بالادلة القطعية ان من جالس اهل الخير ينال خيرا ، ومن جالس اهل الشر ينال شرا ، ولذلك يحث الله تعالى عباده بقوله (يا ايها الذين

آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (٢) ويستفاد من هذه الآية الكريمة ان الكينونة مع الصادقين وصحبتهم وسحبتهم ، يورث القلب استقامة على الحق وسلامة عن الباطل ، وكأنها تكون وسيلة لتركيز التقوى ، فكانه سبحانه وتعالى قال : يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وان لم تعلموا حصول التقوى من اي جهة ، فاعلموا انه بالصحبة مع الصادقين . وان الانسان اذا جالس أهل الخير وأهل العلم استفاد منهم الخير والعلم ، وذلك مدلول قوله تعالى (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا) (٣) بل هذه الآية تدل بجلال على ان اتباع الناس لأهل الصلاح لنيل ما عندهم من العلم ، والاحوال ، والصفات الحسنة ، وتعليم ذلك الصالح صاحبه احوال أهل الخير ، وكيفية استفادتها مطلوب ، ومرغوب ، حتى للانبياء والمرسلين .

وأما من السنة فما روى عن ابي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا منتنة » (٤) متفق عليه .

(٢) سورة التوبة الآية ١١٩

(٣) سورة الكهف الآية ٦٧

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع . القسطلاني ٢٩/٤
وكرره في كتاب الدبائح . القسطلاني ٢٩٢/٨ . ومسلم في كتاب البر .
شرح النووي في حاشي القسطلاني ٥٨/١٠ .

والحاصل ان صاحب يأخذ من صاحبه بالمصاحبة
 والمحبة في مدة يسيرة ، ما لا يستفيد بهجده وحده في ازمة
 كثيرة ، حتى ان صاحب يكتسب دين صاحبه ودينه ، وعليه
 ما روى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : الرجل
 على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ،^(٥) رواء ابو داود
 والترمذي بسند صحيح ، وقال الترمذي حديث حسن ولما
 اكتسب بصحبته آدابه واخلاقه ودينه ودينه يكون قرينا له
 في الآخرة ، وعليه قال صلى الله عليه وسلم : المرمع مع مسن
 احب^(٦) وفي رواية قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
 الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال : المرمع مع من احب ،^(٧)

الزيارة

واذا حصلت الصحبة والمحبة بين شخصين وتحابا في الله
 وتصابيا ، فان كانا يعيشان معا فذلك ظاهر ، وان اقتضى
 الوضع ان يتفارقا فليزر أحدهما الآخر .

فمن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
 وسلم : ان رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى

(٥) رواء الترمذي رقم ٢٤٨٤ طبعة القاهرة . وقال حديث حسن
 وابو داود في كتاب الادب من سننه ٥٥٩/٢ ، وأورد ابن الجوزي في
 الموضوعات ، لكن الزركشي رد عليه بقوله : أخطأ ابن الجوزي فذكره في
 الموضوعات ، والقول ما قاله الترمذي . انظر الألفبـ المستنيرة في الاحاديث
 المستنيرة للزركشي ، مخطوط .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الادب عن أبي موسى . انظر
 الصحيح ٤٩/٨ .

على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال أين تريد ؟ قال : أريد
أخا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟
قال : لا غير أني أحببته في الله تعالى قال فأنى رسول الله اليك
بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه ،^(١) رواء مسلم .

ومن هنا ثبت أن زيارة الاحباب الصالحين بعضهم بعضا
مستحبة ، سواء كان في قرية واحدة أو في قريتين ، وإذا توقف
عليها فهم حكم من احكام الدين ولا يمكن فهمه من غيره ، أو
دفع رذيلة نفسية من الرذائل المهلكة كالحقد والحسد ، وجبت
تلك الزيارة ، لأن ما يتوقف عليه الواجب واجب قطعاً ، فإن
تركية النفس عن الرذائل والاسراض النفسية توجب الفلاح
والخلاص ، كما قال تعالى (قد افلح من زكاها . وقد خاب
من دساها)^(٢) وقد جرب ان مجاورة أولئك الاصفياء دواء
لادواء القلوب .

وسقط قول من منع زيارة الناس للصالحين بحجة لا تشد الرحال
الا الى ثلاثة مساجد . . . الحديث ،^(٣) لأنه مبني على حسد
الرحال لاداء الصلاة في المسجد ، كما روى ذكر الصلاة في
بعض الاحاديث الشريفة ، لا لزيارة المسلمين بعض العارفين
لاخذ آدابهم والتعلم منهم والانتطباع والتخلق بما عندهم من

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر عن أبي هريرة . شرح النووي
في حاشي السطواني ٤٦١/٩ .

(٢) سورة الشمس الآية ٩-١٠

(٣) سبق تخريجه في ص ٩٤ .

الأداب والفضائل ، والا لا نسد باب كسب المعارف الدينية بصنوف الفقه ، والمقاييد ، والحكمة ، والعربية وغيرها كما هو معلوم .

وان مما يرشد المسترشدين الى الحق لزوم اتباع طلاب العلوم النافعة الدائمة لامراض القلوب وجبالا اصفياء ، اتقياء ، يداوون اسقام القلوب بالانوار والارشاد السليم الى طريق التزكية ، لزوم مداوي المرضى بالاسقام البدنية عند الاطبياء الحاذقين ، فان الدين روح الحياة للانسان وثمرتها ، وزكام النفس وطبيها ، وخلوصها من العلل المانعة عن الوصول الى الله هو روح الدين . والانسان اذا مات بالامراض البدنية لا يفوته الا تمتعات مادية مؤقتة ، واذا مات بالامراض الروحية تفوته السعادة الابدية ، وتنبو عنها الشقاوة السرمدية و لعمياذ بالله تعالى . وجوب مداوي امراض النفس واتباع الصالحين مما لا يشك فيه عاقل ، فان تزكية النفس واجبة ، وكل ما يتوقف عليه هذا الواجب واجب .

لا يقال : ان اتباع الشرع الشريف كاف عن كل شيء ، لان فيه ما يحتاج اليه الانسان في السعادة ، فلا حاجة الى شيء آخر ، لأنا نقول : نحن لا نخالفك قطعا ، ولكننا نقول : قد تركت انت اتباع الشرع ، لان الشرع يأمر بالعبادة والاخلاص والعبادة تستفاد من التعليمات الدينية . واما الاخلاص للنية التي عليها المدار ، لا يمكن الا بالتخلق بالاخلاق الحميدة ، وهذه الصفة لا يمكن عادة وجودها ، الا بمحبة الدين ، وأهل الدين ، وصحبته ، ومحبتهم ، والاخذ بأدائهم

الدينية الاستفادة من مجاورة الرسول صلى الله عليه وسلم ،
ولذلك يقول سبحانه وتعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين) (٤) .

الا ترى قوله سبحانه وتعالى حكاية عن سيدنا موسى
عند مكالمته مع العبد الصالح عليهما الصلاة والسلام (هل
اتيتك على ان تعلمني مما علمت رشداً) وجوابه بقوله
(انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به
خيرا) (٥) ألم تعلم ان ذلك العبد كان محبوبا لدين الله ، وقد
علمه من العلوم اللدنية .

وهنا يتبين لك الحق لانه ان كان العبد الصالح نبيا ،
فمعناه جواز ان يتعلم الرسول من النبي بمسئ العلوم
المختصة ، وان كان وليا من اوليائه تعالى فيكون الحق اوضح
لانه اذا قرر اتباع الرسول مع كونه اعظم قدراً عند الله لولي
من الاولياء لمعرفة واستفادة بعض الاسرار التي خصه الله
بها ، فوجود الاستفادة بل وجوبها من اتباع العامة للخواص
من العلماء والاولياء يكون اوضح ، وهذه القضية وان كانت
في شريعة سابقة على شرعنا ، لكنها حكماها الله في مقام التقرير
والارتضاء ، ووفور قدرته تعالى في اختصاص من شاء بما
شام .

فبالخلاصة في المقام ان الدين الخالص الذي حصره الله تعالى في الاختصاص به وقال (ألا لله الدين الخالص)^(٦) لا يمكن الا باتباع ما جاء به الرسول بأصوله وفروعه ، ولا يتحقق ذلك ، الا بارتكاز العقيدة السليمة في القلوب ، ومباشرة الاعمال الصالحة ، وسجانية الاعمال السيئة ، والاخلاص في ذلك ، والاعتقاد يؤخذ من تعليم العقائيد ، والاعمال تستفاد من تعليم الفقه ، واما الاخلاص فلا سبيل اليه الا بفضل من الله ، وموهبة خالصة ، وتوفيق لصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته ، والانطباع بأحواله ، وذلك في الصدر الاول ، وبصحبة ومحنة أولئك الاصحاب المجاورين المحبين في الطبقة الثانية ، وهكذا الى ان ينتهي الزمان ويحصل الامان .

زيارة الصالحين بعد وفاتهم

رحمهم الله تعالى

وأما زيارة الموتى من الصالحين الكرام ، فممنوعة من زيارة
مطلق الاموات ، ولها وجوه واصناف :

فمنها زيارة الميت كائنا من كان ، وهذه مأمور بها
وسرغوب فيها ، لتذكر الآخرة ، والتفكير في هازم اللذات ،
والعبرة بأحوال من ولد ومات ، قال صلى الله عليه وسلم
« كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم
الآخرة » ^(١) رواء مسلم وفي رواية « فمن أراد ان يزور القبور
فليزر فانها تذكركم بالآخرة »

صدر النهي عن زيارة القبور في صدر الاسلام ، لقسرب
عهد الناس بالجاهلية ، ولما تمهدت القواعد واتضعت الاحكام
وعلموا ما ينفع وما يضر ، نسخ الرسول صلى الله عليه وسلم
ذلك النهي بالامر بها . والقاعدة الاصولية المقررة ان الامر
بعد الحظر للإباحة ، على انه اعتضد بتكرر زيارته صلى الله
عليه وسلم للاموات ، ولذلك اتفق العلماء قبل ظهور البدع
والاهواء ، على ندب الزيارة للرجال في قبور المسلمين ، وان
يلوا لبقاء علاقة الروح بمحل القبر دائما .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله

عليه وسلم يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجتلون ، وأنا ان شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد » (٢) رواه مسلم .

وعن بريدة رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر ان يقول قائلهم « السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وأنا ان شاء الله بكم لاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العافية » (٣) رواه مسلم .

ومنها الزيارة لادام حق نحو والد وذلك أكد لخبر ابي نعيم « من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة كان كحجة » ولفظ رواية البيهقي « غفر له وكتب له برائة » (٤)

واما لنحو حق صداقة ومعارفة ، فذلك أيضا مندوب لما ثبت انه لما مات عثمان بن مظعون ودفن حضر دفنه صلى الله عليه وسلم ، وأتى بحجر وضعه موضع رأسه ، ولما سئل عن ذلك اجاب صلى الله عليه وسلم بقوله « اتعلم بها قبر أخي عثمان » (٥) ومعلوم انه اراد ان يظهر القبر له اذا زاره في

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز . انظر شرح النووي لشيخنا القسطلاني (٣٠٦/٤)

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز عن سليمان بن بريدة . انظر شرح النووي في حاشي القسطلاني (٣١٢/٤)

(٤) رواه الحافظ البيهقي بلفظ « من زار قبر ابيه كل جمعة غفر له وكتب برا » قال : رواه الطبراني وفيه عبدالكريم أبو امية وهو ضعيف . انظر مجمع الزوائد (١٠٠-٥٩/٣)

(٥) رواه أبو داود عن الطلق . انظر السنن (١٨٩/٢-١٩٠)

المستقبل ، ومن هذا أخذ الناس وضع حجرين على قبر الميت رأسه ، وقدمه للمؤنث ، وثلاثة احجار للمذكر : رأسه ، وقدمه ، ووسطه .

ومنها الزيارة للتبرك ، فيسن لاهل الخير ، لان لهم في برازخهم أنوارا وبركات لا تحصى . أما سيد البشر صلى الله عليه وسلم فقد ذكرنا قبل ما له علاقة به ، وكذلك سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وأما زيارة الاولياء والصالحين والعلماء العاملين ، وعلى رأسهم الصحابة الكرام ، والتابعون ، وتابعوهم من الاخيار ، والشهداء لاعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى . فتدخل في النذب المطلق من حيث ان زيارتهم زيارة الموتى من المسلمين ، وفي النذب المؤكد لما لهم من حقوق التعظيم ، ونشر الديسن ، والتضحية في سبيل الاسلام والمسلمين . وتدخل في نطاق زيارة فاكد ، لان ارواحهم كانت ولا تزال منورة بأنوار الله في الدنيا وفي البرزخ ويوم يقوم الاشهاد ، والارواح المنورة لا تنقطع علاقتها بربها أبد الأبدن . ومذهب جمهور المسلمين ان الارواح خالدة مؤبدة . ومعنى ذلك دوام فيض البركات والانوار عليهم ، فزيارتهم زيادة في الاجر واستفادة من بركات ارواحهم الطاهرة . وقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال « أنس ما يكون الميت في قبره اذا رأى من كان يحبه في الدنيا » (٦) ، وهذا الحديث الشريف يشمل زيارة الاحدقاء

(٦) لم اطلع لهذا الحديث على سند . لكن معناه وارد في عدة احاديث مثل « ما من رجل يمر « الحديث ص ٢٢٨ . وحديث « ما من رجل يزور « الحديث ص ٢٢٩ واحاديث أخرى .

في الدنيا ، وزيارة الاخيار الذين كان الزائر يعرفهم في حياتهم بصورة قطعية ، وغيرهم ممن لم يكن بينهم تعارف ظاهر ، ولكن هناك تعارف روحي بصورة استنباطية ، لان المعارفة الروحية لا تتوقف على المعارفة الظاهرة في عالم الحياة المادية ، وهو معلوم لاهل العلم واليقين .

بيانات وايضاحات

هناك امور ينبغي التمرض لها لزيادة بصيرة المسلمين :

الاول - انه هل للاموات ادراك واطلاع على الزائري وشخصيته وفهم لاحواله ؟

الثاني - هل هناك فائدة تمود على الميت أولا ؟ وعلى الزائر ثانيا ؟

والثالث - انه هل يجوز للزائر التوسل بهم الى الله سبحانه لحصول خير أو دفع شر ؟

فنقول اما الاول - فان كان الميت نبيا من الانبياء (عليهم الصلاة والسلام) فلهم ادراك ، فقد ثبت ان الانبياء احياء في قبورهم ، وان الارض لا تأكل اجسادهم لما روي النسائي عن اوس بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله عز وجل قد حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء ،^(١) عليهم الصلاة والسلام ، واخرجه ابن ماجه في

(١) انظر النسائي (٣/٩٦-٩٦) - رواه احمد في المسند (٨/٤) والحاكم في المستدرک (١/٢٧٨) وابن ماجه عن ابي النرداء رقم ١٦٣٧ وابو داود في كتاب الصلاة من سننه (١/٣٥١)

سنه ايضا . وروى البيهقي في كتاب الانبياء وصححه من حديث انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : « الانبياء احياء في قبورهم يصلون » (٢) . وكذلك رواء ابو يعلى والبخاري وابن عدي واخرج مسلم في باب فضائل موسى عليه السلام من رواية انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مررت على موسى ليلة اُمرى بي عند الكتيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره » (٣) .

وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فاذا أنا مت كانت وفاتي خيرا لكم تعرض علي أعمالكم فان رأيتم خيرا حمدت الله وان رأيتم شرا استغفرت لكم » (٤) . وذلك المرض كل يوم ، وقد عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في هذا الباب مما يدل مجموعها دلالة لا مريية فيها على حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

وكذلك الشهداء فقد ثبت ايضا انهم احياء في قبورهم وان كانت حياتهم دون حياة الانبياء قال تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون » (٥)

(٢) صححه البيهقي في كتاب حياة الانبياء ص ٤٠ وايد الشوكاني في نيل الاوطار (١٠٨/٥)

(٣) أخرجه مسلم في الفضائل . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٢٣١/٩)

(٤) رواء الحافظ الهيثمي عن عبد الله بن مسعود ، وقال : رواء البخاري ورجاله رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد (٢٤/٩)

(٥) سورة البقرة الآية ١٥٤

أي لا تحسون ولا تدركون حالتهم بالمشاعر ، لأنها من أحوال
البرزخ التي لا يطلع عليها ، ولا طريق للعلم بها إلا بالوحي
أو الإلهام . وما كان هذا شأنه لا يتصرف العقل فيه وهو
خارج عن طوره . وجمهور السلف على أن هذه الحياة حياة
حقيقية ، وإنها للروح والجسد ، ولكن الجسد جسد برزخي
لا دنيوي ، ونحن لا ندركها بالعين المجردة في هذه النشأة ،
وإنما ندرك بعين البصيرة لمن شام الله . ومن صرح بهذا
القول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، وعمر بن
عبيد ، وواصل بن عطاء ، والجبائي ، والروماني وجماعة
من المفسرين .

وأما سائر الموتى فأرواحهم في عالم البرزخ مشغولة
بشؤون أخرى غير هذه الشؤون ، وفي عالم آخر مبين لهذا
العالم المحسوس ، مع أن لهم إدراكات متناسبة لمدارجهم
ومعارجهم وعلو طبقات أرواحهم ، ففي كتاب الروح لابن
القيم تحت عنوان فصل أن الموتى يتساملون عن الأحياء
ويعرفون أقوالهم وأفعالهم ، وقد ترجم الحافظ أبو محمد
عبد الحق الأشبيلي على هذا فقال (ذكر ما جاء أن الموتى
يتساملون عن الأحياء ويعرفون أقوالهم وأعمالهم قال : ذكر
أبو عمر بن عبد البر من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال « ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان
يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه »^(٦) وروى هذا من

(٦) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ، وابن عساکر في تاريخ دمشق .
انظر الجامع الصغير (٢/٢٥٥)

حديث أبي هريرة مرفوعا قال : « فان لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام » قال ويروى من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده الا استأنس به حتى يقوم » (٧) .

واحتج الحافظ أبو محمد في هذا الباب بما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من أحد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام » (٨) . وكان صلى الله عليه وسلم يعلمهم ان يقولوا اذا دخلوا المقابر « السلام عليكم أهل الديار » الحديث ، وهذا يدل على ان الميت يعرف سلام من يسلم عليه ، ودعاء من يدعو له ، وصح عن عمرو بن دينار انه قال « ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وانهم ينسلونه ويكفنونونه وانه لينظر اليهم » (٩) .

واما استشكال اسماع الموتى وسماهم بقوله تعالى (فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا اولوا) (مذهرين) (١٠) ويقول تعالى (وما يستوي الاحياء ولا الاموات

(٧) ذكره ابن أبي الدنيا في القبور ، ورواه ابن أبي عبد البر في التمهيد ، وصححه عبد الحق الاشبيلي . انظر ما قاله الحافظ العراقي في الاحياء (٤/٤٧٥)

(٨) أخرجه أبو داود في سننه (١/٤٧٠) وصححه النووي في الإذكار ورياض الصالحين . انظر دليل القالعين (٧/٢١٧-٢١٨) وأخرجه البيهقي في كتاب حياة الانبياء ص ١٣

(٩) ورواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد بلفظ « ان الميت يعرف من ينسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره » . تخريج احاديث الاحياء (٤/٤٨٢)

(١٠) سورة الروم الآية ٥٢

ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور) (١١)
فمدفون بأمور :

الاول - ان المراد اسماع هيكل الميت بواسطة آلة السمع وذلك مستحيل عادة ، لبطلان احساس الحواس للميت ، فلا يمكن اسماعه الا بقدرته تعالى .

والثاني - ان المراد تسليية الرسول من جهة ان الانسان الذي اصر في حياته على الكفر لا يتأثر بالمواعظ والارشادات التي تأتيه من الرسول فهو كالميت المتجمد المشرف على التمزق والبلى ، وليست اقادة الارشاد بالنسبة اليه في وسعك ، وانما هو في قدرة خالق الكائنات الذي يقدر ان يسمع حتى الجمادات وينطق الحيوانات التي لا نطق لها . وليس المراد بما في الآيتين نفي ادراك ارواح الموتى وسماعهم بالقسوة الروحية ما يلقي اليهم ، لوجود أدلة على ادراك الارواح للأشياء وسماعها للاصوات سماعا ببرزخيا ، مثل ما يرى احد منا وما يسمع في رؤياه كلام من يخاطبه ويناجيه .

والثالث - ان ارشاد الناس وافادتهم بالحقيقة ، واسماع الموتى بعد التحول من قانون الحياة الاعتيادية ، بل كل كائن يكون ، وكل حادث يحدث ، انما هو بخلق الله وقدرته ، وليس لكم الا الكسب الاعتيادي ، وهو لا يفيد انتاج المقصود لولا خلق القادر المعبود . فلا ينبغي ان تتألم بكلامهم وتأثر بسوء الفهامهم ان أنت الا رسول وما على الرسول الا البلاغ

المبين ، فهي من قبيل (انك لا تهدي من احببت) (١٢) (وانك لا تهدي الى صراط مستقيم) (١٣) . وليس المراد بالآيتين واشباههما نفى الادراك عن الارواح ، ونفى السمع البرزخي ، لان ذلك المعنى مخالف لتصوص السنة ، يسدل لهذا ما في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم لاهل قليب بدر « هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا » فقال عمر انكلم الموتى يا رسول الله فقال عليه السلام « والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم لما أقول غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا » (١٤) اي لانهم كانوا مشركين لا يمثلون في الدنيا أوامر الله ورسوله ، فيماذا يردون علي الآن ؟ ولا ريب ان ذلك انما يكون بسمع الارواح ، اذ لو كان بسمع الآلات لكان دون سماع الاحياء ، لان آلاتهم الاحساسية تأثرت وضاعت من حين القتل ، لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « ما أنتم باسمع منهم » . وأما سؤال عمر رضي الله عنه فمبني على ظن ان التكلم للهيكل المخصوص الفائد للحس والحركة كما هو المعروف من الموتى ، فأرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى ان الموجه اليهم الخطاب هم الموتى باعتبار ارواحهم المتعلقة بهم بعد الموت خاصة فهي

(١٢) سورة القصص الآية ٥٦

(١٣) سورة الشورى الآية ٥٢

(١٤) أخرجه مسلم عن انس في عذاب القبر . شرح النووي في حاشي السطواني (٢٢٣/١٠) وأخرجه البخاري عن ابي طلحة وليس فيه « غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا » . انظر السطواني (٢٥٤-٢٥٣/٦)

التي تخاطب وتسمع فتسمع . وما روى مسلم ، ان الميت
ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا ، (١٥) . وما ثبت من سؤال
الملك للميت بعد دفنه ، وما ثبت من النعيم وغيره لهم في
عالم البرزخ .

فظهر مما ذكرنا ان لارواح الاموات ادراكات واطلاعات
بحسب ما لهم من الدرجات ، وان اولياء الله تعالى وهم
المتقون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الاعتقاد
والعمل الصالح ومنهج الخلق المحمدي ، لارواحهم بركات
لانهم تنزل عليهم الملائكة بالبشرى ، وان من زارهم يستفيد
من بركاتهم وانوار ارواحهم ، حيث ان مشاهدتهم فيها
بركات تنبع عن ارواحهم الصافية ، وان من كان في الاماكن
المبروكة بالنية الطيبة ، يستفيد من تلك البركات ، فقد
ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سر
بارض كانت بها امة سابقة متعمدة ، وغضب الله عليهم ،
فامر اصحابه باسراع دوابهم واستعجال الخروج منها بحجة
انها ارض منضوبة .

وروى مسلم في صحيحه في باب التهي عن الدخول على
اهل الحبر الا من يدخل باكيا : روى عن عبدالله بن دينار انه
سمع عبدالله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاصحاب الحبر ، لا تدخلوا على هؤلاء القوم

(١٥) أخرجه مسلم عن انس في كتاب الجنة . انظر شرح النووي
في حاشي القسطلاني (٣٢٢/١٠) . وأخرجه البخاري في باب عذاب القبر .
انظر القسطلاني (٤٦٤-٤٦٣/٢)

المعذيين الا ان تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ان يصيبكم مثل ما اصابهم . (١٦) .

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : مررتا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصابهم . (١٧) ثم زجر فامرع حتى خلفها .

وعن نافع ان عبدالله بن عمر اخبره ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهرقوا ما استقوا ويملفوا الا بسل العجين وأمرهم من البئر التي كانت تردّها الناقة .

وقال النووي في شرح مسلم وفي هذا الحديث فوائد منها النهي عن استعمال مياه بئر الحجر الا بئر الناقة ، ومنها لو عجن منه عجينا لم يأكله بل يملفه الدواب ، ومنها انه يجوز علف الدابة طعاما مع منع الأدمي من أكله ، ومنها مجانية آبار الظالمين والتبرك بآبار الصالحين .

ويستفاد استنباطا دقيقا من قوله سبحانه وتعالى (وتوفنا مع الابرار) استحباب وابتغاء ان يكون المسلم يسمى لوصله الى مجتمع الابرار ليكون وفاته بمقربة منهم

(١٦) و(١٧) الحديث مع الشرح موجود في شرح النووي على صحيح مسلم

وان يمدن في مقابرهم ليجاورهم في البرزخ فان الانسان يستفيد من بركاتهم وانوارهم وجاههم بان يتشفعوا له عند الله بالمغفر والغفران فان لهم جاها ووجها عند تعالى وليس بغير ان قال سبحانه وتعالى في شان موسى (وكان عند الله وجيها) (١٨) .

فاخذ العلماء من هذا بقاعدة دليل العكس ، ان البقاء في المحل المبارك يستوجب الرحمة والبركة ، وذلك على منوال ما قال صلى الله عليه وسلم « وفي بضع احدكم صدقة قالوا : يا رسول الله اياتي احدنا شهوته وله فيها اجر ؟ قال « ارايتم لو وضعها في حرام اكان عليه وزر » فقالوا : نعم . قال : « فكذلك اذا وضعها في حلال كان له اجر » (١٩) فالمحل المبارك والمحل المنصوب محلان متنافران ، فما ثبت في الاول منساق لما ثبت في الآخر . ويشهد بذلك واقع حال المسلم الذي زار الاماكن المقدسة ، والمشاهد المباركة ، واحساسه بالنفحات والبركات ، وقوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) (٢٠) . وان أولياء الله تعالى مشمولون بعنايات ورعايات الهية لهم ولايتابعهم في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا فيدل عليه قوله تعالى « وكان أبوهما

(١٨) سورة الاحزاب الآية ٦٩

(١٩) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة . شرح النووي في حاشي
القسطلاني (٤/٣٧٥-٣٧٧)

(٢٠) سورة الجاثية الآية ٢١

صالحاً) (٢١) في تقرير الامر بالمبد الصالح لاقامة جدار اليتيمين . وأما في الآخرة ، فيبدل عليه قوله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين) (٢٢) . ومعنى هذا سرية أنوار الابرار الى المؤمنين المحبين من جهة علاقة الحب لله رب العالمين .

ولا يقال : ان كل امرئ بما كسب رهين ، فإن هذه الاستفادة . لانا نقول : هذا من باب الفضل ، وارتهان كل شخص بما كسبه من باب العدل ، وباب الفضل مفتوح على صراعيه ، والا لما كان لدعاء الانبياء لاستهم ، ولا لدعاء اللاحقين لمن سبقهم بالايمان فائدة مع ان نفعه منصوص في القرآن الكريم . حتى ان الله سبحانه وتعالى لم يمسذب الكافرين في الدنيا ببركة وجود الرسول وقربه لهم فقال (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) (٢٣) . فكيف بالمؤمنين المحبين .

وان التوسل بهم بالطريق المشروع جائز كما ذكرنا في أوجه التوسل السابقة ، ولا نظر الى كلام المنكر لذلك المخالف لما درج عليه اكثرية الامة المرحومة ، فان ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن . لكنه يجب على المؤمن الزائر رعاية أحكام الدين ، ويجب على ولاية الامر منسج

(٢١) سورة الكهف الآية ٨٢

(٢٢) سورة الطور الآية ٢١

(٢٣) سورة الانفال الآية ٣٣

المحرمات ، كاختلاط النساء بالرجال ، ووضع منهج أسير
سليم لتلك الزيارات لا سيما في الحضرات المقدسة ، كشاهد
الانبياء والمرسلين ، فان الشريعة حاكمة على الناس اجمعين .

القضاء والقدر

الايمان بالقضاء والقدر ، أي الايمان والاعتراف بأن
كل ما وجد ، أو هو موجود الآن ، أو سيوجد ، فهو بقدرته
الله تعالى ، وخلقته وإيجاده وإبداعه من العدم ، حسب إرادته
وعلمه ، كالدورات المدبورة ، والأرواح المكتومة التي أبدعها
من الانتفاء إلى الوجود ، وكالتركيب من الأجزاء الموجودة
شيئا في صورة حادثة لم تكن قبل . فالممكنات بأسرها مسخرة
للأمر الإبداعي المرجح للوجود على العدم ، أو للعدم على
الوجود . فكما أن إيجاد المدوم فعل فاعل قادر ، كذلك
إعدام الموجود . وذلك لانحصار الموجود في الواجب الذي لا
يقبل العدم ، والممكن الذي يقبل الوجود والعدم والأول
فاعل مطلق ، والثاني متفعل مطلق ، ولا مجال للممكن أمام
الواجب من التخلف عن مقتضى القدرة والإرادة قيد شعرة ،
ولذلك يقول سبحانه (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له
كن فيكون)^(١) ، فان هذه الجملة المدهشة كناية عن سرعة
نفوذ القدرة في المقدورات واستحالة تخلفها عنها ، مع العلم
أنه يجوز توجيه الخطاب في جملة (كن) إلى الأمر الحاضر
في علمه تعالى ، ويراد به ظهوره وخروجه من عالم العلم

والصورة العلمية الصرفة الى عالم الاعيان الخارجية التي
تكون مبدءاً للأثار المقصورة .

فالكائنات بأمرها من المحيط والمحاط ، وكل ما دخل
في دائرة الوجود والتميز والانضباط أثر قدرة الفاعل
المختار « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » (٢) .

وقد اتفقت الملل المهدية بالنقل السليم والعقل
المستقيم ، على ان كل ما سوى الله تعالى يخلقه ، ويدخل في
ذلك السموات ونجومها ، والارض وتغومها ، والاجسام
وغيومها ، والصغير والكبير والهواء والاثير ، بما في الارض
من المعادن ، والنبات ، والحيوان ، والانسان ، ذواتها ،
واستعداداتها ، وأفعالها وصفاتها . من الحياة ، والعلم ،
والارادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وسائر
ما يدخل في نطاق التصوير ، سواء وقع في التعبير أم لم يقع
فيه لضيق التقدير .

ولكن في الحركات والسكنات والآثار النظامية التي تدخل
في نطاق ارادة الانسان وطاقته ، كلام . والذي جاءت به
الشرعة السماوية والعقول المهدية ، هي ايضا يخلقه
وايجاده تعالى ، لكن لها علاقة بالانسان تعبر عنها بالكسب

(٢) اورد الفزالي في الاحياء باب الدعاء عن ابي الدرداء ، وقال
الحافظ العراقي أخرجه الطبراني وهو ضعيف . انظر الاحياء
(١/٢٨٣-٢٨٤) . وذكره الخياطي في حاشيته على شرح العقائد النسفية
للتفازاني في مبحث الافعال . انظر شروح العقائد (١/٦٤٨) مطبعة
الكرديستان العلمية .

والاكتساب ، أو بالفعل ، أو بالعمل النظامي الإرادي ويدل على ذلك دليل النقل ودليل العقل . أما دليل النقل فهو كقوله تعالى (له مقاليد السموات والارض)^(٣) ، وقوله (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل)^(٤) ، وقوله (والله خلقكم وما تعملون)^(٥) . الآيات تدل على انها بخلقه تعالى .

وقوله تعالى (جزاء بما كانوا يعملون)^(٦) وقوله تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)^(٧) وقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)^(٨) وكقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)^(٩) .

وانه لو لم يكن للعباد كسب وعمل ارادي يدخل في نطاق علمه وارادته وتصرفاته ، ما كان يرسل الرسل اليهم ، وما كان يشرع الاحكام عليهم .

وأما الدليل العقلي ، فهو ان الانسان يعلم علما قطعيا ان هذا الكون البديع ليس الا اثر فاعل كامل مبدع ، وان وجود نفسه وشخصه وصفاته اثر الفاعل ، وليس له دخل

(٣) سورة الزمر الآية ٦٣

(٤) سورة الزمر الآية ٦٢

(٥) سورة الصافات الآية ٩٦

(٦) سورة الاحقاف الآية ١٤

(٧) سورة البقرة الآية ٢٨٦

(٨) سورة الزلزلة الآية ٧

(٩) سورة البقرة الآية ٢٨٦

فيه ، والا كان يختار لنفسه ما يحبه ويمجبه ويعجب العالم ممن
الصفات الكمالية والاحوال البهية والمناقب السنية ، كما
يعلم علما قطعيا ان تلك الافعال التي يباشرها لا يعلم
تفصيلها وكمية اجزائها وحركات العضلات في تحصيلها ،
فهذه الملاحظات تدل على أن خالقها هو الله سبحانه . كما ان
عنده علما ضروريا بأنه ليس منقطع العلاقة عن أعماله
وأفعاله ، فانه يفرق بالبديهة بين حركاته ورعشاته اذا جاء
الخوف المفزع او المرض المزعج ، وبين حركاته الاصطناعية
في الرياضة والمشي والركض وراء ما يقصده ويرغب فيه ،
او عما يخافه ويهرب عنه .

وانه لو لم يكن للانسان علاقة واقعية ، لما سعى البشر
منذ خلق في التطور من حال الى حال ومن سيء الى حسن ومن
حسن الى أحسن ، ولما انشئت المدارس للتربية والتعليم . وما
كان ينتقل الانسان في بساط الارض طالبا حصول علم يهديه
الى السعادة وينجيه من الشقاوة ، ولما جاء على أحد لوم
وتوبيخ في أي عمل اجرامي ، وأي دناءة نفسية وقبذارة
شخصية ، وما ورد عليه مدح وثناء في أي عمل رشيد واخترع
وابداع ومقاومة للمفاسد وهداية للرشاد . وخلاصة كل
تلك الادلة العقلية والعقلية هي ان الكائنات جميعها بخلق
الله تعالى ، وان للانسان علاقة في أفعاله الايجابية والسلبية ،
وان الانسان مخير وليس مسيرا .

واما هذه العلاقة التي بها يكون الانسان مخيرا ، فهي
انه لا شك ان الانسان ليس جامدا كالمعادن فقط ، ولا ناميا

كالنباتات فقط ، ولا حساسا كالحيوانات المعجم فقط ، وانما هو كائن نام حساس ناطق ، أي انه عاقل له قسوة ادراك الكليات العقلية والجزئيات الحسية ، وانه يعلمه يميز بين المنافع والمضار ، وبارادته يخصص ما يرى فيه المصلحة ويرجحه على ما لا يرى المصلحة فيه وينبثق من علمه وارادته نشاط ومد اعصاب الى تنجيز ما تعلق به العلم والارادة ويتصمم عزمه عليه ، فيخلق الله سبحانه وتعالى ما علمه واراده وصمم العزم عليه . وان شئت فقل ان الكسب هو تصميمك العزم وارادتك الجزئية المتوجهة نحو المراد التي هي شرط عادي لخلق الله تعالى له ، فالتصميم والارادة الجزئية منك والخلق لله تعالى ، والدليل على الاول قوله تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وعلى الثاني قوله تعالى (الله خالق كل شيء) وقوله (والله خلقكم وما تعملون) .

فان قلت : هذا كلام مفهوم ولكن هناك ما يعارضه ، حيث دل الدليل على ان كل عمل لكل عامل سبق في علمه تعالى وتعلقت به ارادته ، وعلمه لا يتبدل وارادته لا تتحول ، فقد روى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه بسند صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال : السعيد من سجد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه . (١٠) .

(١٠) أخرجه البزار بسند صحيح عن ابي هريرة ، كما قاله الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٧/٧)

وما روى عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال
 « ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما نطفة ، ثم
 يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث
 الله اليه ملكا ، ويؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله
 ورزقه واجله وشقي او سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فان
 الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها
 الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار
 فيدخل النار - وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما
 يكون بينه وبينها الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل
 بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة » (١١) .

وان هذا الحديث الشريف حديث عظيم الفوائد، وانكار
 عمرو بن عبيد من زهاد القدرية له من ترهاته وخرافاته^(٢) ،
 وقول الخطيب الحافظ هو والله الذي لا اله الا هو من كلام ابن

(١١) أخرجه البخاري في باب القدر - النظر السلطاني
 (٣٤٣-٣٤٦) ، وكرره في كتاب التوحيد باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
 المرسلين

(٢) راجع تاريخ بغداد للخطيب (١٢/١٦٦ - ١٨٨) نسري
 تفصيل ذلك -

مسموع ، متقبوه ، أي ردوه عليه باثبات استناده الى الرسول
صلى الله عليه وسلم .

قلنا : ان ما قلت أمر صحيح ومسلم ولكنه لا يخالف ولا
يعارض ما قررنا ، لان علمه سبحانه وتعالى شامل أزلا وأبدا
لكل عمل ولكل عامل، ولكل تصميم وتوجيه يحصل منه، وإرادته
تعالى تابعة لعلمه ، ولا ينكر أحد ذلك (ألا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير)^(١٢) وقد صح ، ان ما شاء الله كان وما لم
يشاء لم يكن^(١٣) . لكن العلم كشف أزلا ما انت تعمله باختيارك
وإرادتك ، وإرادته تعلقت به حسب علمه بذلك ، فالعلم
ليس مجبرا ، وإنما هو مظهر ، والإرادة منه تعالى تابعة
لعلمه الكشاف ، وليس أمرا اخباريا يوجب عليك الأمر
بالقهر والاعتساف .

فمثل علمه سبحانه وتعالى كمثل مرآة واسعة أمام شخص
ينظر فيها ويرى فيها صورة من يمر في مقابلها ، مع ان ذلك

(١٢) سورة الملك الآية ١٤

(١٣) سبق تخريجه في ص ٢٢٧

الشخص لم يأسر أحداً بالمرور ، ولم يجبر أحداً على العبور
فالعلم ثابت وحاك ، والمعلوم محكى ، والعلم يظهر أنك
ستفعل ذلك بإرادتك وتوجهك .

وهذا أمر جلي واضح ، وكل من خرج عنه وقع في
تناقض مع نفسه وخرج .

فانه كما سبق علمه بأعمالك وتصرفاتك ، سبق علمه
بمرضك وتداويك ، أو عدم تداويك ، فهل تقول : لا فائدة
في التداوي ، فانه سبق في العلم ماذا يكون ؟ وسبق علمه
بمدة حياتك ومعيشة نفسك وعائلتك المرفهة أو المضيقة ،
فهل تقول : لا فائدة في السعي والجهد حول تحصيل النفقة ،
فانه مضى في علمه حياتي ومعيشتي ومعيشة عائلتي ، ولا
فائدة في الركض حول ذلك ؟ وإذا قتل شخص شخصا ، فقد
سبق في علمه ذلك ، فهل تقول انه سبق علمه بالجناية ومآلها
فلا معنى للقصاص وأخذ الدية وغير ذلك ؟

نعم كل ذلك سبق في علمه . وسبق في علمه مباشرتنا
لأسباب المرادات على اختلاف أنواعها ، أو عدم مباشرتنا لها .
وكسلنا عن إدام الواجب من جانبنا ، ولا شبهة ان العلم في
كل ذلك قد كشف ما يكون على حسب اختيارنا وإرادتنا .

وعلى ذلك تعني قاعدة (ان الصدقة تدفع البلاء
وتزيد العمر) (*) أي ان الله قرر ان يكون عمر فلان أربعين

(*) وردت احاديث كثيرة تدل على ان الصدقة والدعاء لها تأثير
مباشر في اسعاد الانسان وطول عمره منها ما رواه الطبراني عن رافع بن

سنة اذا كان عاق لوالديه وقاطعا لارحام من ينتمي اليه ، وان ينزل عليه بلايا اذا يغل بأداء واجب وجب عليه ، وان يكون عمره سبعين سنة اذا كان بارا بالوالدين ، وواصلا لارحام الاقربين ، وسخيا في اداء الواجب وصرف الخيرات على الفقراء والموزين ، ويعلم انك من أي الفريقين في اختيارك وتصرفاتك ، فاذا قال لك شخص لماذا تتصدق على المحتاجين أو لماذا تصل ارحامك فانك لا تصل الى خير وراء ذلك فلا

خديج ، الصدقة تسد سبعين بابا من سوء ، - وروى القصاصي عن ابي هريرة ، الصدقة تمنع مئة سوء ، - وروى الخطيب في تاريخ بغداد عن انس ، الصدقة تمنع سبعين نوعا من البلاء أهمها الجسدان والبرص ، - وروى ابو نعيم في الحلية عن علي ، الصدقة على وجهها ، واضطجاع المعروف ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، تحول الشقاء سعادة ، وتزيد العمر ، وتقي مصارح (سوء) وروى الديلمي في مسند الفردوس عن انس ، الصدقات بالتدول يذهب بالعمائم ، - انظر فيض القدير (١/٢٢٦-٢٢٧) .

وقد روى ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول : اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعادة فابتنني فيها ، وان كنت كتبتني في أهل الشقاوة والذنب فامحنني وابتنني في أهل السعادة والخبرة ، فانك تعلم ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، وكذلك روى عن ابن مسعود مثله . انظر تفسير القرطبي (٩/٣٣٠) وتفسير ابن كثير (٢/٥١٩) .

وروى ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، لا يزيد في العمر الا البر ، ولا يرد القدر الا الدعاء ، وان الرجل يحرم الرزق بالذنب يصيبه ، السنن كتاب القن رقم الحديث ٤٠٢٢ . ورواه النسائي ايضا .

وهذه الاحاديث وان كان كلها ضعيفا من حيث السند ، لكن معناه صحيح لان هذا المعنى وارد في القرآن وفي احاديث صحيحة منها ما رواه البخاري ومسلم عن انس ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، من أحب ان يبسط له في رزقه وينسا له في أثره فليصل رحمه ، وفي حديث آخر ، من سره ان يبسط له في رزقه وان ينسا له في أثره فليصل رحمه ، أخرجه في كتاب الادب . انظر فتح الباري (١٠/٣٤٨) وأخرجه مسلم في

تضيق مالك • فجوابه انه جاهل بسنة الله في الكون فحقه
ان لا يفصل بدنه حتى من الاوساخ ، لانه سبق في علمه كل
ما يجري على جسده فيموت في لباد من الاقدار ويقذف في قعر
البحار •

فنحن نمضي على نظام الازادة والاختيار ، والله هو
الفاعل العليم القادر المختار ، والجهلة يظنون من أن القضاء
والقدر لا يتغير ، وان لا فائدة في حركاتنا وسكناتنا • ولا
يعلمون ان الفراز من الوباء قضاء ، وان الصيانة بالمعدات
الحربية قضاء ، وان الرعاية في اداء الامانة قضاء ، فواجبنا

كتاب الادب انظر شرح النووي في جامع القسطلاني (١٤٠/٩) •
وما رواء الحاكم في المستدرك ، والترمذي عن سلمان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ، لا يرد القضاء الا الدعاء ، ولا يزيد في العمر
الا البر • انظر سنن الترمذي باب القدر رقم الحديث ٢٢٢٥ •
ويؤيد معنى الاحاديث قوله تعالى (يصور الله ما يشاء ويثبت وعنده ام
الكتاب) [الرعد-٣٩] وقوله تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره
الا في كتاب) [فاطر-١١] وعلى ضوء ما ذكرنا لك تجد ان كلام الاستاذ هنا
في غاية الوضوح من حيث الالفاظ والمعاني ، وفي منتهى القوة من حيث
الدليل والبرهان ، وما جعله قاعدة فهي بحق قاعدة شرعية لانها مؤسسة
على الكتاب والسنة ، غير ان هذه القاعدة ليست مجمعا عليها ، فقد رفض
بعض العلماء تلك القاعدة ويؤولون الآيات والاحاديث ، بان المراد بزيادة
العمر الثناء الحسن والذكر الجميل بعد الموت حيث ورد في المثل (العقل أحد
الجباليين والذكر الحسن أحد المرين) أو التفسير يكون بالنسبة الى ما
اقتضته الملائكة في صحيفتهم ، فقد تثبت الملائكة الاجل فيها مطلقا ، لكن في
علم الله مفيد ، ثم يؤل الاجل الى موجب علم الله ، وذلك لقوله تعالى
(اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) [يونس - ١٩] •
لانه يعرف من الازل ان هذا الاسنان يعمل الاحسان والخير أو يعمل
الشر بعلمه تعالى يقين •

أن نمشي على طريقة تنكشف من سلوكها قضاء يعود علينا
بالمنفعة والسعادة في الدارين .

ولم يكن في تأريخ الرسل رسول أفضل من سيد الرسل
محمد صلى الله عليه ، وأوثق بربه تعالى ، وأقوى توكلًا
عليه ، مع أنه يمر الأيام والليالي ، وهو مستمر في الجهاد
والكفاح والارشاد والإصلاح ، وأعداد العدد والسلاح ،
بالإضافة إلى ما يقوم به من صيامه بالنهار وقيامه بالليل ،
ومن أذكاره وأوراده وقراءته للقرآن الكريم ، واستمادته
بآله من الشيطان الرجيم ، وكل ذلك على أي جهة من الجهات،
كانت ولن تزال معلومة لله سبحانه وتعالى . والموفق يدري
أنه مكلف ويدري أنه لولا طاقة منه ما كلفه الله فيمصل
ويستمر على أمر الله ، حتى يفوز بسعادة الدارين . (ربنا
أتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً) (*) .

الأجل

ومن نور الإسلام الإيمان بأن الأجل واحد ، فإذا مات
رضيع بلغغ عقرب ، أو مات شيخ هرم في فراشه ، فقد مات
بأجله . وإذا قتل رجل في ساحة الحرب ، أو برمي ظالم ، أو
مات شاب في جو ملثم ، فقد مات بأجله ،

ذلك لأن الأجل بمعنى آخر زمان الحياة : عبارة عن أن
علم الله تعالى انتهاء حياة الشخص فيه ، سواء تعلق علمه

تعالى بأن ذلك الانتهاء يكون شيئا اعتياديا ، أو يكون بمعارض
غير اعتيادي .

وأما قول الفلاسفة بأن الاجل اعلان : أجل طبيعي ،
وهو عبارة عن وقف انطفاء الحرارة العريزية للحى ، بسبب
انتهاء الطاقات ، وقابلية الحياة في ذلك الشخص ، وأجل
انخراسي ، وهو عبارة عن انتهاء حياته . بسبب عارض .
فهو شيء غير مقبول ، لانا لا ننكر أن لاجزاء البدن طاقات ،
ولا ننكر المارضة للبلوى والآفات ، ولكننا نقول : ان علم الله
سبق بانتهائه في ذلك الحين ، فلا يبقى للتخيلات والفرضية
سجال ، فهو مثل أن يقول قائل : لو درس فلان في مدرسة
عالية الى ان يتجاوز المراحل كلها ، لصار دكتورا كبيرا ، ولو
امتنع عن الدراسة لكان أميا جاهلا ، ولكن تحقق الامر
الثاني في الواقع فواقعه أنه أمي لا غير .

ومثل قول الفلاسفة ، قول الكمبي القائل : بتعدد الاجل
على وزان ما ذكرناه عن الفلاسفة . وأما قول جمهور
المعتزلة : أن الاجل واحد ، ولكن قد يتطوع عنه الاجل ولا
يموت بأجله ، بل يقتل قاتل ، فلا معنى له قطعا ، لان الله
إذا قرر ان يكون أجله بعد انقضاء مائة سنة ، فكيف يمكن
لاحد ان يمنع ما قدره الله لحياته ؟ وانما قرر ان ينتهي
بقتل القاتل وهذا الرأي أيضا مأخوذ من نظرية الفلاسفة ،
وجواز امتداد الحياة لو لم يمنع عنها مانع . ونحن نقول
بهذا الجواز ولكنه لا يفيد ، لانه لما علم الله تعالى بطلان حياته
في ذلك الوقت يقتل القاتل فلا يبقى معنى لاجل آخر ، ولقطع
ذلك الاجل عليه .

فان قلت : فاذا كان الاجل هو الوقت الذي علم الله بطلان الحياة فيه ، ولا يقبل التغير مطلقا ، فما معنى خوفنا من الحرق ، والغرق ، والحرب ، والضرب ، وغير ذلك ؟ قلنا : وجه الخوف هو اننا لا نعلم الغيب ، ولا نعلم بكيفية تعلق علمه بحياتنا ، ولعله تعلق بانتهاء الحياة بسبب النار ، او بسبب الوقوع في البحر ، او بسيف محارب ، او بضربة ضارب ، وكل ذلك مجهول لنا ، ومن ناحية اخرى جرت السنة الالهية ، بان النار محرقة ، وان الماء مغرق ، وان الضرب مؤلم ، والسيف معدم ، فلنا مجال للخوف منها والابتماد عنها بقدر الامكان حفظا للنظام ، مع ان الاجل محتوم والقضاء مبرم معلوم -

الله هو الهادي

ومن نور الاسلام الايمان بان الله سبحانه وتعالى هو الهادي وهو المصل ، اي انه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء -

ونقصد بالهداية والضلال هنا الوصول الى المطلوب الخير ، اعني سعادة الدارين وضد ذلك - وما لا شك فيه أن الاهتمام الناتج عن الهداية ، والضلال الناتج عن الاضلال ، وصفان للعبد ، وان لكل منهما اسبابا كسائر الممكنات المحسوسة والمعتولة -

فمن اسباب الاول سماع الحق من المحققين ، والوعظ من الواعظين ، والانقياد لارشاد المرشدين ، والتفكير في آثار

قدرة رب العالمين ، وقاديب النفس ورياضتها ، وكسح
جماها ، وردها عن غيها وشهواتها . وأهم أسبابه صحة
أهل التقوى واليقين ، ومجالسة العارفين ، وتوحيدهم ، وطلب
الدعاء منهم والتأديب بأدابهم ، ومطالمة كتبهم والسلوك على
سبيل سيرتهم . كما أن من أسباب الضلال اخضرار ذلك .

ومما لا شك فيه ان الله تعالى خلق للانسان العقل والحواس
التي يطلع بها على الحقائق والدقائق ، فمن استخدمها في
العلم بالاثنياء كما هي عليه ، والانتفاع بها على الوجه
الصواب ، وأصفى لمن ألقى اليه الدليل الصحيح ، واستمع
القول واتبع أحسنه ، فهو الموفق السعيد في الدارين ، ومن
استخدمها على خلاف ذلك فهو المخدول البعيد فيهما ، فالمخدول
يجب ان يلوم نفسه ، لانه هو الذي ضيع استعداده وحواسه
وعقله واداركه حتى خلق الله له الضلال (وما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون)^(١) .

والموفق يجب ان يحمد ربه على ان آتاه فرصة
استخدامها في الخيرات، ويقول (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما
كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله)^(٢) .

نعم ان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يجعل الناس على
قلب رجل واحد أي يضل الجميع ، أو يهدي الجميع ولو
الكفار والاشرار (ولو شاء لهداكم أجمعين)^(٣) لكنه تعالى

(١) سورة يونس الآية ٤٤

(٢) سورة الاحزاب الآية ٤٣

(٣) سورة النحل الآية ٩

مختار في أفعاله ، ولا عتاب عليه بعد ما أخاض الاستعداد
والقابلية للخير والشر في كل نفس منقوسة ، فإذا زاد على
ذلك بالفضل والكرم ، ووفق هذا للتوجه الى الخير فهو
فضله ورحمته ، وإن لم ينظر الى هذا ولم يحسن اليه فذلك
حكمه وحكمته وهو في كل فعال محمود .

ومما يجب الانتباه له ان استحقاق العبد للجزاء ، وفوزه
بالدرجات نتيجة لمصاهرته وجهده في أداء الواجبات وكف
النفس عن المحرمات ، والا فلو منعه الله سبحانه وتعالى
عن الحرام ، ولم يجعله في محل يتناول حراما لم يبق له مجال
التخلق بالعبودية ، لانه لا يمدح الا على بانه لا ينظر الى
الاجانب ، والاصم بانه لا يستمع اللهويات ، وانما الممدح
للبصير السميع الذي يؤدي الواجب مخلصا وخالصا لوجهه
الكريم ، ويترك الحرام خوفا من عقابه العظيم أو اجلاالا
لعظمته وقدره الجسيم ، وعليه قال تعالى (واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) (١) .
نسأله الفوز من رحمته برضاه يوم لقائه انه أرحم الراحمين .

ومن نور الاسلام الايمان بان الله سبحانه وتعالى مختار في كل ما خلقه ويخلقه ، وخلق له الاشياء مقرون بالعلم الكامل والارادة والقدرة والحكمة ، فلا يجب عنه ولا يجب عليه شيء ، والكائنات تحت ملكه وسيطرته يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، اذا اثناب على الاعمال الصالحة اثناب بفضله ، واذا عاقب عاقب بعدله . يفر لمن يشاء ما شاء سوى الكفر ، فلا يفره ، لانه اخبر بانه (لا يفر ان يشرك به)^(١) . وذلك الغفران ليس مشروطا بالتوبة ، بل له الغفران لذنوب المذنبين ما عدا الكفر ، تاب أم لم يتب . وغفرانه للتائب توبة صحيحة لوعده به . لا للزومه عليه . ولا يستحق أحد الجنة ونعيمها الا بدي بعمله فانه لا يساوي ذلك ، وانما هو فضل واحسان وكرم ورحمة واسعة . ومع ان كل شيء بخلق و ارادته ، لكنه لا يرضى لعباده الكفر والفسوق والعصيان ، ولا يستحبها ، فان الارادة غير الرضا والمحبة ، ألا ترى انك تريد اجابة دعوة بعض الداعين الى بعض الامور ، وتستجيب الدعوة مع انك كاره له غير راض وغير محب . فقد تريد شيئا وتحبه كاكل طعام لذيذ نافع ، وقد تريد ولا تحب كما في اكل الشيء اللذيذ الذي اشار الطبيب الى امتناعك عن اكله ، وقد تحب شيئا ولا تريده كما تحب ان تسافر للحج ولا تريد السفر بالفعل لبعض الموانع .

رؤية الله يوم القيامة

ومن نور الاسلام الايمان بان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بعيون الرأس رؤية واقعية عينية، للدليل عليها من الكتاب والسنة . أما الكتاب فقوله تعالى (وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة)^(٢) ، وأما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام « انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر »^(٣) .

وأما قوله تعالى خطابا لسيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (لن تراني)^(٤) فهو لنفي وقوع الرؤية في الدنيا ، لا لنفي وقوعها في الآخرة ، وذلك لان القوى الدنيوية لا طاقة لها في ازاء تلك الرؤية ، وقوله تعالى (لا تدركه الابصار)^(٥) أي لا تدركه في الدنيا ، أو لا تدركه ادراكا واقيا بالمرئي ، أو لا تدركه أبصار الكفار ، بدليل قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)^(٦) . وأما الاعتراض بأن الرؤية تحتاج الى بعض شرائط لا تتحقق في رؤية الله تعالى ، فمدفوع بانه من باب قياس الغائب على الشاهد ، وذلك قياس فاسد ، فان الله سبحانه حي ، والحياة فينا تحتاج عادة الى بنية ومزاج ، وليست حياته تعالى كذلك ، وهو تعالى عليم ، والعلم فينا يحتاج الى القلب والدماغ

(٢) سورة القيامة الآية ٢٢

(٣) سبق تخريجه بالتفصيل في ص ٢٨

(٤) سورة الاحراف الآية ١٤٢

(٥) سورة ابراهيم الآية ١٠٣

(٦) سورة الطغفئ الآية ١٥

وأشياء أخرى ، وليس علمه تعالى كذلك ، وهو تعالى متكلم والكلام فينا يحتاج الى بعض قوى نفسانية ، وإلى بعض آلات حسية ، والله تعالى برئ من ذلك كله . فالواجب هو الإيمان بما جاء الكتاب والسنة به ، وتفويض حقيقته وكيفيته الى الله العظيم الخبير .

البرزخ

ومن نور الاسلام الإيمان بالنعمة والنعمة البرزخيان ، أي التصديق بأن للميت من حين موته الى بعثه للحشر عذابا ، أو راحة ونعمة من الله سبحانه وتعالى بالنسبة اليه ، فالمكلف بعد الموت سواء كان حريقا أو غريقا ، أو مقبورا ، فهو من أن موته الى وقت البعث والقيامة الموعودة ، إما في راحة ونعمة ، أو في عذاب ونقمة ،

والآيات والاحاديث الصحاح الدالات على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين له أكثر من أن تحصى ، بحيث يبلغ القدر المشترك من الاحاديث حد التواتر، وإن كان كل واحد منها من أخبار الأحاد ، واتفق عليه السلف الصالح قبل ظهور المخالف من أهل البدع والاهواء .

ومن أدلة الكتاب على ذلك قوله تعالى في شأن قوم نوح عليه السلام (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا)^(١) فإن ظاهر الناء في قوله تعالى (فأدخلوا) للتعقيب بدون مهلة ، فيكون معناه الإدخال في النار البرزخي فورا بعد الاغراق .

ومنها قوله تعالى (فوقاء الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)^(٢) .

فإن ظاهر قوله تعالى (النار يعرضون عليها) هو العرض في البرزخ بقرينة قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة أدخلوا) الآية .

ومنها قوله تعالى في شأن حبيب التجار (قيل أدخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني ممن المكرمين)^(٣) فإن ظاهر ذلك تبشيره بالجنة والمغفرة بمسده وفاته مباشرة ، والتبشير من جملة النعمة البرزخية .

ومنها قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)^(٤) قال القرطبي^(٥) في تفسيره : نزلت في عذاب القبر يقال : من ربك فيقول ربي الله ودينه دين محمد ، فذلك قوله : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقد جاء هكذا موقوفا في بعض طرق مسلم عن البراء أنه قوله (أي قول البراء) والصحيح فيه الرفع كما في صحيح مسلم وسنن النسائي وأبي داود وابن

(٢) سورة غافر الآية ٤٦

(٣) سورة يس الآية ٢٦

(٤) سورة إبراهيم الآية ٢٧

(٥) انظر تفسير القرطبي (١/٣٦٣-٣٦٤)

ماجة^(٦) وغيرهم عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم .
 وذكر البخاري حدثنا جعفر بن عمر قال حدثنا شعبة
 عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب
 عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أقعد المؤمن في قبره
 أتاه أت ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذكر
 قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
 وفي الآخرة »^(٧) .

وفي تفسير القرطبي قيل أن سبب نزول هذه الآية ما روى عن
 النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف مسئلة منكر ونكير وما
 يكون من جواب الميت قال عمر يا رسول الله أيكون ممسي
 عني قال « نعم » قال كفيت إذا فأنزل الله عز وجل هذه
 الآية^(٧) .

ومن أدلة السنة ما رواه الشيخان أنه
 صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال « انهما ليعدان
 وما يعدان في كبير - يعني عند الناس - زاد البخاري في
 رواية . بل أنه كبير - يعني عند الله - أما أحدهما فكان
 يمشي بالنعيم ، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول » .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الجنة . انظر شرح النووي في هامش
 القسطلاني (٣٢٢/١٠) . ورواه النسائي . انظر السنن كتاب الجنائز .
 (١٠٦١-١٠٦٢) . ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد . انظر السنن وقسم
 الحديث ٤٢٦٩ . ورواه أبو داود في كتاب السنة . انظر السنن وقسم
 الحديث ٤٧٥٠ .

(٦) انظر القسطلاني باب ما جاء في عذاب القبر (٤٦١/٢)

(٧) انظر تفسير القرطبي (٣٦٢/٩) ، القسطلاني ٣٢٧/٩

وفي رواية « لا يستبرئ » بدل « لا يستتر »^(٨) ومعنى
الرواية الاولى كشف العورة للناس ومعنى الرواية الثانية
عدم اهتمامه بانقطاع قطرات بوله وقيامه من محله وتوضيح
بدنه أو ثوبه .

وما روى انه صلى الله عليه وسلم يقول من جملة ادعيته
الماثورة « اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك
من عذاب النار واعوذ بك من فتنة المحيا والممات واعوذ بك
من فتنة المسيح الدجال »^(٩) وجاءت الاستعاذة من عذاب
القبر في روايات كثيرة .

ومنها ما روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا فزع من
دفن ميت . وقف عليه وقال « استغفروا لاهليكم وسلوا له
التثبيت فانه الآن يسأل »^(١٠) .

ومنها ما رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان احدكم اذا مات
عرض عليه مقعده بالفداة والمشي ان كان من اهل الجنة
فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال
هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة »^(١١) .

(٨) أخرجه البخاري في باب عذاب القبر . انظر القسطلاني (٤٦٧/٢)

(٩) أخرجه البخاري في باب عذاب القبر . انظر القسطلاني (٤٦٦/٢)
وابو داود في كتاب الصلاة من سننه (٣٥٣/١)

(١٠) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز من سننه وفي الحديث
٣٢٢١ دار احياء السنة .

(١١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة . انظر شرح النووي في هامش
القسطلاني (٣١٨/١٠) ، وأخرجه البخاري في باب الميت يعرض عليه . انظر
القسطلاني (٤٦٧/٢)

ومنها ما رواه مسلم ايضا عن ابي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت قال قال ابو سعيد ولم اشهد من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن حدثني زيد بن ثابت قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على يفلة له ونحن معه اذ حادت به فكادت تلقيه واذا اقبر ستة او خمسة او أربعة ، فقال صلى الله عليه وسلم « من يعرف أصحاب هذه الاقبر » فقال رجل انا قال « فمتى مات هؤلاء » قالوا ماتوا في الاشرار فقال « ان هذه الامة تبطل في قبورها فلولا ان لا تداقنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذي اسمع منه » ثم اقبل علينا بوجهه فقال « تعوذوا بالله من عذاب النار » قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، قال « تعوذوا بالله من عذاب القبر » قالوا : نعوذوا بالله من عذاب القبر ، قال « تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن » قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال « تعوذوا بالله من فتنة الدجال » قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال (١٢) .

ومنها ما رواه مسلم ايضا عن انس بن مالك قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم « ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم قال يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل قال : فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال فيقال له : أنظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال

(١٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠/٣٢٠)

نبي الله صلى الله عليه وسلم : فإبراهيم جميعا ، قال قتادة : وذكر لنا انه تفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه .
 خضرا الى يوم يبعثون » (١٣) - ومنها ما رواه مسلم ايضا عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الميت اذا وضع في قبره انه ليسمع خفق نعالهم اذا انصرفوا » (١٤) وفي مسلم ايضا عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا ثم اتاهم فقام عليهم فناداهم فقال « يا ابا جهل بن هشام ، يا أمية بن خلف ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، اليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا » فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون واني يجيبون وقد جفوا ؟ قال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يتدرون ان يجيبوا » ثم أمر بهم فسمعوا فالتفوا في قلب بدر (١٥) .

ومنها ما رواه البيهقي وابن أبي الدنيا عن ابن عمر مرفوعا « التبر حفرة من حفر جهنم او روضة من رياض

(١٣) أخرجه مسلم في باب عرض مقعد الميت . انظر شرح النووي في حاشي القسطلاني (٣٢١/١٠) وأخرج البخاري بعضه في عذاب التبر القسطلاني (٤٦٤/٢)

(١٤) أخرجه مسلم في باب عرض مقعد الميت . انظر شرح النووي في حاشي القسطلاني (٣٢٢/١٠)

(١٥) سبق تخريجه في ص ٢٢١ .

(١٦) وأخرجه الترمذي عن حديث أبي سعيد الخدري ولم الحديث ٢٥٧٨ طبع القاهرة ، وأخرجه السيوطي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في شرح العقائد النسفية . منطوط . وتجده في فيض القدير (٤٤٥/٥)

الجنة ، (١٦) . ومنها ما رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم يموت يوم الجمعة او ليلة الجمعة الا وقاه الله فتنة القبر ، (١٧) .

والصحيح الذي عليه اكثر الائمة ان الثواب والعذاب على مجموع الروح والجسد ، لكن الجسد البرزخي ، لا هذا الجسد المادي المرئي المشهود ، لانه ربما يحرق الانسان فيصير بدنه هباء منبثا ، او يتفتت في القبر ، ومعنى الجسد البرزخي انه يخلق الله تعالى لروح المتنعم او الممتدب جسدا لطيفا كجسد الملائكة التي لا فرق فيه بين المحل الكبير والصغير ، ولا يمنعه مانع ، من قبوله التنعم والتعذب ، وتصور ذلك سهل لمن له الملم بالوحي والرسالة . ومن تأمل عجائب الملكوت والملوكوت ، وغرائب صنعه تعالى ، لم يستنكف عن قبول امثال هذه الاشياء ، فان للنفس نشأت ، وهي في كل نشأة منها تشاهد صوراً تقتضيها تلك النشأة ، فكما انا نشاهد في المنام صوراً لا نشاهدها في اليقظة ، كذلك نشاهد في حال انخلاصنا عن البدن أموراً لم نكن نشاهدها في الحياة ، والى ذلك يشير قول من قال : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا .

فانا نصدق بان القبر يوسع على الميت من اهل السعادة بمقدار ما يعلمه الله تعالى ، وانه يبقى في النعيم الى ما شاء الله . وكذلك نصدق بان الحية مثلا موجودة تلدغ الميت ، ولكننا لا نشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة تلك الامور الملكوتية ، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت

(١٧) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وحسنه . انظر لبيد
الدير السنائي (١١٩/٥)

وليس كلامنا فلسفة وخذاعا عاديا ، وانما هو مبنى على العلم والحقيقة الواقعية ، ألا ترون ان الصعابة رضى الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرائيل على الرسول صلى الله عليه وسلم وما كانوا يشاهدونه ، ويؤمنون بانه صلى الله عليه وسلم يشاهده ، ويجب ان تؤمن كما آمنوا بذلك ، ويؤمنون بنزول الملائكة في واقعة بدر وحنين ، وما كانوا يشاهدونها الى غير ذلك من الامور الغيبية البرزخية . وكذا تؤمن بما روينا من حياة الانبياء في قبورهم ، وليس ذلك مما يدرك بالعيون الجسدية ، ومن يابى ذلك فهل يابى نزول الوحي على الانبياء والمرسلين ؟ وهل يابى نجاة ابراهيم من نار تمرود ، او ولادة عيسى بلا أب ، او تكلمه في المهد ، او صنعه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيرا باذن الله ، او ابرائه الاكبر والابرص باذنه ، او احيائه الموتى ؟ ومن يستغرب ذلك فليعلم أنه على نقص من الادراك، فان العالم فيه نواميس كونية مادية علمية توصل اليها بالعلوم المادية ، وفيه نواميس علمية معنوية غيبية لا يوصل اليها الا بعلم من لدن حكيم عليم خبير يختص به من يشاء . هداانا الله واياكم الى الايمان الكامل بالغيب ، حتى ندخل في حظيرة القدس بتوفيقه انه هو الموفق وهو المعين .

الايمان بالآخرة

ومن نور الاسلام الايمان باليوم الآخر ، أي الايمان والتصديق بفناء هذا العالم المحسوس بسمائه ونجومها ، وبرق الشمس والقمر ، وهزوال هذا الوضع المشاهد من الجبال والالوهاد وغيرها ، وحدث عالم آخر وبعث الموتى من أماكنهم وسوقهم الى صعيد واحد فيسألون ويحاسبون ، ويحكم بينهم بالعدل ، فان كانوا من الكفار فمصيرهم الى النار خالدين ، وان كانوا من المؤمنين العصاة ، فاما يعفى عنهم ويغفر لهم ، واما يكون مصيرهم الى النار بقدر ما عليهم من العقاب ، ثم يخرجون منها الى الجنة خالدين ، وان كانوا من المؤمنين الابرياء ، فأمرهم بدخول الجنة بكرامة وسلامة وخلود أبد الأبدين .

ويعبر عن فناء هذا العالم بالساعة ، وقبل البحث عنها ينبغي البحث عن علاماتها ، فان وقت حلولها غير محدود ، قال تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرسيها فيم أنت من ذكريها الى ربك منتهاها)^(١) ، وقال (ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى)^(٢) فالساعة حق ووقتها غيب ، وحلولها أقرب من كل قريب ، قال تعالى (وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب)^(٣) .

(١) سورة النازعات الآية ٤٢

(٢) سورة طه الآية ١٥

(٣) سورة النحل الآية ٧٧

وعلائم الساعة كثيرة مذكورة في كتب مختصة بالموضوع ،
ونقتصر منها على ما يكتفى به هنا فقد قال صلى الله عليه
وسلم « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون
بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون
كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله ، وحتى
يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن
ويكثر الهرج (وهو القتل) ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض
حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول
الذي يعرضه عليه لا أرب لي به . وحتى يتطاول الناس في
البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول ياليتني مكانه ،
وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورأها الناس
أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من
قبل أو كسبت في إيمانها خيرا » . ولتقوم الساعة وقد نشر
الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقوم
الساعة وقد انصرف الرجل حلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقوم
الساعة وهو يليب حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقوم الساعة
وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها ، (رواه الأربعة) (٤) .

وظاهر فقرات علائم هذا الحديث الشريف الى قوله صلى
الله عليه وسلم وحتى تطلع الشمس تنطبق على ما حدث بعد
وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الى دور تابعي التابعين ولا
بأس فان بعثه صلى الله عليه وسلم من علائم الساعة ايضا

(٤) البخاري كتاب الفتن . انظر القسطلاني (١٠/٢٠٤-٢٠٨)
ومسلم في كتاب الفتن مختصرا شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠/٣٣٩)

فيقول : بعثت انا والساعة كهاتين » (٥) مشيوا الى اصبعين من اصابعه الشريفة .

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم وهو يلبط حوضه الخ ، انه يصلح حوضه بالطين ليسقي منه مواشيه فتقوم الساعة قبل سقيهم .

وعن حذيفة الغفاري رضى الله عنه قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة . قال : انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ، وياجوج وماجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم » (٦) رواء مسلم والترمذي وابو داود . .

وفي هذا الحديث ذكر علائم مهمة تقترب من حلول الساعة كما هو الظاهر من مدلوله . . .

وعن عبدالله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطوف الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا مني أو من أهل بيتي يواطيه اسمه اسمي ،

(٥) أخرجه البخاري في الرقاق . انظر القسطلاني (٢٩٢/٩) .
ومسلم في كتاب الفتن . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٤١٩/١٠).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفتن . انظر النووي في هامش القسطلاني (٣٥٤-٣٥٣/١٠) . ورواه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن رقم (٤٠٤٩) و (٤٠٥٥) . وابو داود . انظر السنن كتاب الملام (٤٤٩/٢).

وسم ابيه اسم ابي يملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا » (٧) رواه ابو داود والترمذي بسند صحيح ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري تواترت الاخبار بأن المهدي من هذه الامة ، وان عيسى عليه السلام سينزل ويصلي خلفه ، وقال الحافظ أيضا الصحيح ان عيسى رفع الى السماء وهو حي . وقال الشوكاني في رسالته المسماة بالتوضيح في تواتر ما جاء في الاحاديث في المهدي والديال والمسيح ، وقد ورد في نزول عيسى عليه السلام تسعة وعشرون حديثا ثم مردها ، وقال بعد ذلك وجميع ما مقتناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع . يعنى ان أفراد الاحاديث وان لم تكن متواترة فقد بلغ المعنى المشترك حد التواتر ، وكفى به شاهدا على المطلوب .

ومن علاماتها ما ذكره صلى الله عليه وسلم في جواب السائل عنها بقوله الكريم « ان تلك الامة ربها (اي سيدتها) ولي رواية ربها (اي سيدها) وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » الحديث (٨) .

والعلماء فسروا الفقرتين بالمعنى المشهور ، واعتقد ان معنى الفقرة الاولى كثرة عقوق البنين والبنات لامهاتهم لقلة تأثير التربية وضعف الحياء وفور الانحراف في البيئـة

(٧) ابو داود ١٠٠٠ طر السنن (٢/٢٦١-٢٦٢)

(٨) الحديث بطوله أخرجه مسلم في كتاب الايمان (٣٦/١) .
 والنووي في الأربعين ، وابن رجب في الأربعين ورواه احمد في المسند (٣٣٣/٤)

والمجتمع ، وتأثر الناس بتقليد الاجانب ، فتختلف احوال
النسل مع الاصل ، فيتجرد الجيل عن الاخلاق الفاضلة والتبذل
والشهادة ، فلا يراعون حقوق الابهام والامهات وصلة الارحام .
ومعنى الفقرة الثانية تطور العالم الى حيث تأخذ البلاد
زخرفها ، وتتزين بما يعجب الناظر ، فاذا تزخرفت وازينت
ترك الناس البوادي والقرى والارياف ودخلوا في البلاد ،
وانخرطوا في سلك المعتزين بالدنيا والمفترين بمتاعها ،
وينخرطون في أنظمة اهلها في مقابل مال وجاء ينالونهم ،
فيبنون دورا راسخة ويشيدون قصورا شامخة ، ويتنافسون
بينهم في الامور الحيوية كما نشاهد في اهل زماننا هذا .

ومن علامات الساعة توسيد الامر الى غير اهل ، عن ابي
هريرة رضى الله تعالى عنه بينما رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحدث القوم جاء اعرابي فقال متى الساعة ؟ فمضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعضهم سمع ما
قال فكروا ما قال ، وقال بعضهم لم نسمع حتى اذا قضى حديثه
قال اين السائل عن الساعة ؟ فقال هذا يا رسول الله ، فقال :
« اذا خيبت الامانة فانتظر الساعة » قال كيف اخسعتها ؟ قال
« اذا وسد الامر الى غير اهل فانتظر الساعة » (٩) .

ولي فيض القدير ، وانما دل على دنو الساعة لافضائه الى
اختلال الامر والنهي ، ووهن الدين ، وضعف الاسلام ، وغلبة
الجهل ، ورفع العلم ، وعجز اهل الحق عن القيام به ونصرته .

(٩) أخرجه البخاري عن أبي هريرة في الرقائق باب رفع الامانة .

والمامل الاقوى في توسيد الامر من الحكم والقضاء والافتاء والتدريس والامامة والخطابة ونحوها الى غير اهلها ، قلة العلم من المولدين والمتولين ، فقد روى عن ابن عمرو بن العاص انه صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسلكوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »^(١٠) ، قال احمد : قال ذلك في حجة الوداع ، وفي الباب عن أبي امامة ايضا وزاد فقال اعرابي : يا نبي الله كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف وقد تعلمنا ما فيها وعلمناها نسامنا وفزارينا وخدمنا فرفع رأسه وهو مغضب فقال : « هذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف لم يصيبوها يتعلموا بحرف مما جاءهم به انبياءهم »^(١١) فأفاد ان يقام الكتب بعد رفع العلم بموت العلماء لا يعني من ليس بعالم شيئا . قال ابن حجر قد اشتهر هذا الحديث من رواية هشام فوقع لنا من روايته اكثر من سبعين نفسا عنه

(١٠) أخرجه مسلم في كتاب العلم . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٠٦/١٠) ، وأخرجه البخاري في كتاب العلم بلفظ « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، الحديث » انظر القسطلاني (١٩٦/١)

(١١) رواه الامام احمد في المسند (٢٦٦/٥) - وذكره ابن حجر في الفتح باختصار . انظر الفتح (١٤٠/١) : ورواه ابن حبان نحوه عن زياد بن ليبيد كتاب الفتن السنن رقم ٤٠٤٨

الزلزلة (والتفخة الاولى)

وأما قيام الساعة ووقوعها بالفعل ، فقد جاءت منصوبة في الكتاب في آيات بينات كثيرة ، وهي آتية سريعة الحصول قال تعالى (وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب)^(١) وقد روينا حديثا شريفا ينص على ان مجيئها مفاجأة عالمية تبغت الناس وهم في معاملاتهم ومكاسبهم الحيوية ، فتبغتهم ولا تبقى لهم مفرا وسعة .

ومبدؤ زلزلة الارض اهتزازها وخرابها ، قال تعالى (يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)^(٢) .

وقال سبحانه وتعالى (اذا زلزلت الارض زلزالها . وأخرجت الارض أثقالها . وقال الانسان مالها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)^(٣) .

(١) سورة النحل الآية ٧٧

(٢) سورة الحج الآية ٢-١

(٣) سورة الزلزلة الآية ٨-١

وعند اهتزاز الارض وزلاها تتلاشى الجبال ، وتستوي الارض ، ولا تبقى عليها الاوهاد والتلول ، قال تعالى (يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امثا)^(٤) .

وقال تعالى (اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا)^(٥) وقال تعالى (يوم يكون الناس كالفرash المبثوث وتكون الجبال كالمنفوش)^(٦) . واما بقاء هذه الارض التي نحن عليها بالذات فمن المفسرين من قال : بانها تبقى وتمتد ، وتحصل لها سعة لا يملها الا الله ، وذلك لقوله تعالى (واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت)^(٧) . ومنهم من يقول : بانها تغنى ويخلق الله بدلها أرضا أخرى صافية نقية بيبضام لقوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض)^(٨) الآية فان ظاهرها التبدل ذاتا وصفة .

وأما السموات والنجوم والشمس والقمر فالأسمات الكريمة تنطق بفنائها لقوله تعالى (يوم تطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين)^(٩) .

(٤) سورة طه الآية ١٠٥

(٥) سورة الواقعة الآية ٥

(٦) سورة القارعة الآية ٥

(٧) سورة الانشقاق الآية ٣

(٨) سورة ابراهيم الآية ٤٨

(٩) سورة الانبياء الآية ١٠٤

وقال تعالى (اذا الشمس كورت واذا النجوم
انكدرت)^(١٠) وقال (اذا السماء انفطرت واذا الكواكب
انتثرت)^(١١) وقال (اذا السماء انشقت واذنت لربها
وحقت)^(١٢) وقال تعالى (فاذا برق البصر وخسف القمر
وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر)^(١٣)
وقال تعالى (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان)^(١٤)
وقالوا في تفسيرها وصارت السماء في حمرة الورد وجريان
الدهن ، أي تذوب مع الانشقاق • الى غيرها من الآيات
الواضحات التي تدل على فناء السموات بما فيها ، وانحمار
الشمس ، والقمر ، والنجوم •

(١٠) سورة الكوثر الآية ١

(١١) سورة الانفطار الآية ١

(١٢) سورة الانشقاق الآية ١

(١٣) سورة القيامة الآية ٩

(١٤) سورة الرحمن الآية ٣٧

(النفخة الثانية)

وهذه الحوادث كلها أثر النفخة الاولى من الملك الموكل بها ، وهو اسرافيل عليه السلام ، وبها يموت من هو حي في البر والبحر والجو ، الى النفخة الثانية التي تعيا بها كل مكلف قال تعالى (ونفخ في الصور فصق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون)^(١) وبين النفختين اربعون سنة اي مدتها • واهياء الموتى منصوص في القرآن الكريم في عدة آيات بينات ، واعتقاده من اهم اركان الايمان •

واما ان الحياة تتعلق بأجزاء الميت بيمينها ، أو بمثلها فلا بأس فيها ، فقد جاء في أحاديثان الميت تعبى على حبة عجب الذنب من أواخر فقرات الظهر ، ولا تبلى تلك الحبة أنما كانت ولا تتأثر بأي مؤثر ، وجميع ذرات مجموعة جسد الانسان عند موته باق في العالم سواء كانت ترابا أو ماء أو هواء ، وهو على جميعها واعادة صورتها السابقة اذا شاء قدير •

وقال سبحانه وتعالى (أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصم مبين • وخرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم • قل يحييها الذي انشاها اول

مرة (وهو بكل خلق عليهم)^(٢) الى ان قال (اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) . وقال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم)^(٣) .

وقال تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير)^(٤) .

وبعد اعادة الحياة الى المكلفين وخروجهم من أماكنهم يساقون الى المحشر ، قال تعالى (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)^(٥) وقد نص القرآن على أن كل أمة تدعى بسيدها ومقتداها ، سواء كان قائدا لها الى الخير والسعادة ، أو الى الشر والشقاوة قال تعالى (يوم ندعو كل أناس بأمامهم)^(٦) .

(٢) سورة يس الآية ٧٧ الى آخر السورة

(٣) سورة الروم الآية ٢٧

(٤) سورة لقمان الآية ٢٨

(٥) سورة ق الآية ١٩

(٦) سورة الاحراء الآية ٧٦

فيكون أول من تتشقق عنه الأرض سيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم، فتتبعه أمته على اختلاف طبقاتهم بحسب رفعة الدرجات
 في الدين ، ولا شبهة في أنه تتبع كل جماعة أمامها أيضا في
 الدين ، فإن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أمام الأئمة
 وسيد الأئمة وعند ذلك أشرقت الأرض بنور مخلوق بأمر الله
 سبحانه إذ لا شمس هناك ولا قمر قال تعالى (ثم نفخ فيه
 أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع
 الكتاب وجيء بالبنين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم
 لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما
 يفعلون) (٧) .

الحشر

قال سبحانه وتعالى (ونفخ في الصور فاذا هم من الاحداث الى ربهم ينسلون - قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرددنا - هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)^(١) .

فالناس يحشرون ويكونون على ما كانوا عليه من الاحوال في الدنيا ، عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « يبعث كل عبد على ما مات عليه »^(٢) الحديث أي فمن مات على خير بعث على حال سارة حسنة ، ومن مات على شر بعث بحال شنيعة والعياذ بالله تعالى منها .

والناس في مبدء البعث والحشر تخيم عليهم الهيبة والخافة والفرع الا من آمنه الله بلفظه ورحمته ، وجعله في ظل كرمه ورافته ، وحشره مع من احبه من صاحب شريعته أو من كبار أمته ، عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قال « يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثقان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبیت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا »^(٣) رواء الشيخان .

(١) سورة يس الآية ٥١-٥٢

(٢) رواء مسلم في كتاب الجنة . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٣٢٨/١٠)

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق . انظر القسطلاني (٣٠٢/٩) . ومسلم في كتاب الجنة . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٣١٢/١٠)

وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انكم محشورون رجسالا وركباناً وتجرون على وجوهكم ،^(٤) رواه الترمذي .

وهذه الاحوال المذكورة في هذه الروايات الصحيحة بعض من احوال المبعوثين المحشورين ، فالاحوال تختلف بالحسن والاحسن والسيئ والاسوء ، الى احوال كثيرة لا يعلمها الا الله سبحانه تعالى .

وأهل البعث والحشر بالاجمال اصناف ثلاثة : السابقون ، واصحاب الميمنة ، واصحاب المشئمة . فالسابقون السابقون أولئك هم المقربون في جنات النعيم ، واصحاب الميمنة في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب ، الى آخر ما ذكر في اوصاف نعيمهم ، واصحاب المشئمة في سموم وحميم وظل من يحموم ، وهذه الاقسام الثلاثة مستوعبة لجميع الامم من الثقليين من لدن اول عالم التكليف الى آخره ، وتفصيل احوال افرادها في علم علام الغيوب . فنسأل الله الرؤوف الرحيم ان يحسن الينا بالحشر في السابقين المقربين ، او في اصحاب الميمنة المكرمين عنده تعالى .

(٤) انظر كتاب الزهد باب الحشر رقم الحديث ٢٥٤١ سنن

وهذا السوق والحشر يكون على أرض جديدة غير أرضنا
 كما هو ظاهر قوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض) (*)
 وهي بيضاء نقية صافية لم تقع عليها معصية (*) ، أو على عين مادة
 الأرض الموجودة الآن ، لكنها تتغير من حال وجود الجبال
 والأوهاد وإلى حال لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ، فذاتها عين
 ذات الأرض السابقة ، وصفتها غير الصفة الأولى كما ذكره
 أصحاب التفاسير ، والتبيان للقرآن الكريم والاحاديث
 الشريفة .

(*) سورة ابراهيم الآية ٤٨

(*) حيث ورد في صحيح البخاري عن سهل بن سعد قال : سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الناس يوم القيامة على
 أرض بيضاء صفراء كقرضة النقي » الحديث . انظر فتح الباري كتاب
 الرقاق (١١/٣٣٣) .

الموقف

ومن نور الاسلام الايمان بهول وقت الحشر وعمومه للناس الا من خصه الله برحمته ونجاة منه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يمرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم »^(١) رواه الشيخان ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه (اي عرقه) الى انصاف اذنيه »^(٢) رواه الشيخان والترمذي ، وعن المقداد بن اسود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فعنهم من يكون الى كعبيه ، ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه (اي منتهى الية) ، ومنهم من يلجمه العرق الجاما » اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه .^(٣) رواه مسلم والترمذي .

وقد ذكر العلماء اخذا من نصوص الاحاديث الشريفة ، ان ذلك العذاب المخيف المختلف انما هو بالنسبة الى الكفار ، وبعض العصاة من المؤمنين . واما الباقي فيسر عليهم زمان

(١) رواه البخاري في الرقاق . انظر القسطلاني (٣٦٠/٩)

(٢) رواه البخاري في الرقاق . انظر القسطلاني (٣٠٩/٩) .

ومسلم في كتاب الجنة شرح النووي في هامش القسطلاني (٣١٣/١٠)

(٣) مسلم كتاب الجنة . شرح النووي في هامش القسطلاني

العشر والموقف كزمان صلاة فريضة صلاحها في وقتها نسال
الله تعالى الامان من عذابه ومن التاجين السبعة^(٤) الذين يجعلهم
الله تحت ظل رحمته . وليعلم المؤمن انه لا منافاة بين ذلك
الحديث الشريف وبين ما نص عليه القرآن الكريم بقوله
تعالى (اذا الشمس كورت)^(٥) اي لفت على تفسير ، أو
انكسفت على تفسير آخر ، أو ادخلت في العرش على تفسير ابن
عباس رضي الله عنهما ، لان ذلك التكوير انما هو عند الزلزلة
والنفخة الاولى ، ووقت البعث والعشر في ما بعد النفخة الثانية
. كما قال تعالى (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون)^(٥)
وفي هذا الوقت تعود الشمس كما كانت يأمر الله تعالى
وقدرته ، فتدنى من رؤوس الخلائق ليعذب بحرارتها الكفار
والعصاة المتجاسرون المتمردون ممن شام الله تعذيبه بها .
ثم تتحول الشمس الى ما يختاره ويريد الله من الفناء
او الانكدار ، ولا يبقى بعد ذلك مجال للشمس ، ولا للقمر ،
ولا لسائر النجوم ، كما قال سبحانه وتعالى (واشرقت الارض
بنور ربها)^(٦) أي بنور مخلوق بقدرة الباري لتنوير الموقف
واجرام المحاسبة وموازنة الاعمال .

(٤) سورة التكوير الآية ١

(٥) الزمر الآية ٦٨

(٦) سورة الزمر الآية ٦٩

(٧) إشارة الى الحديث الشريف ، سبعة يظلهم الله في ظله يوم
لا ظل الا ظله ، الحديث - رواه البخاري في وجوب صلاة الجماعة ، وكرمه
في الزكاة ، والرقائق ، وكتاب المحاربين - انظر فتح الباري (٢/١٢٠) ،
ورواه مسلم في كتاب الزكاة في صحيحه ، والترمذي في كتاب الزهد
في سنته .

وانما ذكرت ذلك ، لان حديث ادناء الشمس من رؤوس
 الخلائق رواء مسلم والترمذي ، وتكوير الشمس عند مجيء
 الساعة منصوص في القرآن الكريم ، والجمع بين القرآن
 والحديث الصحيح واجب .

السؤال

ومن نور الاسلام الايمان بسؤال الباري سبحانه وتعالى
 جميع عباده المكلفين ومحاسبتهم وابتاء كتب الاعمال قال
 تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم
 لنا انك انت علام الغيوب)^(١) وعن عدي بن حاتم قال : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما منكم احد الا سيكلمه الله
 ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه
 فلا يرى الا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما
 قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا
 النار ولو بشق تمرة »^(٢) رواء الشيخان والترمذي .

وعن ابي هريرة الاسلمي رضى الله عنه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم
 افتاء وعن عمله فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفق
 وعن جسمه فيم اهلاء »^(٣) .

(١) سورة المائدة الآية ١٠٩

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق - انظر القسطلاني (٣١٤/٩)

(٣) الترمذي رقم الحديث ٢٥٣٢ طبعة القاهرة

صحف الأعمال

ومن نور الاسلام الايمان باستلام صحف الاعمال ، قال الله تعالى (فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول : هاؤم اقرؤوا كتابيه • اني ظننت اني ملاق حسابه • فهو في عيشة راضية • في جنة عالية • قطوفها دانية • كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية • واما من اوتي كتابه بشماله فيقول : ياليتني لم اوت كتابيه • ولم ادر ما حسابه • ياليتها كانت القاضية • ما اغنى عني ماليه • هلك عني سطانيه)^(١) •

وقد روى في الصحيح انه بعدما افصح الله المجال لعبده في ابداء معاذيره يقول العبد لربه لا اجيز علي الا شاهدا مني فينطق الله جوارحه •

عن انس رضى الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال • هل تدرون بهم اضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرنى من الظلم قال : يقول بلى ، قال فيقول : فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني ، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقى قال فتتعلق باعماله قال ثم يخل بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسخطا فتمكن كنت أنا ضل ،^(٢) رواء مسلم •

(١) سورة الحاقة الآية ١٩-٢٨

(٢) مسلم كتاب الزهد • انظر شرح النووي في هامش القسطلاني

الميزان

ومن نور الاسلام الايمان بالميزان قال تعالى (ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان
مثقلا حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين) (٣) فالوزن ،
حق ، وكيفيته موكولة الى علم العليم الخبير ، والايمان به واجب ،
فعمدنا في عالم الشهادة موازين للحرارة والبرودة ، ولثقل
الاشياء وخفتها ، ولضغط الدم ، وللانواء الجوية ، وكذلك
في القيامة ميزان توزن فيه ، اما صحائف الاعمال ، أو نفسها
بعد تجسيمها باجسام نورانية واجسام ظلمانية ، وظاهري
الحديث الشريف ان له كفتين احدهما للحسنات والاخرى
للسيئات ، ويجوز ان يبقى على ظاهره ، لانه امر ممكن أخبر
به الصادق ، ولا موجب للمدول عنه .

وعن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال « ان الله سيخلص رجلا من أمتي على
رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين
سجلا ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول الله اتذكر من
هذا شيئا ؟ اظلمت كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب ،
فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى ان لك
عندنا حسنة ، فانه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،
 فيقول : أحضر وزنك ، فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه
 السجلات ، فقال : انك لا تنظم قال فتوضع السجلات في كفة
 والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، فلا يثقل
 مع اسم الله شيء ،^(٤) رواه الترمذي .

القصاص

ومن نور الاسلام الايمان بالقصاص اي الانتقام من
 الظالم واخذ حق المظلوم منه على ما فصل في الدين ، عن ابي
 هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال : من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها فإنه ليس ثم
 دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فإن لم
 يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحته عليه ،^(٥) رواه
 الشيخان .

وعن ابي سعيد رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال : يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على
 قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالمهم
 كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول
 الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة

(٤) سنن الترمذي رقم ٢٧٧٧ طبعة القاهرة ، وأخرجه ابن حجة
 في كتاب الزهد من سننه رقم الحديث ٤٢٠٠

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المقام - القسطلاني (٢٥٨/٤) ،
 وكرره في الرقاق - القسطلاني (٣١١/٩)

منه بمنزلة كان في الدنيا ، (٢) رواء البخاري في الرقائق .

وهذا في المكلفين وهم الجن والانس ، وان كان عدل الله تعالى سيقوم على كل مخلوق كما قال صلى الله عليه وسلم
«لتؤذن الحقوق حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» (٣)
وترشد الى هذا الاقتصاص قوله تعالى (وما من دابة في الارض
ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من
شيء) (٤) ولكنه لا دليل على الثواب والعقاب في الجنة والنار
بالنسبة الى غير الجن والانس فيكون المال المحو والله اعلم .

الصراط

ومن نور الاسلام الايمان بالصراط ، وهو جسر محدود
على نار جهنم ، عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم ، ثم يضرب الصراط بين ظهري جهنم
فاكون اول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم أحد يومئذ
الا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ . اللهم سلم سلم ، (١) رواء
الشيخان .

وروى مسلم في الايمان عن ابي هريرة وعن حذيفة رضى
الله تعالى عنهما ، انه ترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتي

(٢) أخرجه البخاري في الرقائق . انظر القسطلاني (٣١١/٩-٣١٢)

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر . انظر شرح النووي في هامش

القسطلاني (١٤/١٠)

(٤) سورة الانعام الآية ٣٨

(١) قطعه من حديث طويل رواء البخاري في الرقائق لوله . يجمع

الله الناس فيقول ، الحديث . انظر القسطلاني (٣٣٢-٣٣١/٩)

الصراط يميناً وشمالاً ، فيمر أولكم كالبرق ، قال قلت : يا بني أنت وامي أي شيء كمر البرق ، قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وشد الرجال ، تجرى بهم أعمالهم ونييكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً ، قال ولي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ، ومكدوس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده أن قعر جهنم لسبعون خريفاً^(٢) - وقوله صلى الله عليه وسلم « ترسل الأمانة والرحم » معناه تقوم الأمانة والرحم في صورة شخصين فتقفان على حافتي الصراط تشهدان لمن قام بحقهما ، وعلى من لم يتم بحقهما وذلك لمعظم أمرهما -

فالصراط كقنطرة على النار بعد أن ينتهي الناس من الموقف يؤمرون بالمرور عليه ، فأهل النار يقيمون فيها ، وأهل الجنة يمشون عليها على اختلاف درجات سرعتهم ، ولكن ينال بعضهم منها شدائد نسأل الله السلامة منها ، فإنه ثبت أن من المؤمنين من يمر كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فتناج مسلم ، ومخدوش ، ومكدوس في نار جهنم -

(٢) هذا قسم من حديث طويل رواه مسلم في كتاب الإيمان أوله « يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون » الحديث - انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١/١٧٦-١٧٣)

وتبين من هذه المباحث ان الجن والانس يعرضون على الله سبحانه وتعالى يوم القيامة في المحشر جميعا كما قال تعالى (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) (٣) والموقف أهوال وأحوال ، فالحال الاول وقف الغلائق ، وهم سكوت خائفون راهبون خاشعون ، وهذه الحال أشد الاحوال قال تعالى (وخشمت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا ههنا) (٤) قال (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما) (٥) . وبعد وقوفهم في تلك الشدة يشفع الرسول صلى الله عليه وسلم فتبديل الشدة بأحوال اخرى ويشرع في السؤال والحساب وتنزل الصحف ، وتأخذها الناس بإيمانهم وشعائهم ووراء ظهورهم ، فتوزن الاعمال ويحاسب المكلفون ، ويأخذ العصاة في المناقشة بعد ظهور خفة ميزان خيرهم ، فتشهد عليهم ايديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون . وبعد ذلك يضرب الصراط على متن جهنم فيؤمرون بالمرور عليه ، وأول من يمر عليه هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وامته ، فمن تاج سالم ، ومن مخدوش ، ومكدوس في نار جهنم . فالكافر يبقى خالدا فيها والمؤمن يبقى مقدار استحقاقه العذاب ، ثم يخرج منها ، أو يخرج قبل التعذيب بالشفاعة ، ومصيره الى الجنة ورضوان الله رب العالمين . فنسأل الله الرؤوف الرحيم ان يعاملنا بفضله واحسانه ويحشرنا تحت لواء سيد المرسلين صلى الله تعالى عليهم أجمعين .

(٣) سورة الحاقة الآية ١٨

(٤) سورة طه الآية ١٠٨

(٥) سورة طه الآية ١١١

(الحوض المورود)

وان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حوضاً مشهوراً بالحوض المورود يصله الرسول صلى الله عليه وسلم بمسدد عبوره من الصراط وترد عليه امته ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان امامكم حوضاً كما بين (جربام) (واذرج)^(١) رواء الثلاثة .

وعن حارثة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الحوض كما بين المدينة ومنعماء^(٢) . وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان قدر حوضي كما بين ايلة ومنعماء من اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء^(٣) رواهما الشيخان .

وللبخاري : حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظلم ابداً^(٤) .

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب الحوض . انظر القسطلاني (٣٣٦/٩) . ومسلم في الفضائل . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٥٢/٩) . وأخرجه ابو داود عن ابن عمر في باب الحوض . انظر السنن ج ٢ ص ٥٢٨ .

جربام ، واذرج ، قرينتان بالشام بينهما ثلاث مراحل .
(٢) انظر البخاري في الرقاق باب الحوض القسطلاني (٣١٢/٩) . ومسلم في الفضائل . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٥٢/٩) .

(٣) أخرجه البخاري عن انس بن مالك في الرقاق باب الحوض القسطلاني (٣٣٨-٣٣٩/٩) . ومسلم في الفضائل . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٥٨/٩) .

(٤) أخرجه البخاري عن عبدالله بن عمرو في الرقاق باب الحوض القسطلاني (٣٣٨/٩) .

وسام هذا الحوض يمتد من نهر الكوثر الجاري في الجنة كما يؤخذ من حديث نهر الكوثر في الحديث الوارد في شأنه وسنذكره ان شاء الله تعالى .

(الشفاعة)

ومن نور الاسلام الايمان بان الشفاعة ثابتة للرسل وللأخيار في حق أهل الكبائر من المؤمنين ، لا سيما شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد دل عليها الكتاب ، فمن الكتاب قوله تعالى (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)^(١) وقوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه)^(٢) فانه لو لم تجز الشفاعة ما كان يستثنى وقت اذنه تعالى بها ، فان الحال لا يتقيد بوقت دون وقت ، وقوله تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)^(٣) أي ان الشافعين لا يشفعون الا لمن ارتضى الباري سبحانه وتعالى ان يشفع له ، وقال تعالى على لسان بعض الكفار (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم)^(٤) فلو لم تكن الشفاعة واقعة للمذنبين من المسلمين ، لم يبق فرق بينهم وبين الكافرين .

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)^(٥) ، وهذا الحديث رواه

(١) سورة محمد الآية ١٩

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥

(٣) سورة الانبياء الآية ٢٨

(٤) سورة الشعراء الآية ١٠٠

(٥) رواه الترمذي رقم الحديث ٢٥٥٢ و ٢٥٥٣ طبعة القاهرة

وأخرجه أبو داود في باب الشفاعة - النظر السنن (٥٣٧/٢) ، وأخرجه

الترمذي وأبو داود ، وهو حديث مشهور ، بل الأحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى .

وحكمة الشفاعة تكريم الشافعين ، ورفع شؤونهم على رؤوس الأشهاد ، وإفاضة الكرم الإلهي على المشفوع له ، وغفران الباري سبحانه وتعالى للمذنبين بدون الشفاعة جائز ، والخبر عن وقوعه الباري تعالى بقوله (يغفر لمن يشاء ويمحبه من يشاء)^(٦) فمع شفاعته الشافع أولى وأجل .

واستدلال المخالف بنحو قوله تعالى (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع)^(٧) ساقط عن الاعتبار ، لأنه محمول على الكفار ، وكلامنا في الشفاعة للمسلمين .

عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمي الجنة ، وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً^(٨) .

وما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله تعالى (وانذر عشيرتک الاقربين)^(٩) يا بني هاشم انتقدوا انفسكم من النار ، يا بني عبدالمطلب انتقدوا انفسكم مني

ابن ماجه بلفظ : ان شفعتني يوم القيامة لاجل الكبائر من امي ، انظر السنن كتاب الزهد رقم الحديث ٤٣١٠

(٦) سورة البقرة الآية ٢٨٤

(٧) سورة طه الآية ١٨

(٨) أخرجه الترمذي في سننه رقم ٢٥٥٨ ، وأخرجه ابن ماجه وفيه : ائرونها للمؤمنين ؟ لا ، ولكنها للمذنبين الخطائين الثلاثة ، انظر سننه كتاب الزهد رقم ٤٣١١

(٩) سورة الشعراء الآية ٦١٤

النار . يا فاطمة انقذي نفسك من النار ، فاني لا املك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما ساهلها بيلالها .^(١٠) .

فما كان منه خطابا للكفار فواضح ان الشفاعة ليست للكاافرين ، وما كان خطابا للمؤمنين منهم الداخلين في القوم ، والباقي كفار . أو خطابا لفاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها فيحمل على اظهار الخوف من الله تعالى ، وانه ليس يملك شيئا ، وما له صلاحية بدون لطفه تعالى وكرمه ، وعلى التهيب لهم من عقاب الله تعالى ، وعلى الترغيب في الزيادة من الطاعات لينالوا الدرجات ، وليس معناه نفي الشفاعة جوازا أو وقوعا ، مع تلك الاحاديث الكثيرة الدالة عليها . وليس في القول بالشفاعة اعداد الناس للجرأة والجسارة على المعاصي كما توهمه بعض ، اذ ليس في علم أي شخص انه يشفع له حتى يكون ذلك جالبا لاقدامه عليها كما هو واضح للمنصفين . وثبت على ضوء الاحاديث الشريفة ان للرسول صلى الله عليه وسلم شفاعات خمساً :

الاولى - الشفاعة العظمى ، المعروفة بالمقام المحمود ، وهي اراحة أهل الموقف من أهوال القضاء بينهم والفراغ من حسابهم .

ففي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زال الرجل

(١٠) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة قوله : « لما نزلت هذه الآية (وانظر) دعا رسول الله قريشاً فاجتمعوا » كتاب الايمان - انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (١٨١/٢-١٨٢)

يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم
وقال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف
الاذن ، فيبشما هم كذلك استغاثوا بأدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد
صلى الله عليه وسلم ، وزاد عبدالله بن صالح حدثني الليث
حدثني ابن أبي جعفر ، فيشفع ليقض بين الخلق ، فيمشي
حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا
يحمده أهل الجمع كلهم (١١) . انتهى نصا باختصار السند .
وفي هذه الرواية اختصار من اسامي بعض الرسل عليهم
السلام .

وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري للمحدث الشهير
ابن حجر العسقلاني ، قوله بحلقة الباب أي باب الجنة ، أو
هو مجاز عن القرب ، والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى
التي اختص بها صلى الله عليه وسلم ، وهي اراحة أهل الموقف
من أهوال القضاء بينهم والفراغ من حسابهم .

وفي فتح الباري في شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري
ما نصه ووقع في حديث أبي بن كعب عند أبي يعلى ما نصه
« ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني ثم يؤذن لي في الكلام ثم
تمر أمتي على الصراط وهو منصوب بين ظهراي جهنم
فيمرون » (١٢) انتهى ، وفيه ان موقف الرسول صلى الله عليه
وسلم حينئذ عند الصراط .

(١١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة . انظر القسطلاني (٦٣/٢)
ومسلم في كتاب الزكاة . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٤٣٨/٢)
والنسائي في كتاب الزكاة (٩٤/٥)

(١٢) انظر فتح الباري عند شرح حديث أنس « يجمع الله الناس
يوم القيامة » الحديث (٣٨٠/١١)

الثانية - الشفاعة لاجراج عصاة المؤمنين من النار في صحيح البخاري في آخر الحديث الذي رواه في كتاب الرقاق قوله صلى الله عليه وسلم : فيأتون فاستأذن على ربي ، فإذا رأيته وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله ، ثم يقال لي : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، قل يسمع ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ، ثم أشفع فيحد لي حدا ، ثم أخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجدا مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما يبقى في النار الا من حبسه القرآن ،^(١٢) انتهى ، وقال قتادة : أي وجب عليه الخلود والعياذ بالله .

الثالثة - الشفاعة في قوم استوجبوا النار بذنوبهم ، فلا يدخلونها لشفاعته صلى الله عليه وسلم .

الرابعة - الشفاعة لادخال قوم الجنة بغير حساب ، عن أبي امامه رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا»^(١٣) رواه الترمذي بسند حسن .

الخامسة - الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لبعض أهلها ، والله هو الجواد الكريم .

(١٢) أخرجه البخاري في الرقاق . انظر التسطاني (٣٢٦-٣٢٥/٩) ، وكسوره في كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء . انظر التسطاني (٤٠٦/١٠-٤٠٨)

(١٣) انظر سنن الترمذي رقم ٢٥٥٤ طبعة القاهرة

وبعد شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يفتح باب
الشفاعة لمن ارتضاء الله تعالى قال تعالى (يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا) (١٤) .

قال المفسرون : أي لمن كان قوله واعتقاده لا اله الا الله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن عثمان عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الانبياء
ثم العلماء ثم الشهداء » (١٥) رواه ابن ماجه بسند صحيح .
وعن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال « من أمتي من يشفع للفقراء ومنهم من
يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع
للرجل حتى يدخلوا الجنة » (١٦) رواه الترمذي .

وعن ابي الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته » (١٧) رواه
ابو داود .

(١٤) سورة طه الآية ١٠٩ .

(١٥) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد رقم ٤٣٦٣ وفي مسنده
علاق بن ابي مسلم ، قال في حقه الحافظ ابن حجر في التقريب مجهول
(٩٤/٢)

(١٦) النظر سنن الترمذي رقم الحديث ٢٥٥٧

(١٧) النظر سنن ابي داود كتاب الجهاد (١٥/٢)

الجنة والنار

ومن نور الاسلام الايمان بالجنة والنار وانهمـا مخلوقتان في هذا العالم وموجودتان الآن وستكونان السدار الابدية للمسلمين والكافرين .

وذلك لظاهر الآيات الدالة على ذلك كقوله تعالى في شأن الجنة (أعدت للمتقين) في آية (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين)^(١) ، وقوله تعالى (أعدت للكافرين) في آية (واتقوا النار التي أعدت للكافرين)^(٢) .

ولظاهر الاحاديث التي تدل على ان الله سبحانه وتعالى كشف لرسوله صلى الله عليه وسلم الجنة والنار وأهلها ، وهي مروية في الصحاح .

واما مكانهما فهو وان لم يرد نص صريح في تعيينه لكن الاكثرين من العلماء على أن الجنة فوق السماوات السبع وتحت العرش تمسكا بظاهر قوله تعالى (ولقد رأى نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى)^(٣) ويقول صلى الله عليه وسلم : سقف الجنة عرش الرحمن وان النار تحت الارضين ،^(٤) أي انها بقعة أخرى مما خلقه الله في هذا

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٣

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣١

(٣) سورة النجم الآية ١٤

(٤) هذا الحديث بهذا اللفظ لم اطلع له على سند ، لكن هناك احاديث تدل على ان الجنة في السماء منها ما رواه : البخاري ، والترمذي ، وأحمد ، ومن فوقها يكون العرش ، راجع ص ٢٩٧ .

العالم ، واستنادها الى ما تحت الارض لافادة فظاعتها والرهبة
منها .

ثم ان ظاهر الدلائل المذكورة وان لم ينف القطع واليقين
في الموضوع ، الا ان القدر المشترك من الادلة الدينية كتابا
او سنة ، أفاد انها موجودان فعلا في هذا العالم ، وهو
عالم واسع لا يحيط به عقل البشر ، وليس بغريب ان يكون
فيه هاتان البقعتان ، مع ان العلم قد اكتشف ان الشمس
تقارب ربع مليون مقدار الارض ، وما هي الا كوكب من
كواكب هذا العالم الذي لم يكتشف من كواكبه الا القليل .

واما صفات أهلها فمذكورة في القرآن الكريم وسنة
الرسول صلى الله عليه وسلم بما لا مزيد عليه .

اما النار وأبوابها وأوصافها فقد قال سبحانه وتعالى
(وان جهنم لها سبعة أبواب لكل منهم جزء مقسوم)^(٥)
وقال تعالى (كلا انها لظى تزاغ للشوى تدمر من أدير وتولى ،
وجمع فادعى)^(٦) والآيات القرآنية في فظاعة عذاب النار
وهولها وشدتها على أهلها ، كثيرة معلومة عند كل قارئ
فاهم ، فلا حاجة الى البيان . وعن النعمان بن بشير رضي
الله عنه انه قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : ان أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل

(٥) سورة الحجر الآية ٤٣

(٦) سورة المعارج الآية ١٧

توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماؤه (٧) رواه
الشيخان والترمذي .

وأما أهلها فهم الكفار من الجن والانس خالدون فيها
أبدا ، والعصاة من المؤمنين منهما يعذبون بالمقدار المقدر
لهم في علمه سبحانه وتعالى ثم يخرجون منها ويدخلون الجنة
برحمته ويبقون أبد الأبد .

وأما صفة الجنة وما فيها . فقد قال تعالى في بيانها
وبيان خدمها وحورها وفرشها ومأكلاتها ومشربها (يطوف
عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا . وإذا
رأيت ثم رأيت نعيما ومثلا كبيرا . عاليهم ثياب سندس
خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا
طهورا . ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) (٨)
(والسابقون السابقون أولئك المقربون . فسي
جنت النعيم . ثلة من الأولين وقليل من الآخرين . على سرر
موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان
مخلدون . باكواب وإباريق وكأس من معين . لا يصدعون
عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما
يشتهون . وحور عِين . كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما
كانوا يعملون . لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . الا قيلا
سلاما سلاما . وأصحاب اليمين . ما أصحاب اليمين . في سدر
مخضود . وظل منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب .

(٧) انظر ارشاد الساري الرقاق (٩/٣٢٣)

(٨) سورة الدھر الآية ١٩-٢٢

وفاكهة كثيرة • لا مقطوعة ولا ممنوعة • وفرش مرفوعة •
 انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ايكارا عربا اترايا • لاصحاب
 اليمين ثلثة من الاولين • وثلثة من الآخرين (٩) •
 وقال تعالى (فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها
 خالدون) (١٠) •

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
 قال • قال عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
 ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا يله ما اطلعكم
 الله عليه • ثم قرأ (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
 أعين جزاء بما كانوا يعملون) (١٢) • رواء الشيخان
 والترمذي •

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال • لقاب قوس
 احدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب (١٣) •
 رواء الخمسة •

وأما بناؤها فمن أبي هريرة رضى الله عنه قلت : يا رسول
 الله ممّ خلق الخلق ؟ قال : • من الماء • قلنا : الجنة ما بناؤها ؟

(٩) سورة الواقعة الآية ١٠-١١

(١٠) سورة الزخرف الآية ٧٠

(١١) سورة السجدة الآية ١٧

(١٢) البخاري كتاب التوحيد • انظر القسطلانسي ٤٣٦/١٠
 ورواء في كتاب بدا الخلق ايضا • ومسلم في كتاب الجنة • انظر شرح
 النووي في هامش القسطلاني (٢٨٢/١٠)

(١٣) رواء البخاري في حديث طويل في الرقاق باب صفة الجنة
 بنظ • ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها •

قال : لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها (أي ما يوضع بين
أجزاء البناء كالطين) المسك الأذفر (شديد الرائحة)
وحسابؤها اللؤلؤ وتربتها الزعفران من دخلها ينعم ولا
يبأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم » (١٤) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول : ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا
يتفلون ولا يببولون ولا يتغوطون ولا يمتشطون » قالوا فما
بال طعام قال : جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح
والتحميد كما يلهمون النفس » (١٥) .

وأما أبوابها فثمانية عن سهل رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : في الجنة ثمانية أبواب فيها باب
يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون » (١٦) . رواء
الشيخان .

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : باب أمي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة
الراكب الجواد ثلاثا ثم انهم ليضفطون عليه حتى تكاد

(١٤) قطعة من حديث طويل أخرجه الترمذي في صفة الجنة
وقال : هذا الحديث ليس بأسناده بذلك القوي رقم الحديث ٢٦٤٦ طبعة
القاهرة .

(١٥) أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة . انظر شرح النووي في
عاشي القسطلاني (١٠/٢٩٠) .

(١٦) أخرجه البخاري في كتاب بدأ الخلق . انظر القسطلاني
(٥/٢٨٦) .

سناكبه تزلزل ، (١٧) . رواه الترمذي .

وأما درجاتها فمن عبادة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش ، فإذا سألتهم الله فسلوه الفردوس ، (*) رواه الترمذي والبخاري .

وأما أنهارها فقد قال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومنفرة من ربهم) (١٨) .

وأما ثمار شجراتها وظلالها فقد قال تعالى (أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) (١٩) .

وأما نصيب أهل الجنة من الجنان فقد قال تعالى (ولن خاف مقام ربه جنتان) (٢٠) . وأما صفاء القصور ، فمن أبي سعيد رضى الله عنه ان رسول الله صلى وسلم قال : ان

(١٧) أخرجه الترمذي في سننه رقم ٢٦٧٢ .

(*) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد . انظر القسطلاني (٢٨-٣٧/٥) ، والترمذي في صفة الجنة رقم ٢٦٥١ طبعة القاهرة .

(١٨) سورة محمد الآية ١٥

(١٩) سورة الرعد الآية ٣٥

(٢٠) سورة الرحمن الآية ٤٦

أهل الجنة ليقترأون أهل الغرف من فوقهم كما تقترأون الكوكب النري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال • بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ، (٢١) • رواء الشيخان والترمذي •

الكوثر

وأما الكوثر ، فهو نهر مختص بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن أنس رضى الله عنه قال : مثل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فقال صلى الله عليه وسلم • ذاك نهر أعطانيه الله عز وجل في الجنة أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من المسك فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر • قال عمر إن هذه لناعمة قال رسول الله • أكلتها أنعم منها • (٢٢) • يعني أنها ناعمة وشهية لذينة والأكلون لها أحسن منظرا منها • وعن أنس رضى الله عنه قال : أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبسما فأما قال لهم • ، وأما قالوا له يا رسول الله لم ضحككت ؟ فقال • أنه أنزلت علي أنا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم أنا أعطيتناك الكوثر) حتى ختمها فلما قرأها قال : هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم • قال • فإنه نهر وعدني بهي عز

(٢١) رواء البخاري في الرقاق • انظر القسطلاني (٣٢١/٩) ،
ومسلم في كتاب الجنة • انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٢٨٥/١٠)
والترمذي في صفة الجنة رقم ٢٥٨١ وبشرح ابن العربي (٢١/١٠) •
(٢٢) أخرجه الترمذي في صفة الجنة ٢٥١٥ طبعة حصص وبشرح
ابن العربي (١٢/١٠) •

وجل في الجنة وعليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمّتي
يوم القيامة أنيته هدد الكواكب ، (٢٣) .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بينما أنا أسير
في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت : ما هذا
يا جبريل ، قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طيبه
أو طيبه مسك اذفر ، (٢٤) . رواء البخاري وأبو داود
والترمذي .

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
: الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجرأ على الدر
والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل
وأبيض من الثلج ، (٢٥) رواء الترمذي بسند صحيح . ولا
متافاة بين هذا الحديث وما قبله ، فإن الحاقة من الذهب لا
تمنع قباب الدر فوقها . وقد أنزل الله تعالى في قرآنه الكريم
ذكر النفتين ، وحشر الخلايق ، وحسابهم ، وسوق الكافرين
إلى النار ، وسوق المتقين إلى الجنة ، واستقبال الملائكة
الكرام لهم ، وتسليمها عليهم ، وتبشيرهم بدخول الجنة
خالدين ، وعندهم لله سبحانه وتعالى على هذه النعمة
الجسيمة ، وتسييح الملائكة حول العرش العظيم .

(٢٣) أخرجه أبو داود في باب الحوض من سننه (٥٣٨/٢)

(٢٤) رواء البخاري من الرقاق باب الحوض . انظر السلطاني
(٣٣٩/٩) ، وأبو داود في سننه (٢٣٩/٢) .

(٢٥) أخرجه الترمذي في سننه ولم الحديث ٣٤١٩ طبعة القاهرة .

فقال (وتنفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون . واشترقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون . وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤا ففتحت ابوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين .

وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤا وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين .

وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض تنبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين . وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق . وقيل الحمد لله رب العالمين (٢٦) .

قد تبركت وتشرفت أنامل يدي اليمنى باقتياس هذه الانوار من نور الاسلام ، تنويرا لقلوب الاخوة والاخوات

(٢٦) سورة الزمر الآية ٦٨ - ٧٥

هذا آخر ما يسر الله لأملاء من التعليقات المتواضعة على رسالة فضيلة استاذي الشيخ عبدالكريم المدرسي المسماة « بنور الاسلام » راجيا من الله ان يتقبلها بقبول حسن ، كما أمل ان تحظى باستحسان القراء الكرام .
محمد فلاحي محمد الكزاني

الكرام ، وتذكرة للمتذكريين من أولي الافهام ، وتبصرة
للمتبصرين من الشباب المهتمين بهدي الرسول القائد لامته
الى دار السلام ، أسأل الله سبحانه وتعالى ان ينفعني واياهم
بها في الدنيا وفي الآخرة عند لقاء الملك العلام .

وكان ختام التبرك قبيل عصر يوم السبت الرابع من
أيام شوال لسنة الف وثلاثمائة وسبعة وتسعين من هجرة
سيد الانام عليه الصلاة والسلام ، المصادف لليوم السابع
عشر من الشهر التاسع لسنة الف وتسعمائة وسبعة وسبعين
من ميلاد المسيح عليه وعلى بقية الانبياء الكرام الصلاة
والسلام . وانا ساكن بغرفة المدرسة المتصلة بالمنسابة
الشمالية في جامع سيدنا قطب الاولياء حضرة الشيخ عبد
القادر الكيلاني قدس الله تعالى سره ، وأفاض علينا نوره
وبره ، من محلة باب الشيخ في بلدة بغداد المحروسة المعروفة
ببرج الاولياء ودار السلام ، وفي الحقيقة هي دار الاسلام ،
والمحدثين ، والفقهاء ، والعلماء الكرام ، أهل الله مقامهم
آمين . وان الفقير الى الله عبدالكريم محمد الكسودي
الشهرزوري من عشيرة القاضي القاطنين في مركز ناحية
شهرزور التابعة لقضاء حلبجة التابعة لمحافظة السليمانية عاصمها
الله وسائر بلاد المسلمين من الآفات ببركة الرسول صلى الله
عليه وسلم . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ؟

[illegible]